

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية اللغة العربية – الدراسات العليا
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الأدب والنقد

إعداد الطالبة: أسماء عبدالرؤف عطية الله

إشراف البروفسير: صالح آدم بيلو

العام الجامعي ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)^١

الإهداء

إلى من كان لي سنداً وعضداً
إلى كل الذين وقفوا بجانبى
عونا وسؤدداً
إلى أمى وأبى نبع العطاء
إلى إخوانى وأبنائى سر الوفاء

أهدى ثمرة هذا البحث

"الباحثة"

الشكر والتقدير

الحمدُ لله القائل في كتابه الكريم " ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين" صدق الله العظيم.

والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عامة، سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإنّ علىّ ديينّ مستحقّ لجامعة أم درمان الإسلامية التى هيأت لىّ فى رحابها أسباب هذا البحث، ليأتى فى مقدمة هذا الدينّ الوفاء بالشكر لكلّية الدراسات العليا، وتخصيص شكرى للأستاذ المشرف، الذى أستقطع من جهده ووقته ليتولى الإشراف على هذا البحث، الأستاذ صالح آدم بيلو.

كما أتقدم بشكرى ووافر تقديرى لوالديّ اللذان ما بخلا علىّ يوماً ما، سواء بالسؤال عن البحث أو المساعدة والمعونة لىّ فى أبنائى. أسأل الله أن يجزيهما عنى كل خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لأسرة المكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية لإعانتهم لىّ بالمراجع والكتب.

والشكر أجزله أخص به من كان سنداّ وعوناّ فى طباعة هذا البحث وإخراجه على هذا الوجه " أبوأحمد".

وأخيراً فما كان فى هذا البحث من صواب فهو من الله تعالى، وأحمده على ذلك، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسى، وأستغفره تعالى من ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة:-

الحمد لله حمد الزاهدين الشاكرين، العاملين بعلمه إلى يوم الدين، الذى أنزل القرآن على عبده بلسان عربى مبين، والصلاة والسلام على الهادى الأمين وعلى صحبه وأتباعه الغرّ الميامين، ومن أهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

ظهرت الكتابة بشكلها الفنى قبل نزول القرآن الكريم فى قصص العرب وحكمهم وأمثالهم وخطبهم ورسائلهم ووصاياهم، ولم تكن مدونه وإنما كانت مشافهة، ولم يتم تدوينها وبنائها الفنى لم يكتمل إلا فى القرن الثانى الهجرى.

وقد جاء القرآن بأسلوبه الذى تحدى بأعجازه كلام العرب وأساليبيهم، يقول تعالى: "قل لأن إجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"^١. فالقرآن أثر بأساليبه إلى حد كبير فى الكتابة العربية، ففضى بذلك على الألفاظ الجافة والغريبة.

وجاء الحديث النبوى بفصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته ليضيف لبنة جديدة فى بناء الكتابة الفنية، وأستمرت الكتابة منذ صدر الإسلام والدولة الأموية فكثرت الدواوين وكثر الكتاب، فأصبح الخليفة يصفى من يشاء من أروع الكتاب فناً، وأكثرهم إقتداراً وتصرفاً، فألفت الكتب وتأثرت الكتابة بأساليب القرآن الكريم والحديث الشريف، وسارت على طريقهما فى البلاغة وروعة الأداء الفنى.^٢

وإثر ذلك فقد تمّ إختيار الباحثة لهذا الموضوع، والذى يتناول الرسائل فى العصر العباسى، فى الوقت الذى تقتضى فيه مناهج تاريخ الأدب العربى من الطلاب والدارسين أن يقفوا وقفة خاصة عند العصر العباسى، وذلك لأنه عصر زاخر من عصور الحياة الأدبية، وأتضحت فيه مناهج أدبية مختلفة وأتسع نطاق النثر الفنى بإستكمال أدواته وتعدد مجالاته، وبظهور طبقة رفيعة من الكتاب والمنشئين والتراجمة أغنوا الأدب العربى، ووجهوا طرائقه ووسعوا مسالكه، وتركوا فى تراثنا الأدبى ثروة عظيمة لا تزال إلى اليوم مادة أساسية نقبس منها ونترسم خطاها.

^١ سورة الإسراء - آية رقم ٨٨

^٢ لكتابة الفنية والموضوعية. حسن على قرعاوى. ط١. دار النشر والتوزيع. ١٩٩٦. ص ١٨-١٩.

وتأتى أهميته من حيث أنه يتناول بالدراسة والتحليل هذا الفن النثرى فى أزهى عصور الأدب.

والقصد من هذه الدراسة إلقاء المزيد من الضوء على الرسائل فى عصرها الذهبى، ومعرفة العوامل المؤثرة فيها، وأهم أنواعها ومن ثم معرفة خصائصها الفنية.

والناظر للعصر العباسى والمتأمل لما فيه من دول وإمارات متباعدة ومناسبات، يجد أن هذا الفن هو الداعى للتواصل فى كل المناسبات وخاصةً الأماكن المتباعدة.

فلكل ذلك ندرك المكانة المهمة للرسالة، والدور العظيم الذى تقوم به بكل أنواعها فى هذا العصر، مما كان له كبير الأثر وخير دافع للوقوف على هذا الفن الأدبى الذى إستطاع أن يزاحم الشعر روعةً وجمالاً.

فيتناول هذا البحث بالدراسة التحليلية ضرباً من ضروب الأدب فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ الأدبى الذى بلغ فيها نضجه، وأثرت فيه عوامل عدة هيأت له أداء دوره فى ذلك العصر.

أسباب اختيار الموضوع:-

هنالك العديد من الأسباب التى دفعت الباحثة لإختيار موضوع هذا البحث، والتى من أهمها ما يلى:-

أولاً:- معظم الدراسات التى قدمها الباحثون فى الأدب العربى قد تركّز إهتمامها حول الشعر، أما الإهتمام بالنثر فقليل لا يكاد يذكر، وأن الدراسات التى قُدمت قد حُظى فيها جانبٌ معين بالدراسة وذلك مثل الخطابة، ذلك ما شجّع الباحثة لتلك الدراسة.

ثانياً:- شدة الإعجاب بهذا الفن، الذى برع فيه العديد من الكُتّاب من ذوى القدرة على الكتابة والتنميق فى الأسلوب، والقدرة الفائقة على ترتيب العبارات المسجوعة مع بعضها البعض.

ثالثاً:- رغبة الباحثة الصادقة فى الأدب، وشدة الإعجاب بفنونه المختلفة، وخاصة تلك التى لا توجد فيها دراسات مشابهة حتى يخرج البحث بالصورة التى يُراد لها ويكون ذا نفع وفائدة.

منهج البحث:-

أمّا من حيث المنهج الذى أُتبع فى هذه الدراسة،فهو المنهج التاريخى التحليلي،فالمنهج التاريخى تمّ من خلاله عرض لبعض الحقائق التاريخية والتي تُعتبر ذات أهمية فى مثل هذه الدراسات،وذلك فى عملية التحليل.أمّا المنهج التحليلي فقد تنبعت فيه الباحثة الرسائل فى ذلك العصر وتحليلها وأستخلاص ما فيها من أساليب،ولا يتم ذلك إلا من خلال التحليل.

أهمّ المصادر المراجع:-

إعتمدت الدراسة على أهمّ المصادر والمراجع التى لها صلة وثيقة بذلك الموضوع.والمتملقة بجانب النقد والتحليل ،وبعض المراجع التى تضم فى صفحاتها رسائل هذا العصر،وقد أشارت إليها الباحثة فى نهاية هذا البحث.

الدراسات السابقة:-

هنالك جهود سابقة قام بها عدد من الدارسين ،سواء أكان ذلك فى مجال الشعر أو النثر، ولكنها لم تضم دراسة للرسائل فى هذا العصر،وبالرغم من ذلك أستطاعت الباحثة الاستفادة منها والإطلاع عليها ،ومن تلك الدراسات دراسة مقدمة من الطالب "عبدالرحمن عطاالمنان" والتي بعنوان " الخطابية فى عصر بنى أمية أنواعها وخصائصها الفنية"،ثم دراسة "النوراني عبدالكريم" والتي بعنوان " الخطابية فى العصر العباسي"،ثمّ دراسة ماجستير بعنوان "أدب الرسائل فى العصر الأموي".

خطة البحث:-

أمّا عن خطة البحث فقد سارت على النحو التالى:-

المقدمة:- وفيها ذكرت الباحثة أهمية الموضوع وسبب اختياره والمنهج الذى أُتبع ،والمصادر والمراجع والدراسات السابقة.

التمهيد:- وفيه دراسة لمعنى النثر ومفهوم الرسائل.

الباب الأول:- وفيه ذكرت الباحثة أنواع الرسائل فى العصر العباسي ،وقد قُسم إلى فصول ومباحث،ففى الفصل الأول تحدثت الباحثة عن الرسائل الديوانية وسبب أنشائها،ثم أتت بالعديد من النماذج التى تمثل الديوان وقد قُسم الفصل الأول إلى مباحث،ففى المبحث الأول

تحدثت الباحثة عن الرسائل التي تخص البيعات ،أمّا المبحث الثاني فقد خصص لرسائل العهود،والمبحث الثالث تناولت فيه الباحثة رسائل العباسيين فى شتى المجالات،وقد ختم هذا الفصل بمبحث رابع خصص لدراسة رسائل العباسيين التي تحمل أماناً.

أمّا الفصل الثانى والذى قُسم بدوره إلى مبحثين ،تناولت فيه الباحثة رسائل الولاية التي تحمل طابعاً إخوانياً،وذلك لما لها من أهميّة فى العلاقات بين الراعى والرعيّة،وقد تناول المبحث الأول الرسائل التي تهتم بجانب التهاني والتعازي والتهادي،أمّا المبحث الثانى ففيه دراسة للرسائل التي تحمل معنى العتاب والإستعطاف والشكوى.

أمّا الفصل الثالث فقد خصص لدراسة التوقيعات وذلك لما لها من أهميّة فى التراسل فى إيصال المراد من القول بالقليل من العبارات.وقد قُسم إلى مبحثين ،يختص الأول منهما بتوقيعات الخلفاء أنفسهم،أمّا الثانى فيتناول توقيعات الأمراء والوزراء.

أمّا الفصل الرابع من هذا الباب فقد عُنيت فيه الباحثة بدراسة للرسائل التي تحمل معانى المودة والإخاء،والذى جاء بعنوان الرسائل الإخوانية،ففى المبحث الأول تناولت الباحثة رسائل التهاني والتعازي ،أمّا المبحث الثانى فقد خصص لدراسة مناسبات مختلفة .

الباب الثانى:- وفيه تمّت الدراسة الفنيّة للرسائل فى العصر العباسى،وقد قُسم بدوره إلى فصول ومباحث،أمّا الفصل الأول منه فقد قامت الباحثة فيه بدراسة لشكل الرسائل ،وقد قُسم لثلاثة مباحث،تناول الأول منها مقدمات الرسائل ،أمّا الثانى فقد تناولت فيه الباحثة الموضوعات التي أهتم بها العباسيون فى رسائلهم،ثمّ المبحث الثالث والذى خصص لدراسة خواتيم الرسائل.

أمّا الفصل الثانى من هذا الباب فقد خصص لدراسة الأسلوب الفنّى للرسائل فى العصر العباسى،وذلك من خلال عدة مباحث،إذ يتناول الأول منها الألفاظ والمعانى،أمّا الثانى فيتناول الإقتباس،ثمّ الثالث الذى تناول السجع والتوازن،ثمّ المبحث الرابع والذى خصص للحديث عن التخييل والتصوير،ثمّ المبحث الخامس والذى جاء فيه دراسة الإيجاز والإطناب،ثمّ السادس والذى قامت فيه الباحثة بدراسة فنّيّة لأسلوب العباسيين وأستشهادهم بالقصة أثناء مراسلاتهم،ثمّ ختم بمبحث سابع بيّن فيه براعتهم وأستخدامهم للشعر فى تراسلهم.

ثمّ ختم هذا البحث بتقييم عام للرسائل فى العصر العباسى بالإضافة لأهمّ النتائج والتوصيات.

التمهيد:

١- معنى النثر:-

واعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور حول فنّين أساسيين هما :

١. فن الشعر المنظوم وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة .

٢. فن النثر وهو الكلام غير الموزون بوزن ولا قافية .^١ وهذا النوع هو محور الدراسة .

أما عن نشأة النثر ،فقد ذهب عدد كبير من الباحثين المحدثين إلى أن النثر الفنى مرحلة متأخرة عن مرحلة الشعر عند الشعوب،وأختلفوا فى تحديد زمن بدايته،وذهبوا فى ذلك إلى أربعة أقوال هى:

١. نشأته مع ظهور الإسلام، وأنه نبته إسلامية محضه، وأخذ فى النمو والإرتقاء حتى استكمل خصائصه، وبلغ طور النضج على يد عبدالحميد الكاتب.

٢. يرى بعضهم أن نشأته كانت فى العصر الأموى، بيد أن هنالك فريق من الباحثين كان يرى نشأته فى أوائل القرن الثانى للهجرة والذى شهد ظهور الحياة العقلية.

٣. وفريق كان يرى نشأته فى مطلع العصر العباسى الأول، إذ نفى أحد المستشرقين وهو (وليم مارسية) أن يكون للعرب نثر فنى قبل العصر العباسى الأول.

٤. وفريق ذهب إلى أن النثر الفنى فى الأدب العربى ساير ظهور الحس الفنى المرهف عند العرب، ولا يمكن القول بأنهم عرفوا الفن أو التقنن فى الشعر فى حين أنهم كانوا يجهلون ذلك فى نثرهم^٢ . والرأى الراجح هو الرأى الرابع وذلك أن الحس الفنى المرهف موجود بالفطرة لدى العرب.

وللنثر أهمية بالغة فى حياة البشر منذ أقدم العصور، فمن يرجع إلى العصر الجاهلى يجد أنه قد لعب دوراً مهماً فى حياة العرب، وذلك أنهم كانوا مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم. إلا أنه قد أُستخدم لأغراض سياسية وتجارية، ولم يخرجوا بالكتابة إلى أغراض أدبية خالصة، إذاً نستطيع بذلك القول أن الكتابة فى الجاهلية لم تؤد بجانب أغراضها

^١ - جواهر الأدب. أحمد الهاشمى. ج. ١. المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠. ص ٤٠.

^٢ - تاريخ الترسل النثرى عند العرب فى الجاهلية. محمود المقداد. ط ١. دار الفكر بيروت. ١٤١٣ هـ.

السياسية والتجارية أغراضاً أدبية أو فنيّة، إذ لم تكن أكثر من كتابه فطرية أدت أغراضاً خاصة في عصرها وأنتهت بإنهاء الغرض^١.

أمّا إذا انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام، نجد أن الأسلام قد اتخذ الكتابة دعامة من دعائمه، فقال جلّ شأنه في أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم "إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم"^٢. وأقسم سبحانه وتعالى بالقلم فقال جلّ وعز "ن والقلم وما يسطرون"^٣. كما أقسم بالكتاب فقال "والطور وكتاب مسطور في رق منشور"^٤.

وقد ورد في الذكر الحكيم كلمات اللوح والقرطاس الدالّة على الكتابة، فقال عزّ وجلّ "إن هذا في لفي الصحف الأولى"^٥.

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابه من بعد القرآن بطرق مختلفة، وذلك مثل أنه جعل فداء بعض اسرى قريش في بدر ممن تعلموا الكتابة أن يعلموها عشرة من صبيان المدينة.^٦

إذا فالكتابة في صدر الإسلام أخذت تستخدم إستخداماً واسعاً لا في كتابة القرآن الكريم فحسب، بل في كتابة كثير من شؤون الدولة الإسلامية.

أما إذا إنتقلنا إلى عصر بنى أمية وجدنا أن الكتابة أخذت ترقى رقىاً عظيماً، وذلك تبعاً لتعقد الحياة من جميع أطرافها المادية والسياسية والعقلية، وقد أخذت الكتابة في العصر الأموي هذا الرقى من ثلاثة جداول هي: الجاهلية متمثلاً في الشعر والأيام وتقاليد الجاهليين، وجدول اسلامي متمثلاً في تاريخ الإسلام، وجدول أجنبي متمثلاً في معرفة شؤون الأمم المفتوحة ونظمها السياسية والاجتماعية والأخذ منها حسب الحاجة^٧

^١ - الفن ومذاهبه في النثر العربي. شوقي ضيف. ط ١٣. دار المعارف. ص ١٩.

^٢ - سورة العلق. الآيات من (١-٥)

^٣ - سورة القلم. الآية رقم (١)

^٤ - سورة الطور. الآيات من (١-٣)

^٥ - سورة الأعلى. آية رقم (١٨)

^٦ - الفن ومذاهبه في النثر العربي. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٩٥.

^٧ - المرجع السابق. ص ٩٩.

فلما صارت الدولة إلى العباسيين على اثر الانقلاب الذى أصاب كل وجوه الحياة أصاب الإنشاء تغير يلائم ذلك الانقلاب، إذ يعد العصر العباسى هو العصر الذهبى للكتابة الفنية، ومن أهم ظواهر التغير الذى حدث، الإستبحار فى المدنية والإغراق فى الحضارة، وقد أخذ الإنشاء فى النزوع إلى ثمار الرخاء والترف والتى من أهمها التطويل والإطناب.

وزادهم الإختلاط بالفرس وماترجم من آدابهم تانقاً فى العبارة ونزوعاً عن أسلوب البلغاء فى صدر الإسلام والعصر الأموى، وقد أخذوا يضمنون رسائلهم الأشعار والأمثال وقد خالط كل ذلك شيئاً من الإطراء والتفخيم^١.

بالإضافة إلى ذلك عملت عدة عوامل مجتمعة على رقى الكتابة فى صدر الدولة العباسية والتي من أهمها، إتساع نطاق موضوعاتها، حيث أنها تناولت كل ضروب الحياة، وعمق المعانى ورقى الأفكار. أيضاً كان لسهولة الألفاظ ورقة الأساليب والتأنق فى العبارة كبير اثر فى ذلك الرقى، هذا بجانب ارتفاع منزلتها حتى صارت سلماً للوزارة وأرقى المناصب، وأيضاً من العوامل التى ساعدت على رقى الفن النثرى فى عصر بنى العباس إرتقاؤه بإرتقاء دواعى القول، وقد كان فى مقدمة هذه الدواعى الدعوة إلى الحزب الجديد، والحكم الذى أُقيم على أنقاض الأمويين، فقد كان العباسيون فى حاجة إلى إتقان فن القول بقدر حاجتهم إلى بيان سياستهم وتوطيد حكمهم^٢.

أما مفهوم النثر فى اللغة فهو من نثر الشئ ينثره نثراً ونثاراً وذلك إذا رماه متفرقاً كنشر فأنتشر^٣، أما من حيث المعنى الإصطلاحى فهو ذلك الكلام الغير مقيد بوزن ولا قافية. وتبعاً لرقى الإنشاء فى صدر الدولة العباسية، فقد أصبح النثر الفنى فيه متعدد الفروع^٤، فهناك النثر العادى وهو الذى يتداوله الناس فى حياتهم العادية، غير أبهين فيه بقواعد اللغة الفنية. ونثر علمى وهو الذى يتناول الحقائق العلمية والمخترعات عن طريق التقارير. أما النثر الفنى والذى نحن بصدد دراسته هو ذلك النوع الذى يُراعى فيه القواعد الفنية عند نظمه، ويرتبط بالتقدم والرقى.

^١ - تاريخ آداب اللغة العربية. جرجى زيدان. (راجعها شوقى ضيف). ج ٢. ص ١٢٩-١٣٠.

^٢ - الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز. مختار عطية. دار المعرفة الجامعية. ص ١٥٠.

^٣ - القاموس المحيط. الفيروزابادى. فصل النون باب الرءاء. ط ٤. مطبعة دار المأمون. ٣٣٢هـ - ١٩١٣.

^٤ - الفن ومذاهبه فى النثر العربى. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ١٢٩.

ويتناول النثر الفنى فى الأدب العربى العديده من الموضوعات والتي من بينها الرسائل التى هى موضوع الدراسة، إذ تُعد الرسائل من أقدم فنون الأدب فى النثر، منذ أن تحول إلى صناعة فنيّة على يد عبد الحميد الكاتب، وقد كان للرسائل شأن عظيم فى أخريات العصر العباسى إذ نبغ فيها جمهرة من الأدباء استطاعوا بأقلامهم أن يصلوا إلى مرتبة الوزراء^١. وقد أدى تنافس هؤلاء الكتّاب فى كتاباتهم بالمؤرخين أن يضعوا هؤلاء الكتّاب فى طبقات، لكل طبقة رجالها ومميزاتها الفنيّة فالمدرسة الأولى هى مدرسة الترسل الطبيعى ورائدها عبدالله بن المقفع، وتمتاز تلك المدرسة بأعتمادها على الترسل الطبيعى الذى عماده الإيجاز، كما تمتاز بتنوع العبارات وتقطيع الجمل، وتوخى السهولة والعناية بالمعنى، والزهد فى السجع، ومن أشهر رجالها الحسن بن سهل، وعمر بن مسعدة، وعمارة بن حمزة^٢.

أما المدرسة أو الطبقة الثانية فهى مدرسة التحليل والإستقصاء، والتي حمل لواءها الجاحظ منذ أواخر القرن الثانى الهجرى، وقد استمدت هذه المدرسة أسلوبها من رافدين زاخرين هما :

١. طريقة عبد الحميد القائمة على الإزدواج والإطناب.

٢. طريقة سهل بن هارون القائمة على التحليل والتعليل

وقد سارت هذه المدرسة على نهج المدرسة السابقة فى كثير من كتاباتها، بيد أنها تمتاز بالإستطراد ومزج الجد بالهزل، بالإضافة إلى الإطناب لتحليل المعنى وإستقصائه، ومن أشهر رجالها الصولى وأبن قتيبة^٣.

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة السجع والبديع، فقد غلب بأنواعه على رسائل هذه المدرسة، وصار صناعةً فنيّةً لتجميل العبارة وزخرفة الأساليب، وإمام هذه المدرسة عبدالله بن العميد، ومن أهم خصائصها الإهتمام بالسجع القصير الفقرات، والتوسع فى الخيال والتشبيهات، والإكثار من الإستشهاد، والعناية بالمحسنات البديعية^٤.

^١ -نشأة النثر وتطوره. عمر الدسوقي. ج. ١. ط. ٢. دار الفكر العربى. ص. ١٠٥.

^٢ - بلاغة الكتّاب فى العصر العباسى. محمد نبيه حجاب. ط. ١. المطبعة الفنية الحديثة. ٣٨٥هـ-١٩٦٥م. ص. ١٣٥-١٣٨.

^٣ - بلاغة الكتّاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص. ١٥٢-١٥٤.

^٤ - المرجع السابق. ص. ١٧٢-١٨٨.

أما المدرسة الرابعة فهي مدرسة الصناعة اللفظية ورائدها القاضي الفاضل، إذ تأصلت أساليبها على يديه وأستقامت طريققتها على طريقته،وقد سارت على نهج المدرسة الثالثة فى السجع والإكثار من المحسنات البديعية،الا أنها أكثرت من التورية والجناس حتى أصبحت الكتابة عبارة عن ألفاظ منمقة^١.

١- المرجع السابق.ص١٩٧

٢ - مفهوم الرسائل:-

نجد أن المراسلة أو المكاتبه تعنى مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تُحصر من حيث أنها ترجمان الجنان، ونائب الغائب فى قضاء حاجاته.

أما مفهوم الرسائل فى الإصطلاح فقد جاء فيها "الترسل من ترسلت أترسلت ترسلًا، وأنا مرسل، ولا يقال ذلك الا لمن يكون فعله فى الرسائل قد تكرر ...، ويقال ...: أرسل يرسل أرسلًا، وهو مرسل. والأسم الرسالة أو راسل يرسل مراسلة وهو مرسل، وذلك إذا كان هو ومن يرسله قد إشتراكا فى المراسلة، وأصل الإشتقاق فى ذلك أنه كلام يرسل به من بعد أو غاب، فأشتق له أسم الترسل والرسالة من ذلك.^١

وطريقة المراسلة هى طريقة المخاطبة البليغة، مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما، وللمراسلة خواص يمكن أن نجلها فى الآتى: السذاجة والجلال، الإيجاز والملاءمة والطلاوة.

فالسذاجة تجعل الكلام فطرياً سليماً من شوائب التكلف، بعيداً عن بهرجة الكلام. أما الجلاء فهو العدول عن الكلام المغلق، والتشابه المستبعدة، أما الإيجاز فهو تنقيح الرسالة من حشو الكلام وتطويل الجمل، ليبرزها وافية الدلالة على المقصود، مقتصرةً على المحسنات القريبة المنال.^٢ وفى ذلك يقول جعفر بن يحيى البرمكى: "لو أستعظتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا."^٣

والملاءمة نعنى بها تنزيل الألفاظ والمعانى على قدر الكاتب والمكتوب إليه، فلا تعطى خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، على أنها تجعل الرسالة وتعابيرها مستعذبه الأوضاع حسنة الارتباط.

^١ - نقد النثر. أبى الفرج قدامة بن جعفر. تحقيق طه حسين و عبد الحميد العبادى. المطبعة المصرية.

١٩٣٦. ص ٩٥.

^٢ - جواهر الأدب. أحمد الهاشمى. مرجع سابق. ص ٤٤-٤٥.

^٣ - الصناعتين. أبى هلال العسكري. تحقيق على محمد الجاوى ومحمد الفضل إبراهيم. ط ١. مطبعة

عيسى البابى وشركاؤه. ١٣٧١هـ. ١٩٥٤م.

أما الطلاوة فهي تكسو الكلام رونقاً وإشراقاً بجودة العبارة، وسلامة المعانى، وسلاسة الألفاظ وتجعله بذلك أحسن موقعاً عند سامعه^١.

وللرسائل أساليب تُفتح بها وتُختتم، فمما يُراعى فى الإفتتاحات البسمة، والحمدلة، والتشهد، والصلاة على النبى، والسلام. ولفظة "أمّا بعد"، والأدعية التى تتوسط ظهور الرسائل أو تبدأ بها، ويراعى فيها منزلة المكتوب إليه.

ومن أمثلة ما كان يصدر عن الخلفاء فى رسائلهم أن تفتح الرسالة بلفظ "من فلان إلى فلان" أو "لفلان من فلان" أو "أمّا بعد" أو "كتبت" أو "أنا" أو "كتابى" أو "أنهى إلينا كذا"، هذه المقدمات نجدها خاصةً فى الرسائل الديوانية، أمّا الإخوانية فإن ضبط ظهورها وإبتدائها غير ممكن وذلك لإختلاف مذاهب الكتاب فيها.

وإذا نظرنا إلى أختام الرسائل، فإنه عادةً ما يكون بآية قرآنية أو بلفظ "لا حول ولا قوة إلا بالله" أو "إن شاء الله" أو "السلام".

ومن الرسائل ما هو إبتداء ومنها ما هو جواباً فيه ما يدل على الوصول مثل "وصل كتاب أذى مخبراً بكذا" ويحسن ذلك فى أول الرسالة الجوابية.

ومن تمام البلاغة فى الرسائل أن يضمّن الكاتب فى مقدمتها إشارة إلى الغرض، وأن ينسق بين المطالع والخواتيم وما يعرض بينهما من موضوعات.

وتتنوع أساليب الرسائل، فنجد منها الموجز المختصر، والمتوسط المعتدل، والمطنب المستفيض. أمّا الإيجاز فإنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوى الهمم العالية والإطناب يصلح للمكاتبات الصادرة فى الفتوحات ونحوها مما يُقرأ فى المحافل، ومخاطبة من لا يصل إليه المعنى إلى فهمه بأدنى إشارة، بيد أننا نجد فى كل ذلك أن الإيجاز فى الرسائل هو الأفضل دائماً، وذلك إذا لم يكن للإطناب مبرراته^٢.

أمّا عن مفهوم الرسائل فى اللغة: فيقال تراسل القوم أى أرسل بعضهم إلى بعض رسول أو رسالة.

والرّسل: محرّكة القطيع من كل شىء، وبالكسر الرفق والتؤدة كالرسالة والترّسل.

^١ - جواهر الأدب. احمد الهاشمى. مرجع سابق. ص ٤٥.

^٢ - فى النثر العربى - قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. الشركة المصرية للنشر. ط ١. ١٩٦٩

وأرسلوا كثر رسلهم كرسلوا ترسيلا، وصاروا نوى رسل، وبالفتح السهل من السير، ويقال ناقةً
مرسال أى سهلة السير.^١

وكذلك جاء فى العين، الرُّسل: الذى فيه إسترسال ولين وهى تذكر وتؤنث. والإسترسال إلى الشئ
كالإستناس والطمانية. والترسل فى الأمر كالتمهل والتوقر.^٢
وجاء فى لسان العرب عند ابن منظور: الإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه، والأسم الرسالة
والرسول والرسل والأخيرة عن ثعلب إذ يقول:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم

بليلى، ولا أرسلتهم رسيل

ويقال هى رسولك، وتراسل القوم، وأرسل بعضهم إلى بعض، ففى التنزيل العزيز "أنا رسول رب
العالمين" ولم يقل رُسل لأن فعولاً وفعيلاً يستوى فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع.^٣
أمّا مفهوم الرسائل اصطلاحاً فقد جاء فيها الترسل من ترسلت أترسل ترسلًا، وأنا مترسل، ولا
يقال ذلك إلا لمن يكون فعله فى الرسائل قد تكرر. ويقال: أرسل، يرسل إرسالاً وهو مرسل
والأسم الرسالة أو راسل يرسل مراسلة فهو مراسل، وذلك إذا كان هو ومن يرسله قد أشتركا
فى المراسلة. وأصل الإشتقاق فى ذلك أنه كلام يرسل به من بعد أو غاب، فأشتق له أسم
الترسل والرسالة من ذلك.^٤

وقد تعددت أنواع الكتابه فى هذا العصر، فمنها الرسائل الديوانية أو الرسمية الإدارية التى
تصدر عن دواوين الحكام وتعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية، لذا يحرص فيها على دقة
المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها فى المكاتبات ذات الصيغة الرسمية، ومن هذا
النوع من الرسائل نجد العهود والبيعات والمناشير والفتوحات والدعوة على الطاعة والحث
على الجهاد.^٥

^١ - القاموس المحيط مجد الدين الفيروز أبادى ج ٣. فصل الراء باب اللام. مطبعة السعادة. ص ١٨٤.

^٢ - كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدى. باب السين والراء. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم
السامرائى. مكتبة الهلال. المجلد ٧. ص ٢٤٠ - ٢٤١.

^٣ - لسان العرب. أبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور. ط ١. ج ١١. دار صادر. بيروت. مادة
" أرسل " ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

^٤ - نقد النثر. أبى الفرج قدامة بن جعفر. حققه طه حسين وعبد الحميد العبادى. مطبعة الشركة
المصرية. ١٩٣٩. ص ٩٥.

^٥ - فى النثر العربى قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٢.

أما من ناحية الموضوعات التي تناولتها تلك الرسائل الديوانية، نجد تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها، أيضاً تناولت بعض الأغراض التي كان يتناولها الشعر من تهنئات وتعازي وشكر. ونجدهم قد تفننوا في ذلك بالإضافة إلى التحميدات التي كانت تصدر بها رسائلهم الديوانية^١. وقد كانوا يتخيرون للإنشاء الديواني بلغاء الكتاب، إذ كان لهؤلاء الكتاب من وراء ذلك رزق واسع، وجاه عريض، وتفننوا في الكتابه فيها حتى أنه لا يظهر أنه قد حدث تغيير على الأسلوب الديواني بعد العباسيين^٢.

ونجد أن كثرة الدواوين وانتشارها قد ساعد على رقيّ الكتابه الديوانية وإزدهارها، وقد أدى تفنن الكتاب فيها إلى أن تبلغ قمتها في العصر العباسي الثاني، وأيضاً أدى تنافسهم فيها إلى إلمامهم بكل الثقافات وفي مقدمتها الثقافة اللغوية^٣.

ويمتاز الإنشاء في الرسائل الديوانية ببسط الكلام، ويختلف الأسلوب فيها باختلاف الأغراض، ففي رسائل التهاني مثلاً يذهب الكاتب إلى بسط القول في شكر الله وتعظيم النصر، وذكر ما يتصف به المدح وغير ذلك مما يقتضيه المقام. وهناك قواعد عامة ذكرها الفلقشندي ليلتزم بها الكاتب في مكاتباته الديوانية يمكن أن نجلها في الآتي:

١. أن يأتي الكاتب في أول المكاتبه بحسن الإفتتاح المطلوب في سائر أنواع الكلام من نظم ونثر مما يوجب التحسين، ليكون داعية الإستماع.
٢. أن يأتي في المكاتبه المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر بها تأسيساً بما يأتي به في مكاتباته.
٣. أن يفرق بين الالفاظ المستعملة في المكاتبات فيضع كل في موضعه.
٤. أن يعرف مواضع الدعاء في المكاتبات، فيدعوا بكل دعاء في موضعه.
٥. أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها.
٦. أن يراعى مقاصد المكاتبات، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه.

^١ - العصر العباسي الأول. شوقي ضيف. ط ٦. ص ٤٨٦.

^٢ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي. أنيس المقدسي. ط ٣. دار العلم ببيروت. ١٩٦٥. ص ٢٢٢.

^٣ - العصر العباسي الثاني. شوقي ضيف. ط ٣. ص ٥٥٠.

٧. أن يعرف مقدار فهم كل طبفة من المخاطبين في المكاتبات، فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب.

٨. أن يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه، فيعبر عن كل واحد منهما في كل مكانه بما يليق به، ويخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه.

٩. أن يراعى مواقع الآيات والسجع، وأبيات الشعر عند الإستشهاد بها أثناء المكاتبات، وأن يأتي فيها بحسن الأختام.^١

ويلحق بهذا النوع من الرسائل الديوانية، جنس آخر من الكتابة يُعرف بالتوقيعات، ويُراد بها التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها، مع التعليل لذلك بأية قرآنية أو حكمة سائرة أو قول محكم من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز.^٢

وهي باب أدبي عُنِيَ به الفرس قبل الإسلام، وذلك نسبةً لعنايتهم بالبلاغة. فقد كانوا يرفعون إلى ولاة أمورهم أوراقاً تتضمن طلباً لشيء، أو شكوى من شيء، وتطلق عند العرب قديماً "قِصَصاً"، وكانت تُسمى رقاعاً لصِغَر حجمها، وهي ما تُعرف في وقتنا الحالى "بالعرائض". وقد كانت هذه القصة ترفع إلى الملك أو من يليه تبعاً لموضوعها، وقد جرت عادة الملوك والولاة من الفرس أن يوقعوا عليها بعبارة بليغة أو حكمة حكيمة، يتخير لها أحسن اللفظ وأجود المعنى.

وقد نُقل إلى أدبنا العربى الشئ الكثير من توقيعات ملوك الفرس، وذلك فى مثل توقيع أحدهم عندم رفع رجل إلى كسرى بن قباد رقعة يخبره فيها أن جماعةً من بطانته قد فسدت نياتهم، فوقع فى أسفل كتابه: "إنما أملك ظاهر الأجسام لا النيات، وأحكم بالعدل لا الهوى، وأفحص عن الأعمال لا السرائر".

وبذلك أنتقلت التوقيعات وسال سيلها فى العصر العباسى، إذ أن معظم الكتّاب والوزراء كانوا فرساً، فساروا على سنن آبائهم، وأنشئوا فيما بعد ديواناً أطلقوا عليه ديوان التوقيع.^٣

ومن أنواع الرسائل أيضاً فى العصر العباسى نجد الرسائل الإخوانية، بيد أننا لم نظفر فى الدراسات التى بين أيدينا ببحث مستقل فى تطور مصطلح الإخوانيات من الناحية الأدبية، فقد

^١ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء. أبى العباس أحمد بن على القلقشندى. دار الثقافة والإرشاد القومى. ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م. ج ٦. ص ٢٧٤ - ٣١٤.

^٢ - بلاغة الكتّاب فى العصر العباسى. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ٩٥.

^٣ - ضحى الإسلام. أحمد أمين. ج ١. ط ١٠. دار الكتاب العربى بيروت. ص ١٨٧ - ١٨٨.

ظل مجال تنازع بين التحليل الإجتماعى والتحليل الأدبى، وإن كان قد أُستعمل فى الأصل للتعبير عن علاقة إجتماعية حضرية، فإنه تطور فى خطاب النقاد وكتّاب الأدب القدامى، وتمخض للدلالة على مجال من مجالات التخاطب بين الشعراء والكتّاب المتكافئين فى المرتبة الإجتماعية.

وقد جاوز التخاطب الإخوانى أغراض المخاطبات الإخوانية فى المدلول الأسمى، أى الأغراض الناظمة لمعانى الأخوة والصدّاقة إلى أغراض أخرى تشمل جميع مشاغل الأدباء بوجه خاص، ومشاغل الطبقات الخاصة بوجه عام، وصارت الإخوانيات منذ مطلع القرن الثالث الهجرى جنساً من أجناس الحوار المكتوب^١.

فالإخوانيات تضم التهانى والتعازى والملاطفة والتهادى والشفاعات والإسترضاء والإستعطاف والإعتزاز والشكوى والشكر والعتاب والسؤال عن حال مريض

ونجد أن هذه الرسائل الإخوانية قد نمت وتطورت بصورة واضحة فى العصر العباسى، ويرجع ذلك إلى أن هذه الرسائل كانت تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم، إذ أنها كانت تؤدى فى العصور السابقة بواسطة الشعر، أما فى هذا العصر فقد زاحم النثر الشعر ويرجع ذلك إلى أمرين أولهما: ظهور طبقة ممتازة من الكتّاب الذين يجيدون فيه، وثانيهما: مرونة النثر ويسر تعابيره وقدرته على تصوير المعانى فقد أتاح له ذلك قدرة لا تتّاج للشعر، وذلك لإرتباطه بقواعد موسيقية معقدة^٢.

ونجد أن هذه الرسائل أيضاً كانت تعرف برسائل الأشواق، وذلك لدورانها بيت الأقارب والأصدقاء، وفى أنها تكشف عن مكنون الوداد، وسرائر الفؤاد، ولا حرج على الكاتب فيها فى بسط الكلام عن أحواله، وتنفرد تلك الرسائل عن غيرها بأن كاتبها يطلق لقلمه العنان فيها، ويتجافى عن الكلفة، ولا بدّ أن يراعى فيها مقتضى الحال، والإعتصام بركن الفطنة أخذاً بقول أبى الأسود الدؤلى:

لا ترسلن رسالة مشهورة

لا تستطيع إذا مضت إدراكها^٣

^١ - تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى. امين المقدسى. مرجع سابق. ص ٢٢٣.

^٢ - العصر العباسى الأول. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩١.

^٣ - جواهر الأدب. أحمد الهاشمى. مرجع سابق. ص ٤٦.

ويلحق بالنوعين السابقين من أنواع الكتابة، نوع ثالث يعرف بالكتابة الأدبية، فهو لغة الإنشاء التي تثير العاطفة بجمالها، وتحرك المشاعر ببلاغتها، وتُصاغ فيها الحقائق العلمية بأسلوب أدبي تخفيفاً لحدتها، وتلطيفاً لجفافها، والغرض الأساسي من هذا النوع قوة التأثير في نفس السامع، لتفعل نفسه بمثل ما إنفعلت به نفس الكاتب.^١

ولا تختلف تلك الرسائل في أسلوبها عن أسلوب الأبناء الديواني إذ أن كثيراً من كتابها من أرباب الدوايين، ويكثر فيها استخدامهم للسجع والبديع.^٢

أما الرسائل الأدبية الخالصة فهي التي تتناول خصال النفس الإنسانية وتصور أهواءها وأخلاقها، وتوضح لها طريقها إلى الخير حتى لا تسقط في مهاوى الشر.^٣

وحتى تكتمل الصورة وتتضح أكثر لتلك الأنواع من الرسائل، كان لا بد أن نفرّد لها جانباً من الدراسة لتنبين طريقة الكتاب في صياغتها والتفنن فيها، هذا وقد خصّص الباب الأول من الدراسة لدراسة تلك الأنواع.

١ - بلاغة الكتاب في العصر العباسي. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ٨٨.

٢ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي. أنيس المقدسي. مرجع سابق. ص ٢٢٣

٣ - العصر العباسي الأول. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٥٢.

الباب الأول

أنواع الرسائل فى العصر العباسى

الفصل الأول:-

الرسائل الديوانية:-

المبحث الأول :- رسائل البيعات

١. رسالة الخميس لتأييد الدعوة العباسية

٢. رسالة البيعة للمنتصر بالله

٣. رسالة أبي جعفر بالبيعة للمهدى

٤. رسالة المتوكل بالبيعة لئنيه

الرسائل الديوانية:-

ازدهرت المدينة في عصر نفوذ الخلفاء إزدهاراً بالغاً، واتسعت أعمال الدولة إتساعاً ظاهراً، وذلك بسبب تلاقى الثقافات، وكذلك نجد أن تطور أنواع العمران وإعتماد العباسيين على الفرس في إدارة شؤون الدولة أدى إلى إقتباس كثير من أنظمة الحكم عن الفرس وإلى إتساع نطاق الجهاز الإدارى للحكومة الإسلامية، فقد إستحدثت الوزارة كما أستحدثت دواوين جديدة، وتطورت نظم العمل فيما كان موجوداً من دواوين.^١

فأنشأ الخلفاء العباسيون الكثير من الدواوين التى تقوم بانجاز الأعمال المتعددة، وخصوصاً كل ديوان منها يعمل من الأعمال، وأشرف على تنظيم هذه الدواوين الوزراء الفارسيون وأتباعهم ممن نقلوا النظام الكسرى فى الإدارة وطبقوه فى دولة الخلافة.^٢

فالوزارة كنظام إدارى أخذه العباسيون مع قيام دولتهم من الفرس، وإن كانت الكلمة عربية الأصل ومضمونها معروف من قبل عند العرب.

فالوزير هو الذى يلجأ الخليفة إلى رأيه وتدبيره، أو هو الذى يقوى به الخليفة كقوة البدن للظهر، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام بقوله "واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أذرى وأشركه فى أمرى"^٣

وفى أوائل الدولة العباسية أصبح الوزير بذلك على رأس الجهاز الحكومى^٤. وهكذا اتسعت الدواوين فى الدولة العباسية باتساع الأعمال وتنوعت بتنوع مطالب الدولة.

والكتابة فى ديوان الرسائل كانت تجد العناية والأهتمام من كل جانب، ونعنى بهذه الكتابة، الكتابة الرسمية الإدارية، والتى تصدر عن دواوين الحكام وتُعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية، ولذا يحرص فيها على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها فى المكاتبات ذات الصبغة الرسمية.^٥

^١ - صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية. أحمد السيد دراج. الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى. مكة المكرمة. ص ٣٤ .

^٢ - الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول. إبراهيم رفيدة. ط ١. القاهرة: مكتبة القاهرة ١٩٦٦. ص ٣٠٦ .

^٣ - سورة طه. آية رقم (٢٩)

^٤ - صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية. أحمد السيد. مرجع سابق. ص ٣٦ .

^٥ - فى النثر العربى. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٢ .

وقد نشطت الكتابة الديوانية فى العصر العباسى نشاطاً واسعاً، وتوافر عليها الكثير من أصحاب الأقلام يحدهم فى ذلك ما كانت تدره عليهم من أرزاق، حتى أصبحت فى هذا العصر الجسر الذى يصل من خلاله الكاتب إلى أرفع المناصب.

والناظر لموضوعات الرسائل الديوانية فى عصر بنى العباس كما أسلفنا، يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاية، وأخذ البيعة للخلفاء، وولاية العهد، وأخبار الولايات وأحوالها، ووصايا الوزراء والحكام فى تدبير السياسة والحكم. وأحياناً نجد أن هذه الرسائل الديوانية كانت تتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعر من تهنئات وتعزيات وشكر، مما قد كانت تتناوله الرسائل الأخوانية من تلك المعانى التى تدل على المودة والإخاء.^١

أمّا من حيث الأسلوب الذى أختصت به الرسائل الديوانية فنجد أنه فى أول الأمر كان خالياً من التهويل والمبالغات والخيال الخصب إلى حدٍ كبير، فلما أفتتن الكتاب بأساليبها وبدأوا فى تجويدها نجد أن الخيال قد لعب دوره، وازدانت بالمحسنات، وأطنبوا حيث يجب البسط والتفصيل، وأجزوا حيث يقتضى المقام.

وسنقف فى هذا الفصل على بعض الرسائل الديوانية وأخذ نماذج منها فى جميع الأمور التى كانت تصدر فيها، حتى نتبين أسلوب العباسيين فى مكاتباتهم.

^١ - العصر العباسى الأول. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٤٦٥ - ٤٦٨ .

المبحث الأول :

رسائل البيعات:-

١- رسالة الخميس لتأييد الدعوة العباسية :-

جرت العادة لدى خلفاء الدولة العباسية أن يعهدوا إلى أبلغ كاتب بكتابة رسالة ضافية فى تأييد العوة العباسية عامّة ،والخليفة القائم بأمر الخلافة خاصة،فيذكرون بعد التحميد أن بنى العباس هم أحق الناس بالخلافة ،ثم يشيدون به ويعددون مناقبه ،وأنه أولى الناس بها. وكانت مثل هذه الرسائل تلقى بخراسان فى جمع من الناس،يحشدون ليجددوا ولاءهم لبنى العباس ،ويبايعون الخليفة.

وهذه الرسالة من الرسائل المجمع على جودتها والتي كتبها أبو جعفر أحمد بن يوسف ليجمع بها القلوب على محبة المأمون إذ يقول فيها:

"من عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين إلى المبايعين على الحق ،والناصرين للدين،من أهل خراسان وعندهم من أهل الأسلام:

سلام الله عليكم ،فإن أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو،ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله .أما بعد:فالحمد لله القادر القاهر الباعث الوارث،ذى العز والسلطان ،والنور والبرهان،فاطر السموات والأرض وما بينهما،والمتقدم باليمن والطول على أهلها،قبل إستحقاقهم لمثوبته بالمحافظة على شرائع طاعته،الذى جعل ما أودع عباده من نعمته دليلاً هدياً لهم إلى معرفته،بما أفادهم من الأبواب التى يفهمون بها فصل الخطاب.

ولم تزل رسل الله عزّ وجلّ تترى بالنور الساطع والبرهان القاطع،لا يجدون لما يوردون عليهم من الحق مردا ولا مدفعا،لقول الله عزّ وجلّ " ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم ،فجاءوهم بالبينات ،فانتقمنا من الذين أجرموا ،وكان حقاً علينا نصر المؤمنين."^١ . فلم يجد المكذبون مساعاً إلا وقع ما أقيم عليهم من لازم الحجة إلا المعاندة والمجاهدة ،وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم يبعثون فى أعصار الحقب نذراً للأمم حتى ختمهم الله عزّ وجلّ بالنبي الأسمى محمد صلى الله عليه وسلم ،فبعثه فرداً وحيداً لاعاضد ولا رافد إلى قوم يعبدون

^١ - سورة الروم.آية رقم (٤٧)

أصناماً بكماً، وحجارةً صماً فكذب به القوم الذين بعث فيهم أول ما دعاهم، ورامه ملوك أقطار الأرض بتوجيه الأجناد، ومرافدة القوم والعتاد وهو يدعو إلى سبيل ربه بما أمره به إذ يقول: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن." ثم جاهد بمن أطاعه من عصاه، وبمن اتبعه من خالفه حتى أعز الله كلمته، وأظهر دعوته، وأكمل لعباده دينهم الذى أرتضى لهم، فلما اختار الله ما لديه، واختصه بما عنده من النعيم المقيم، والجزاء الكريم بعد استقامة الدين ودخول الناس فيه أفواجا، خلفه..... إذ ختم به الأنبياء..... بالبررة والنجباء من أدانيه ولحمته، لإقامة الشرائع المفترضة، وإنفاذ حكم الله المنزل، وإقتفاء السنة الماثورة، وحفظاً له قرابته ومجيبى دعوته، وإتماماً لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وإنجازاً لما وعده من إظهار ما بعثه به دينه الذى أصفاه وارضاءه.

وكان إختيار أولى الفضل من لحمته وعصبته لإرث خلافته من عظيم الزلف التى رغب إلى الله فيها أنبيأؤه وفيما أقتص فى منزل وحيه، وأختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسالة أمته تصيير مودته فى القربى، جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وهداه من الضلالة، فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عزوجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألزمه تأديته إلى خلقه، والزمهم أداءه فقال عزوجل " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى " ٢ ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره إياهم وإذهابه الرجس عنهم على إصطفائه لهم فقال تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" ٣ وكان مما أوجب لهم به حق الوراثة فى محكم تنزيله قوله تعالى: "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله " ٤ .

ثم قرن طاعتهم بطاعته فقال: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" ٥ . وأحلهم من النباهة والصيت فى المحل الذى أعلى به أمرهم، ورفع به ذكرهم، لما أحب من التبيين فى الدلالة عليهم، والهداية إليهم فإنه يقول عزوجل: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" ١ .

١ - سورة النحل. آية رقم (١٥٢)

٢ - سورة الشورى. آية رقم (٣٢)

٣ - سورة الأحزاب. آية رقم (٣٣)

٤ - سورة الأنفال. آية رقم (٧٥)

٥ - سورة النساء. آية رقم (٥٩)

ثم ختم هذه الرسالة المطولة بقوله: وأمير المؤمنين يسأل الله الذى دل على الدعاء تطولاً، وتكفل بالأجابة حتماً فقال عزوجل: "أدعوني أستجب لكم"^٢. أن يجمع على رضاه الفهم، وأن يصل على الطاعة حبلمهم، وأن يمتعكم بأحسن ما أودعكم من مننه، ويوزعكم عليها من شكره ما يواصل لكم مزيده وأن يكفيكم كيد الكافرين، وحسد الباغين، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم بأفضل ما حفظ به أمام هدى فى أوليائه وشيعته، ويحمل عنه ثقل ما حمله منكم، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى من جزاءكم بالحسنى وحملكم على الطريقة المثلى، وبه يرضى ناصراً وولياً، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.^٣

مال الكاتب فى هذه الرسالة إلى الإطناب، وقد دعاه الحال هنا إلى مثل هذه الإطالة، لأن رسائل العباسيين والتي عادةً ما كانت تقرأ على الملاء يغلب عليها هذا الطابع، وقد بدأها الكاتب بقوله: "من عبدالله الأمام المأمون " وهى من المقدمات التي كانت تبدأها كتب المنشورات والعهود، ثم أتى بالسلام والبعدية.

ثم بدأ يبين للأمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل بالبينات حتى يهتدوا، وكأنه يقارن أن هذا الخليفة فاعل فيهم ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يبين لهم أيضاً أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله. وبذلك يكون قد قرن طاعة الخليفة بطاعة الله ورسوله.

ونجد أنه قد بدأها أيضاً بمجموعة من التحميدات التي يُظهر فيها آيات الخالق وآلائه وقدرته وإثبات وجوده متمثلاً بالعديد من الآيات القرآنية.

وينتقل بعد التحميدات إلى الحديث عن الأنبياء والمرسلين وفى مقدمتهم أبو البشر، وينتهى إلى ذكر تكريم المولى سبحانه وتعالى لبنى آدم، ثم يستطرد الكاتب إلى الحديث عن خاتم المرسلين، ويخلص من هذه المقدمات الطويلة فى براعة تشهد له باللباقة والقدرة إلى الحديث عن آل البيت المطهرين: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت... الخ".

ويعمل الكاتب على تطويع بعض الآيات ليخلعها على بنى العباس، ولا يكتفى بذلك بل يوردها فى سياق يفهم منها أن بنى العباس هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم.

^١ - سورة البقرة. آية رقم (١٨٥)

^٢ - سورة غافر. آية رقم (٦٠)

^٣ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

وهو يدلل فى هذه الرسالة أهل خراسان ويجعلهم فى مقدمة رعية الخليفة ويفضلهم على جميع الناس ويتجلى ذلك فى قوله: "إنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة".
ومن حُسن تفضيله لهم أن الخليفة يخصصهم بالدعوات "وأمر المؤمنين يسأل الله- وأن يكفيكم... الخ"^١

فالكاتب فى هذه الرسالة وإن سلك فيها أسلوباً أدبياً مطلقاً، إلا أنها تُعتبر سياسية متعصبة. ثم ختم هذه الرسالة بدعاء أمير المؤمنين للأمة بالتوفيق والسداد وأتمها بالسلام . فالناظر إلى هذه الرسالة يجد أن الكاتب لم يتبع فيها أسلوباً معيناً، وإنما أطلق نفسه على سجيته فجاءت معانيه مليئةً بالعبر، وأساليبه مطلقة من كل قيد، فإحياناً يجئ أسلوبه مرسلاً مع الإزدواج الذى يحسن به وقع الكلام وذلك فى مثل قوله: "ثم جاهد بمن أطاعه من عصاه، وبمن أتبعه من خالفه حتى أعز الله كلمته ."
وأحياناً يجئ مسجوعاً وذلك مثل قوله: "جزاؤه ممن تبعه على رسالته، وهداه من الضلالة."
ولقد أكثر الكاتب من الإقتباس من القرآن الكريم فى هذه الرسالة، وذلك فى مثل قوله: "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم " وقوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة....."

^١ - جواهر الأدب. أحمد الهاشمى. مرجع سابق. ص ٤٦ .

٢- رسالة البيعة للمنتصر بالله:-

توفى المتوكل على الله سنة (٢٤٧هـ-)، فبويع إبنه للخلافة من يومه فكانت نسخة البيعة التي أخذت له على النسق الآتى :-

" بسم الله الرحمن الرحيم = تبايعون عبدالله المنتصر بالله أمير المؤمنين، ببيعة طوع وإعتقاد، ورضا ورغبة، باخلاص من سرائركم، وإئشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما فى هذه البيعة وتأكيدا، من طاعة الله وتقواه، وإعزاز دين الله وحقه، ومن عموم صلاح عباد الله، وإجتماع الكلمة، ولم الشعث وسكون الدهماء*^١، وأمن العواقب، وعز الأوفياء، وقمع الملحدين، على أن محمداً الأمام المنتصر بالله عبدالله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده، لا تشكّون ولا تدهنون*^٢، ولا تميلون ولا ترتابون، وعلى السمع له والطاعة، والمسالمة والنصرة، والوفاء والإستقامة، والنصيحة فى السر والعلانية والخوف*^٣، والوقوف عند كل ما يأمر به عبدالله الأمام المنتصر بالله أمير المؤمنين، وعلى أنكم أولياء أوليائه، وأعداء أعدائه من خاص وعام، وأبعد وأقرب، وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد، وذمة العهد، سرائركم فى ذلك مثل علانيتكم، وضمائركم مثل ألسنتكم، راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين فى عاجلكم وآجلكم، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم، وتأكيدكم إياها فى أعناقكم، صفقة إيمانكم راغبين طائعين عن سلامة من قلوبكم واهوائكم ونياتكم، وعلى أن لا تسعوا فى نقض شئ مما أكد الله عليكم، وعلى أن لا يميل بكم مميل فى ذلك عن نصرته وإخلاص، ونصح وموالاته، وعلى أن لا تبدلوا ولا يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه إلى غير علانيته، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتكم بها ألسنتكم وعهودكم ببيعة يطلع الله من قلوبكم على إجتباؤها*^٤ وإعتقادها، وعلى الوفاء بدمته بها، وعلى إخلاصكم فى نصرتها وموالاته أهلها، لا

* الدهماء : عامة الناس

* تدهنون : إظهار خلاف ما يُضمر

* الخوف : سرعة السير

* إجتباه : إختاره

* دغل : فساد

* إستشرفه حقه : ظلّمه

يشوب ذلك منكم دغل* ولا إدهان ،ولا إحتيال ولا تأول،حتى تلقوا الله فى موفين بعهده،ومؤدين حقه عليكم،غير مستشرفين *

ولا ناكثين،إذا كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله،يد الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه،ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً،عليكم بذلك وبما أكدت هذه البيعة فى أعناقكم،واعطيتم بها من صفقة إيمانكم،وبما أشرتت عليكم بها،ومن وفاء ونصروموالاة وإجتهدا ونصح،وعليكم عهد الله إن عهده كان مسئولاً،وذمة الله وذمة رسوله ،وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكد وثائقه،أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيعة ولا تبدلوا ،وأن تطيعوا ولا تعصوا،وأن تخلصوا ولا ترتابوا،وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم ،وذوى العهد والوفاء بوفائهم وحقهم،لا يفتكم عن ذلك هوى ولا مميل،ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى،بأذلين فى ذلك أنفسكم واجتهادكم،ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ،بما جعلتم على أنفسكم ،لا يقبل الله منكم هذه البيعة الا الوفاء بها ،فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً أو مصرحاً أو محتالاً،فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ،وفيمأ أخذت به موثيق أمير المؤمنين وعهود الله عليه،مستعملاً فى ذلك الهويسنى دون الجد ،والركون إلى الباطل دون نصره الحق،وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولوا الوفاء منهم بعهودهم،فكل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشئ نقض عهده،من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين فى وجوه سبيل الله ،محرم عليه أن يرجع شئ من ذلك إلى ماله،عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها،وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها ،فتلك سبيله إلى إن توافيه منيته،ويأتى عليه أجله،وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو انثى أحرار لوجه الله،ونساءه يوم يلزمه الحنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج لا مثنوية* فيه ولا رجعة،¹ وعليه المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ،وهو برئ من الله ورسوله والله

١- مثنوية : أى إستثناء

*٢- الحجة : السنة ٣- الصرف :التوبة ،العدل : الفدية

ورسوله منه بريئان، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً*، والله عليكم بذلك شهيد وكفى بالله شهيداً.^١

بدأ الكاتب هذه البيعة بلفظ البسمله ثم أتى بعدها بلفظ البيعة الا وهى قوله "تبايعون" وهى الصيغة العامة التى كانت تبدأ بها كتب البيعات فى الدولة العباسية، ثم ولج مباشرة إلى تبصيرهم وتذكيرهم بأنه عليهم أخذ البيعة للخليفة القائم على أمر الدولة، ومؤكداً لهم بأن هذه البيعة هى أمانة فى أعناقهم ودين عليهم لذلك يجب عليهم تأديته طائعين. ويظهر فيها اسلوب اللين لأن المقام مقام ترغيب .

وفى هذه البيعة نلمس اسلوب الفترة الثانية من العصر العباسى، فهو اسلوب درج الكتاب فيه على استخدام الجنس وإن لم يلتزموه كما فى قوله "وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد، وذمة العهد" وأيضاً استخدامه للطباق كما فى قوله: "من خاص وعام - وأبعد واقرب".

وأيضاً نجد أن الكاتب فى هذا العهد مال إلى الإقتباس والأخذ من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله: "إذا كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله.... الخ" أخذاً من قوله تعالى " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً"^٢. ويظهر الإقتباس أيضاً فى قوله: "وعليكم عهد الله أن عهده كان مسئولاً" وذلك أخذاً من قوله تعالى " وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً"^٣

وقد ختم الكاتب بيعته هذه بشروط جزاء وذلك على من ينقض العهد، وتتمثل تلك الشروط فى الآتى:

- ١- من ينقض البيعة وله من الأموال والعقار والزرع، فهى صدقة على المساكين لا يرجع اليه منها شيئاً
- ٢- من له مملوك يملكه إلى ثلاثين سنة فهو حر لوجه الله

^١ -جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ط٢. ج٤. مطبعة مصطفى البابى الحلبي. ١٣٩١هـ.

١٩٧١م. ص ٢٢٤-٢٢٦.

^٢ - سورة الفتح، آية رقم (١٠)

^٣ -سورة الأسراء. آية رقم (٣٤)

٣- من له نساء أو يريد الزواج، فزوجاته طوالق إلى ثلاثين سنة من أخذ ميثاق هذه البيعة.

وقد ختمها بعبارة "وكفى بالله شهيداً" تلك العبارة التي تمثل إحدى الصيغ التي كان يختتم بها كتاب العصر العباسي البيعات والعهود.

٣- رسالة أبي جعفر بالبيعة للمهدى:-

هذه هي بيعة أبي جعفر المنصور يوصى فيها جميع المسلمين بمبايعة إبنه محمد المهدى من بعده، ثم بمبايعة عيسى بن موسى من بعده، وقد جاءت صيغة هذه البيعة على النحو التالي "والمهدى -معشر المسلمين- فى عفافه وصلاحه وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته، وإستصلاحه وإستبقائه، وعفوه ومقدرته، ورأيه ومكيدته وشوكته على عدوه، وحسن تدبيره فى ولايته وسياسته لجنوده، وورقه وعدله، وأدبه وفقهه، وفهمه ونجابته، ويمن نقيته*^١ وتوسعة ذات يده، وإغتقاره وهديه، وحُسن جزائه أهل الغناء*^٢ عنه والبلاء معه، والطاعة له والسمع منه، وولنيه وحزمه وعزمه، ووفائه وصدقته، وهو المصطنع لولايتكم، والمتخير لسياستكم وإجتماع الفتك، وتمام نعمة الله عليكم، ولم يكن الله ليُعد لهذه الأمور إلا مصطنعاً فى رأيه، كاملاً فى فضله وسياسته، قوياً على طاعة الله ونصر دينه والذبّ عن حقه وملته.

وقد بايع أمير المؤمنين ومن قبله من أهل بيته وجنوده ورعيته للمهدى إبن أمير المؤمنين لعيسى بن موسى من بعد محمد المهدى مستبشرين ببيعتهم، راغبين فيما صفت*^٣ عليه أيمنهم من تخير الذى كان يُذكر فى الأمير من تمام نعمة الله عليهم، مؤملين لما فى الأحاديث المأثورة من أهل الحق قبلهم موقنين بخيرة الله لهم، فإن اسم المهدى محمد بن أمير المؤمنين واسم أبيه، والزمان الذى كان يُذكر ذلك فيه، والأمر الذى نسبت إليه، والفتوح التى كانت تُذكر أنها كانت تُفتح عليها أول أمره، ومبتدأ زمانه -وقد رأيناها وعرفناها يشهد بعضها لبعض، متصلة على حالاتها متوالية على ما ذكر فى الأحاديث منها يصدق الأول منها الآخر على مراتبها ومنازلها، والأحايين التى تكون فيها، لا يحرم شئ منها عن شئ متلاحقة ملنئة إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، واصل هذه الأطراف المبكرة والأعلام المقدمة بأصولها الجسيمة العظيمة التى ملأت الأرض نوراً وعدلاً وعزاً لأهل الأسلام، وظفراً وتأييداً لأهل الحق، ونصراً وفضلاً ونعمة من الله عليهم، ولم بحب أمير المؤمنين أن يخرج عيسى بن

^١ * النقيه: النفس والطبيعة

^٢ * الغناء: الكفاية

^٣ * صفت: صفق يده بالبيع كضرب على يده، أى ضرب يداً بيد عن وجوب البيعة.

موسى من هذا الإل*^١، فعقد له من بعد محمد بن أمير المؤمنين وجعله ولىّ عهده، ونوى أمير المؤمنين الخير فى ذلك، وأحتسب الأجر من الله عليه، ورجا صلاح الرعية. فبايعوا باسم الله وعلى بركته وتوفيقه وتسديده لمحمد بن أمير المؤمنين بيعة رضوان من الله إن شاء الله، بصحة من نيّاتكم، وسلامة من صدوركم، ووفاء وإستقامة بخير صفقة صفقت عليها أيمانكم، وأعظمها إن شاء الله وأتمها نعمة، وأحسنها عافية، وأبلغها فى طاعة الله منزلة وأرفعها فى الخير درجة، فأبشروا بنعم مخبّات: عاجلات وآجالات يعد الله بها دينكم ويتم بها النعمة عليكم، ويقمع بها الشيطان وجنوده وأبالسته، ويفلّ بها حدّهم، ويوهن بها قوتهم، ويصرعهم فى كل موطن، ويقتلهم فى كل مشهد، فإنكم -معشر المسلمين- قد أخذتم فى توفيق الله إياكم، وتسديده لكم، بطرف أمر فيما ألهمكم الله من بيعتكم للمهدى إبن أمير المؤمنين، سيؤديكم إلى النعم التى كانت توصف، والظهور الذى كان يُذكر^٢. نلمس فى هذا العهد قوة الألفاظ وجزالة المعانى، فالكاتب قد بدأ عهده هذا مؤكداً على من وقعت عليه تلك البيعة وذلك بقوله: "والمهدى -معشر المسلمين". ثم زاد ذلك التوكيد على مبايعته بتعداد صفاته من المبايعة قوة، ثمّ أننا نلاحظ فى هذه البيعة أن الكاتب يجر تلك البيعة لشخص وإنما أكد على أن يكون هنالك من يخلفه فيجب مبايعته. وأيضاً نلمس فيها أسلوب الكاتب وبراعته فى إستخدام بعض المحسنات البديعية دون تكلف وذلك مثل الطباق فى قوله: "لينه وحزمه". وقوله: "عاجله وآجله"، والسجع المتوازى فى قوله: "وحسن جزائه أهل الغناء عنه والبلاء معه". ثم ختمها بتوكيده لهم بأن مبايعتهم للمهدى ستكون سبباً فى نزول النعم عليهم.

^١ *الإل: العهد

^٢ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج ٣. ط ١. ١٣٥٦هـ. ١٩٣٧م. ص ١٤٣-١٤٥.

٤ - رسالة المتوكل بالبيعة لبنيه:-

عقد المتوكل الأمر بولاية العهد لبنيه الثلاثة-المنتصر والمعتز والمؤيد-وعقد البيعة في سنة "٢٣٥هـ"، ضمّ فيه إلى المنتصر أفريقية والمغرب، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها، وإلى المؤيد الشام، وكتب بينهم هذا العهد الذي جاء نصّه على النحو التالي:

"هذا كتاب كتبه عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين، لمحمد المنتصر بالله ولأبي عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين فى أصالة من رأيه، وعموم من عافية بدنه، وإجتتماع من فهمه، مختاراً لما شهد به، متوخياً بذلك طاعة ربه، وسلامة رعيته وإستقامتها، وإنقياد طاعتها، وإتساع كلمتها، وصلاح ذات بينها، وذلك فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وولاية عهد المسلمين فى حياته، والخلافة عليهم من بعده، وأمره بتقوى الله التى هى عصمة من إعتصم بها، ونجاة من لجأ إليها، وعزّ من إقتصر عليها فإن بطاعة الله تتم النعمة، وتجب من الله الرحمة، والله غفور رحيم، وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله إبن أمير المؤمنين، إلى إبي عبدالله المعتز بالله إبن أمير المؤمنين، ثم من بعد إبي عبدالله المعتز بالله إبن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله إبن أمير المؤمنين.

وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله إبن أمير المؤمنين، على أبي عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله إبنى أمير المؤمنين: السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والموالاتة لأوليائه، والمعاداة لأعداءه، فى السر والجهر، والغضب والرضا، والمنع والإعطاء، والتمسك ببيعته والوفاء بعهده، لا يبغيانه غائلة *^١، ولا يحاولانه مخاتله *^٢ ولا يمالئان *^٣ عليه عدداً، ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقص لما جعل إليه أمير المؤمنين، من ولاية العهد فى حياته والخلافة من بعده.

*^١ الغائلة: الداهية

*^٢ المخاتله: المخادعة

*^٣ مالأه على الأمر: ساعده وشايعه

وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ، إبنى أمير المؤمنين: الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما، من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبى عبدالله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين - والإتمام على ذلك ولا يخلعهما، ولا واحداً منهما، ولا يعقد دونهما ولا دون واحدٍ منهما بيعة لولد ولا لأحدٍ من جميع البرية، ولا يؤخر منهما مقدماً ولا يقدم منهما مؤخراً، ولا ينقصهما ، ولا واحد منهما شيئاً من أعمالهما التى ولاهماً عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، وكل واحدٍ منهما، من الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضياع والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما فى عمل كل واحدٍ منهما من البريد والطراز وخزن بيوت الأعمال والمعاون ودور الضرب، وجميع الأعمال التى جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما، لا ينقل عن واحدٍ منهما أحداً من ناحيته من القواد والجند والشاكرية*^١ والموالى والغلمان وغيرهم، ولا يفترض عليه فى شئ من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما فى يده وما حواه وملكت يده من تالذ وطارف، وقديم ومستأنف، وجميع ما يستفيدة ويستفاد له، بنقض، ولا يُخرم*^٢، ولا يجنف*^٣، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وفضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه، بمناظرة ولا بمحاسبه، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها، ولا يفسخ فيما وكده أمير المؤمنين لهما فى هذا العقد وما يزيل ذلك عن جهته أو يؤخره عن وقته أو يكون ناقضاً لشئ منه.

وجعل عبدالله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبى عبدالله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التى إشرطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميع ما سمى فيه ووصف فى هذا الكتاب، وعلى ما بين وفسر مع الوفاء من أبى عبدالله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رضىاً مفضياً له مقدماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به

^١ *الشاكرى: الأجير والمستخدم

^٢ *الخرم: النقص

^٣ * الجنف: الميل والجور

أمير المؤمنين، غير ناكث ولا ناكب*^١، بذلك ولا مبدل، فإن الله تعالى جده، وعزّ ذكره، يتوعد من خالف أمره، وعند عن سبيله في محكم كتابه: "فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم"^٢

على أن لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين، ولأبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين، على محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافة إليه وهما مقيمان بحضرته، أو أحدهما، أو كانا غائبين عنه، مجتمعين كانا أو متفرقين، وليس أبو عبدالله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها، والمضمومة إليها، وليس إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها، فعلى محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين أن يمضى أبا عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها، والكور الداخلة فيما ولى جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين فلا يعوقه عنها، ولا يحبس قبيله، ولا في شئ من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها، وأن يعجل إشخاصه إليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها، مفرداً بها، مفوضاً إليه أعمالها كلها، لينزل حيث أحب من كور عمله، ولا ينقله عنها، وأن يشخص معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين، ويضم من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه وعماله وخدمه، ومن أتبعه من صفوف الناس وأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم، ولا يحبس عنه أحداً، ولا يشرك من أعماله أحداً، ولا يوجه عليه أميناً ولا كاتباً ولا بريداً، ولا يضرب*^٣ على يده في قليل ولا كثير، وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها، فيمن ضم أمير المؤمنين ويضمه إليه، من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته وصحابته وعماله وخدمته، ومن أتبعه من صفوف الناس بأهليهم وأولادهم وأموالهم ولا يحبس منهم أحداً، ويسلم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها لا يعوقه عنها ولا يحبس قبيله، ولا في شئ من البلدان دونها، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها، والياً عليها، ولا ينقله عنها، وآت عليه له فيمن ضم إليه من القواد والموالي والغلمان والجنود والشاكريه وأصناف الناس، وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي إشتراط على محمد

^١ *ناكب: ناكص

^٢ سورة البقرة. آيه رقم (١٨١)

^٣ *ضرب على يده: منعه من أمر أخذ فيه

المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها، على ما رسم من ذلك وبُيِّن ولُخِص وشرُح فى هذا الكتاب.

ولإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين على أبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافة إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام أن يقره بها، أو كان بحضرته أو كان غائباً عنه أن يمضيه إلى عمله من الشام، ويسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها، ولا يعوقه عنها، ولا يحبسها قبله ولا فى شئ من البلدان دونها، وأن يعجل إشخاصه إليها، والياً عليها وعلى جميع أعمالها، على مثل الشرط الذى أخذ لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها، على ما رسم ووصف وشرط فى هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط، من محمد المنتصر بالله وأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين، أن يُزيل شيئاً مما إشتطنا فى هذا الكتاب ووكدنا، وعليهم جميعاً الوفاء به، لا يقبل الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه وكان عهد الله مستولاً.

أشهد الله رب العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين بجميع ما فى هذا الكتاب، على إمضائه إياه، على محمد المنتصر بالله وأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين بجميع ما سُمى ووصف، وكفى بالله شهيداً ومعيناً لمن أطاعه راجياً، ووفى بعهده خائفاً، وحسبياً ومعاقباً من خالفه معانداً، أو صدف*^١ عن أمره مجاهداً.^٢

القارئ لهذه البيعة يلمس فيها قوة معانيها وإحكام صياغتها، فالكاتب فيها بسط القول وأطنب فى مجال كان يمكن له فيه أن يوجز، وتجد التكرار واضحاً فى بعض العبارات وذلك فى مثل قوله: "محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين" فقد ركز كثيراً على تكرار عبارة "أمير المؤمنين". بيد أنه قد أشار ووضح شروط من ينبغى أن تعقد عليه الأمة آمالها وهذه هى الأشياء التى دائماً ما كانت تُذكر فى بيعات العباسيين.

^١ - *صدف: أعرض

^٢ - جمهرة رسائل العرب أحمد زكى صفوت ج ٤. مرجع سابق. ص ١٢٨-١٣٣.

أيضاً مما يُلاحظ على هذه الرسالة أن الكاتب لم يتقيد فيها بالمحسنات البديعية بل أطلق لنفسه العنان حتى تأتي عباراته منسجمه وإن وجد بعضها في بعض جوانب الرسالة مثل السجع في قوله: "وسلامة رعيته وإستقامتها، وإنقياد طاعتها، وإتساع كلماتها، وصلاح ذات بينها". ونجده قد إقتبس من معنى قوله تعالى وذلك في قوله: "والتمسك بعهد الله فيه، وكان عهد الله مسئولاً" والله تعالى يقول: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً" أما من حيث مقدمتها فقد بدأها بقوله: "هذا كتاب كتبه فلان... لفلان"، وختمها بقوله: "وكفى بالله شهيداً".

تلك هي الصيغ المتبعة في كتابة البيعات لدى الكتّاب في الدولة العباسية.

المبحث الثاني:-

رسائل العهود:-

١. رسالة عبدالله بن هارون الرشيد بالعهد لعلّ بن موسى
٢. رسالة عبدالكريم الطائع بالعهد للحسين بن موسى
٣. رسالة المهدي بالعهد لأحد ولاته
٤. رسالة العاضد بتقليد الوزارة لصلاح الدين الأيوبي

المبحث الثاني: رسائل العهود:-

١-رسالة عبدالله بن هارون الرشيدبالعهد لعلى بن موسى:-

هذه هي نسخة عهد كتب به عبدالله بن هارون الرشيد،لولى عهده من بعده على بن موسى بن جعفر.وقد بدأالعهد بقوله:

"هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده ،لعلى بن موسى بن جعفر ولىّ عهده.أما بعد،فإن الله عزّوجلّ إصطفى الأسلام ديناً،وإصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه،وهادين إليه،يبشر أولهم بآخرهم ،ويصدق تاليهم ماضيهم،حتى إنتهت نبوءة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل،ودروس من العلم،وإنقطاع من الوحي،وإقتراب من الساعة،فختم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم،ومهميناً عليهم ،وأنزل عليه كتابه العزيز الذى"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد".^١

فأحل وحرّم،ووعد وأوعد ،وحذر وأنذر،وأمر ونهى:لنكن له الحجة البالغة على خلقه:و"ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة وإن الله سميع عليم"^٢.فبّلع عن الله رسالته ،ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة،والمجادلة بالتى هى أحسن،ثم بالجهد والغظة حتى فبضه الله إليه،وإختار له ما عنده صلى الله عليه وسلم،فلما إنفضت النبوءة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة،جعل قوام الدين،ونظام أمر المسلمين،بالخلفة وإتمامها وعزها،والقيام بحق الله فيها بالطاعة التى تقام بها فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه،ويُجاهد بها عدوه،فعلى خلفاءالله طاعته فيما إستحفظهم وأسترعاهم من دينه وعباده،وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله،وأمن السبل وحقن الدماء،وصلاح ذات البين،وجمع الإلفة وفى إخلال ذلك إضطراب حبل المسلمين وإختلالهم،وإختلاف ملتهم،وقهر دينهم ،وإستعلاء عدوهم،وتفرق الكلمة،وخسران الدنيا والآخرة،فحق على من إستخلفه الله فى أرضه ،وإئتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ويعدل فيما الله واقفه عليه وسائله عنه،ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمّله الله وقدّده،فإن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه داؤود عليه السلام:"يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض

^١ - سورة فصلت.آية رقم (٤٢)

^٢ - سورة الأنفال.آية رقم (٤٢)

فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"^١. وقال عزّ وجلّ: "فوركك لنسئلتهم أجمعين عمّا كانوا يعملون"^٢. وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: "لو ضاعت سخله بجانب الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنها". وأيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله، فيما بين الله وبينه لمتعرض لأمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة، وبالله الثقة، وإليه المفزع والرغبة في التوفيق مع العصمة، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة. وأنظر الأئمة لنفسه، وأنصحهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه، من عنل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه، وأجتهد وأجهد رأيته ونظره فيمن يوليه عهد، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم، ومفزعاً في جمع إلفتهم، ولم شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقته، وفساد ذات بينهم وإختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيدهم عنهم، فإن الله عزّ وجلّ جعل العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله، والههم خلفائه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت منه العافية، ونقض الله بذلك مرّ*^٣ أهل الشقاق والعداوة والسعى في الفرقة والرّفص*^٤ للفتنة، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فأختبر بشاعة مذاقتها، وثقل حملها وشدة مؤنتها، وما يجب على من تقلدها من إرتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمّله منها، فأنصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعه بهنى العيش: علماً بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقى الله مناصحه في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأمة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه ورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه، مناجياً لله بالإستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومُعَملاً في طلبه وإلتماسه من أهل بيته من ولد عبدالله بن العباس وعلى بن أبى طالب فكره ونظره، ومقتصراً فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمّن خفى عليه أمره جهده وطاقته، حتى إستقصى أمورهم بمعرفته، وأبتلى أخبارهم مشاهدته، وكشف ما

^١ -سورة ص. آية رقم (٢٦)

^٢ -سورة الحجر. الآيات (٩٢، ٩٣)

^٣ -*مرّ: المرّ بفتح الميم هو الحبل

^٤ -*الرّفص فيها: أى تركها تسيير فيهم

عندهم مُساءله، فكانت خيرته بعده إستخارته لله وإجهاده نفسه فى قضاء حقه وبلاده، من البيت جميعاً "على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب: لما رأى من فضله الشارع، وعلمه الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس، وقد إستبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئه، والألسن عليه متفقه والكلمه فيه جامع، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً ناشئاً، وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين، ونظراً للمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاه فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدمه، فبايعوا مسرعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده وغيرهم من هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة، وسماه "الرضى" إذ كان رضياً عند أمير المؤمنين. فبايعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينه المحروسه من قواده وجنده، وعامة المسلمين "الرضى" من بعده، على إسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه عباده، ببيعة مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته فى رعايتكم، وحرصه على رشدكم وصلاحكم، راجين عائده فى ذلك فى جمع ألفتكم، وحقن دمائكم، ولم شقتكم، وسد ثغوركم، وقوة دينكم، ورغم عدوكم، وإستقامة أموركم، وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، فإنه الأمر إن سارتم إليه، وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله تعالى¹.

بدأ الكاتب عهده بذات الصورة التى كانت تفتح بها العهود فى العصر العباسى ألا وهى "من عبد الله بن هارون الرشيد، لعل على بن موسى". ثم أتى بعده بالبعديه وهى قوله "أما بعد". ونلمس فيها كثرة إستعماله الصور البيانية وذلك مثل الطباق فى قوله: "أحل وحرّم" - "وعد وأعد" - "حذر وأذّر" - "أمر ونهى". والجناس فى مثل قوله: "فضله البارع، وعلمه الناصع". ثم درج على إقتباس كثير من الآيات وبعض الأحاديث وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه". وقد يأتى إقتباسه أحياناً إشارة وذلك مثل قوله: "ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة... الخ" - "أخذاً من قوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك

¹ - صحیح الأعشى. أبى العباس أحمد بن على القلقشندى. ج ٩. ٨٢١ هـ. ٤١٨ م. ص ٣٦٢-٣٦٦.

بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن". وأيضاً قوله: وطلباً للسلامة وثبات
الحجة... الخ- مأخوذة من قوله تعالى: "يوم يقوم الناس لرب العالمين"^١.
أما إقتباسه من الأحاديث فهو أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "لو ضاعت سخله
بجانب الفرات... الخ". وهو إقتباس بأخذ النص.
ثم بين في هذا العهد أنه قائماً على إستخارة الله عزّوجل في ذلك الأمر وعلى مشورة أهل
بيته، مبيناً صلاح من أختير لولاية عهدهم.
ثم ختم بقوله: "إن شاء الله تعالى". تلك العبارة التي عادة ما يختتم بها العهد العباسى وبخاصه في
الأمر المستقبلة.

^١ -سورة المطففين. آيه رقم (٦).

٢ - رسالة عبدالكريم الأمام الطائع بالعهد للحسين بن موسى العلوى :-

هذا العهد كتب به أبوأسحاق الصابى عن الطائع لله للحسين بن موسى العلوى فى ولاية عهدہ للأوقاف ،وجاء نص ذلك العهد على النحو التالى:

"هذا ما عهد عبدالله عبدالكريم الأمام الطائع لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن موسى العلوى ،حين طابت منه العناصر، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر، جمع إلى شرف الأشراف الذى ورثه شرف الخلق الذى إكتسبه، ووضحت آثار دينه وأمانته ،وبانت أدلة فضله وكفايته، فى جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال، وحمّله إليه من الأتقال، فأضاف إلى ما كان قد ولّاه من ذلك النظر فى الوقوف التى كانت يدخلان فيها بالحصرة وسوادها، ثقةً بسداده، وسكوناً إلى رشاده، وعلماً بأنه يعرف حق الضيعة ،ويرعى ما يستحفظه من الوديعة، ويجرى فى المنهل الذى أحمده أمير المؤمنين من ووكل إليه. والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأى فيما نحاها وتوخاها، ويؤمنه فى عاقبته الندم فيما قضاها وأمضاه، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب.

أمره بتقوى الله التى هى عماد الدين، وشعار المؤمنين، وأن يعتقدوا فى سره ونجواه، ويجعلها الذخيرة لأولاده وأخراه، ويتجنب الموانع المونية، ويتوقى الموارد المُرِيه، ويغض طرفه عن المطامع المغويه، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزيه، فإنه أحق من فعل ذاط وآثره، وأولى من أعتدته وأستشعره، بنسبه الشريف ،ومفخره المنيف، وعادته المشهورة، وشاكلته المأثورة ،وتلاوة كتاب الله الذى هو سنة رسول الله الثقلان المخلفان فى الأمة، وقد جمعتهم، وآخرهما الأنساب وجمعتهم الثانى عصمة أولى الألباب، وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه، وأنه غصن من دوحة أمير المؤمنين، التى تحدّاهها الله بالأنذار قبل الخلائق أجمعين، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله: "وأندر عشيرتك الأقربين"^١. وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى، ووعد عباده عليها الزلفى ،فقال: "ياأيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين"^٢.

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستقداً طوقه فى عمارتها، مستقرغاً وسعه فى مصلحتها، دائباً فى إستغلالها وتثميرها، مجتهداً فى تدبيرها وتوفيرها، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذى يخرج للنفقة على حفظ أصله، وإستدرار

^١ -سورة الشعراء. آية رقم (٢١٤)

^٢ -سورة التوبة. آية رقم (١١٩)

حلبه، والمثونة الراتبة للقوام عليه، والحفظه له، إلى أربابه الذى يعود ذلك عليهم فى وجوهها التى سئل لها، ووقف عليها، واضعاً جميع مواضعه، موقِعاً له مواقعهُ، خارجاً إلى الله من الحق فيه مؤدياً الأمانة إليه، وأن يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم، ويكتب البرآت عليهم بما يستوفونه من أموالهم، وما يستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه، ويصرفه منها إلى أهله، ويخرجه منها فى حقوقها وأبواب برها، وسائر سبلها ووجوها، سالكاً فى ذلك مذهب المعروف فى أداء الأمانة، وإستعمال الظلف والنزاهة، معقباً على من كان ناظراً فيها من الخونه الذين لم يرعوا عهداً، يتصونوا عن سحت المطاعم، وظلم المآثم.

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد، مشهور بالرشاد، معلوم منه نصيحة الأصحاب، والضبط للحساب، وتفويض ديوان الوقوف وتدييره إليه، وتوصيته بصيانة ما يشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها، وقليل الحجج وكثيرها، وأن يحتاط لأربابها فى حفظ رسومها ومعاملاتها، وحراسة طسوقها*^١ ومقاسماتها، حتى لا يستمر عليها حيف يبقى أثره، ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره، وان ينصف الإكثرة فيها والمزارعين، وسائر المخالطين والمعاملين، ولا يجشمهم*^٢ حيفاً، ولا يسومهم خسفاً، ولا يعضى لهم عن حق، ولا يسمح لهم بواجب، خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم، نياتهم، وإحتلاب الفائدة منهم والفائدة لهم، فإنه مؤتمن فى ذلك كله أمانة، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها.

وأمره باختيار خازن حصيف*^٣، قوم أمين، يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتها، وسائر دفاترها وحساباتها، فإنها ودائع أربابها عنده، وواجب أن يحتاط عليها جهده، ومتى شك فى شرط من الشروط، أو حدٍ من الحدود، أو عارض معارض، أو شاغب مشاغب، فى أيام نظره وأيام من عسى أن تنتقل ولاية هذه الوقوف إليه، ويُنَاط تدييرها به، دفع ما يحدث منه ذلك بهذه الحجج التى هى معارف البرهان، وقواعد البنيان، وإليها المرجع فى كل سنة تُتصر وتقام، وشبهة تُدحض وتضام.

*^١ الطسوق :

*^٢ الجشم: النقل بالأمر

*^٣ الحصيف: جيد الراى محكم العقل

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، ووثيقته الحاصلة فى يدك، فأتبع آثار أوامره، وأزدرج عن نواهيته وزواجره، وأستمسك به تتجح وتسلم، وأعمل عليه تفز وتغنم، وأسترشد الله يرشدك، وأستهده يهدك، وأستنن به ينصرك، وفوض إليه يعصمك، إن شاء الله تعالى".^١

يُعد أبو إسحاق الصابى من الكتاب البلغاء فى الفتره الثانية من العصر العباسى، بدأ كتابه هذا بقوله: "من فلان إلى فلان". ثم دلف مباشرة إلى الموضوع الذى من أجله كُتب هذا العهد ألا وهو الأوقاف، فقد كان من عادة الكتاب وبعد التقديم الموجز لرسائلهم الولوج إلى الموضوع مباشرة ودون إطناب، وعلى هذا النسق فعل الصابى فى رسالته.

ثم بدأ فى تعداد صفات من يريد الخليفة أن توكل إليه مهمة عهد الأوقاف، بعد ذلك عرض لبعض الأمور التى أمر بها الخليفة مثل تقوى الله، والعمل جاهداً على عمارة ديوان الأوقاف، وأن يتخذ له كاتباً يقوم بضبط حساباته، وأن يعمل على إختيار خازن يُعنى بشئون الأوقاف وسجلاتها.

أيضاً نجد فى هذه الرسالة بلاغة الكاتب التى تتمثل فى استخدامه السجع بصورة واسعة واستخدامه للمقابلة فى مثل قوله: "ويغض طرفه عن المطامع المغوية، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزیه".

وأيضاً لجأ إلى الإقتباس الصريح من القرآن الكريم من قوله تعالى: "وأندر عشيرتك الأقربين". وأيضاً لجأ إلى السجع المتوازى فى قوله: "واضعاً جميع ذلك مواضعه، موقعاً له مواقعه". وأيضاً فى قوله: "عارض معارض". "شاغب مشاغب".

ثم تتضح حصافة الكاتب وبلاغته وإستخدامه لأسلوب النهى الذى يهياً لقارئه أنه لا يخرج فيما نُهو عنه، ثم يعود ويوضح بعض الأمور التى يسمح بها وذلك فى قوله: "ولا يغضى لهم عن حق، ولا يسمح لهم بواجب، خلا ما عادت السماح به بزيادة عماراتهم... الخ"

ثم ختم هذا العهد ببعض الوصايا التى يجب أن يتمسك بها المعهود إليه، وبقوله: "إن شاء الله تعالى".

^١ - صبح الأعشى. الفلقشندي. ج. ١٠. مرجع سابق. ص. ٢٥٩ - ٢٦٢.

٣- رسالة المهدي بالعهد لأحد ولاته:-

هذه نسخة عهد كتب بها الخليفة عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين إلى أحد ولاته حيث ولاه على أرمينيا وجميع أعمالها، وجاءت نسخته على النسق التالي:

"هذا ما عهد به عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين إلى فلان، أمره بتقوى الله في سرائره وعلانيته، والإعتصام بالله والعمل بطاعته، والإيثار لحقه على ما سواه، والمراقبة له والخشية منه، والحفظ لدينه وأمانته، والإنتهاء إلى ما يحق عليه فيما وافقه وخالفه، فإن الله لا يضيع لمحسن أجراً ولا يصلح لمفسد عملاً.

وأمره أن يشعر قلبه مخافة الله وهيبته، وأن يعلم أنه لا حول قوة في شئ إلا بالله والعمل بطاعته، فإن الله عزوجل إذا علم بذلك بصدق نيته وصحة من يقينه، أحسن عونه، وخار* له في قضائه، وكفاه ما همّه، ولم يكله في شئ من أمره إلى نفسه إن شاء الله. وأمره أن يتعاهد نفسه في دينه وطاعته ونصيحته وحاله، والصغير والكبير من أمره، ويكثر ذكر علمه به وقدرته عليه، ولا ياتمر أمراً حتى يستخير الله فيه، ويستعينه عليه، ويستقضيه فيه، بالذي هو أحب إليه، وأرضى عنده، فإن العاقبة للتقوى، وإن أفضل الأمور أصلحها عاجلاً، وخيرها عاقبة، وأعظمها أجراً، وأحسنها ذخراً، إن شاء الله.

وأمره أن يعلم أن الثغر الذي ولّاه أمره، من أعظم ثغوره عنده، وأهم أعماله إليه، لقربه من العدو، وإطلاله عليهم، وموقعه من المسلمين، وأنه لم يسنده إليه إلا لحاله عنده، وثقته به، ومعرفته بطاعته ونصيحته، وكفايته وضبطه ومبالغته، وحسن سيرته وسياسته ومكيدته، ونكايته في أهل الشرك بالله، وعن الإسلام، وأهله وانه ليس أحد من عماله إن أتقى وأعتصم بأمره وأخذ بعهدده ورأيه، بأسرع منه بكل أمر زاده الله به عنده منزلة ومزية وفضلاً.

، أمره أن يصلى الصلوات لمواقيتها في مسجد الجماعة، ولا يتشاغل عنها بغيرها، فإن الله جعلها عمود الدين فقال تبارك وتعالى: "فإذا أطأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً"^٢.

^١ * خار الله له في الأمر: جعل له فيه الخير

^٢ - سورة النساء . آية رقم (١٠٣)

وأمره أن يفتح بابه لأهل عماله، ويقل الإحتجاب عنهم، ويُلين كنفه*^١ لهم، وينظر فى أمورهم ومظالمهم، وينصف بعضهم من بعض، ولا يخاف شريفاً لشرفه، ولا يتعدى على وضع لضعته، وألا يكون لأحد من الناس، يخالف الحق عنده، هوادة ولا غميمة*^٢، وأن يصبر نفسه على ما نابه وورد عليه من أمورهم ومظالمهم، وينظر ويجلس له، حتى يودى إلى كل ذى حق حقه، فإن فى ذلك صلاحهم ومعونته على ما ينوى من العدل عليهم، وتأدية حق الله عليه فيهم إن شاء الله.

أمره أن بحسن الولاية ورفق السياسة، وإظهار العدل والعمل بالحق، وكف الظلم، وإبطال الجور، وإيثار أهل الطاعة والنصيحة والفضل والورع وصدق النية، ويفضلهم على غيرهم ويستعين بأرائهم فيما هو مصدره حتى يكون ما يُمضى وينفذ منه بحسب ما يجتمعون عليه ويرونه موافقاً للعدل، مجانياً للظلم والجور.

هذا عهدى إليك، وأمرى إياك فيما وليتك، وأسندت إليك وقادتك، فأمتتله وأعمل به ولا تجاوزه، وأستعن بالله فيما عليك، يعنك الله، والله أسأل أن يصلى على محمد عبده ورسوله، وأن يوفقك ويحسن كفايتك"^٣.

لجأ الكاتب فى هذا العهد إلى إستخدام أسلوب اللين وعدم الشده حيث أن المقام يقتضى ذلك، وبدأه بقوله: "هذا ما عهد به فلان إلى فلان"، ثم دلف إلى تعداد ما ينبغى أن يكون عليه من الطاعة فى حفظ حدود الله فى رعيته وفيما ولاه عليه، ونجده فى هذا الكتاب لم يستخدم المحسنات إلا قليلاً وذلك مثل الإقتباس فى قوله: "الله لا يضيع لمحسن أجراً" والله سبحانه وتعالى يقول: "والله لا يضيع أجر المحسنين"^٤. وأيضاً أخذ من حديث النبى صلى الله عليه وسلم: "وإذا أستعنت فأستعن بالله" حينما قال: "وأستعن بالله فيما عليك، يعنك الله" ثم ختم هذا العهد بالدعاء له بالتوفيق.

^١ * الكنف: الجانب

^٢ * غميمة: مطعن أو مطمع

^٣ -جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص ١٥٢-١٥٤،

^٤ -سورة التوبة. آية رقم (١٢٠)

٤- رسالة العاضد الفاطمي بتقليد الوزارة لصالح الدين الأيوبي:-

وعلى نفس النسق الذى كانت تجرى عليه عهود العباسيين لأبنائهم بالخلافة من بعدهم، وعهودهم لولائهم بمخافة الله فى رعيّتهم، كانت عهودهم بتقليد المناصب والوزارات، وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى الفاضل عن الخليفة العاضد لدين الله أمير المؤمنين بتقليد الوزارة للناصر صلاح الدين الأيوبي، وجاءت نسخة العقد كما يلى:

"من عبدالله ووليه عبدالله أبى محمد الأمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين، إلى السيّد الأجل، الملك المنصور، سلطان الجيوش، وليّ الأمة، فخر الدولة، أسد الدين، الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، أصلح الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته.

سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وسأله أن يصلى على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المسلمين.

أما بعد، فالحمد لله مصرف الأقدار، ومشرّف الأقدار، ومحصى الأعمال والأعمار، ومبتلى الأخيار والأبرار، وعالم سر الليل وجهر النهار، وجاعل دولة أمير المؤمنين فلماً تتعاقب فيه أحوال الأقدار: بين إنقضاء سرار وأستقبال إيدار، وروضاً إذا هوت فيه الدوحات أينعت الفروع سابقة النوار باسقة الثمار، ومنجد دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها، والجواهر المستخرجة من أمضى نصولها، والقائم بنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها قائمة على أصولها.

والحمد لله الذى أختار أمير المؤمنين ودله على مكان الاختيار، وأغناه بإقتضاب الإلهام عن رؤية الإختبار، وعضدّ به الدين الذى أرتضاه وعضدّه بمن أرتضاه، وأنجز له وعد السعد ما قضاه قبل إن إقتضاه، ورفع محله عن الخلق فكلهم من مضاف إليه غير مضاه، وجعل مملكته عربياً لإعتزازها بالأسد وشبله، ونعمته ميراثاً أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله، وأظهر فى هذه القضية ما أظهره فى كل القضايا من فضل أمير المؤمنين وعدله، فأولياؤه كآيات التى تتسق ذرارى أفقها المنير، وتتسق در عقدها النظيم النضير: "ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير".^١

^١ - سورة البقرة. آية رقم (١٠٦)

والحمد لله الذى أتمّ بأمر المؤمنين نعمة الإرشاد، وجعله أولى من المخلوق ساد، وللحق شاد، وآثر بالمقام الذى لا ينبغى إلا له فى عصره، وأظهر له من معجزات نصره ما لا يستقل العدد بحصره، وجمع لمن والاه بين رفع قدره ووضع إصره، وجعل الإمامة محفوظة فى عقبه والمعقبات تحفظه بأمره، وأودعه الحكمة التى رآه لها أحوط من أودعه، وأطلع من أنوار وجهه الفجر الذى جهل من ظن غير نور مطلقه، وآتاه ما لم يؤت أحداً، وأمات به غياً وأحيا به رشداً، وأقامه للدين عاضد فأصبح به معتضداً، وحفظ به مقام جده وإن رغم المستكرون، وأنعم به على أمته أماناً لولاه ما كانوا ينظرون ولا يبصرون: "ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون"¹

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيق يذلل له الصعب الجامح، ويدينى منه البعيد النازح، ويخلف على الدين من صلاحه الخلف الصالح، ويؤزم آراءه جدد السعود الواضح، ويريه آيات الإرشاد، ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى أنجى أهل الإيمان ببعثه، وطهر بهديه من رجس الكفر وخبثه، وأجار بإتباعه من عنت الشيطان وعبثه، وأوضح جاده التوحيد لكل مشرك الاعتقاد مثلته، وعلى أبينا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب الذى جادلت يده بلسان ذى الفقار، وقسم ولاؤه وعدواته بين الأتقياء والأشقياء الجنة والنار، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين أذل الله بعزتهم أهل الإلحاد، وأصفى بما سفكوه من دمائهم موارد الرشاد، وجرت أيديهم وألسنتهم بأقوات القلوب وأرزاق العباد، وسلم ومجد ووالى وجدد.

وأن الله سبحانه ما أخلى قط دولة أمير المؤمنين التى هى مهبط الهدى ومحط الندى، ومورد الحياة للولى والردى للعدا، من لطف يتلافى الحادثه ويشعبها ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تشد موضع الكلم، وتسد موضع النلم، وتجلى عمائم النعم، وتطفى مغانم النعم، وتستوفى شرائط المناجج، وتستندى فوارط المصالح، ولم يكن ينسى الحادثه فى السيد الأجل الملك المنصور رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقبلة ومثواه، التى كادت لها أوأخى*² الملك تترعرع، ومباني التذبير تتضعض، إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله من اصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر - أدام الله قدرتك - لأن تقوم بخدمته بعده، وتسدد فى

¹ - سورة الأنفال. آية رقم (٣٣)

² * - أوأخى: جمع أخيه، وهو عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة.

تقدمه جيوشه مسده، وتقفو في ولائه أثره، ولا تفقد منه إلا أثره، فوازن الفارحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفى حظه من أمير المؤمنين بأجر لا يضيع الله فيه عمله، فأستوجب معقد صدق بما أعتقده من تأدية الأمانة له وحمله، وأستحق أن ينضر الله وجهه بما أخلقه الله من مواقف الجهاد وبدله، ومضى في زمام رضا أمير المؤمنين، وهو الذمام الذي لا يقطع الله منه ما أمره أن يصله، وأتبع من دعائه بتحف أول ما تلقاه بالروح والريحان، وذخرت له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان في الأمان، فرعى الله له قطعه البيداء إلى أمير المؤمنين وتجشمه الأسفار، ووطأه المواطئ التي تغيظ الكفار، وطلوعه على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرته التي جمعت له أجرين: أجر المهاجرين وأجر الأنصار، وشكر له ذلك المسعى الذي بلغ من الشرك النار، وبلغ الإسلام الإيثار، وما لقي ربه حتى تعرض للشهادة بين مختلف الصفاح، ومشتجر الرماح، ومفترق الأجسام من الأرواح، وكانت مشاهدته لأمر المؤمنين أجراً فوق الشهادة، ومينة الله عليه له بها ما للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وحتى رآك أيها السيد الأجل الملك الناصر - أدام الله قدرتك - قد أقررت ناظره، وأرغمت مناظره، وشددت سلطانه، وسددت مكانه، ورضى بك فأصاب، وسقى بك فصاب، وجمعت ما فيه من أبه المشيب إلى ما فيك من مضاء الشباب، ولقنت ما أفادته التجارب جملة، وأعانتك المحاسن لتي هي فيك جله، وقلب عليك إسناد الفتكات فتقلبت، وأوضح لك منهاج البركات فتقبلت، وسددك سهماً، وجردك شهماً، وأنتضاك فأرتضاك عرباً، وآثرك على آثر ولده إمامه في التدبير وحرماً، وكتب في السلم لسانه الآخذ بمجامع القلوب، وفي الحرب سنانة النافذ في مضايق الخطوب، وساقته إذا طلب، وطليعته إذا طلب، وقلب جيشه إذا ثبت، وجناحه إذا وثب، ولا عُذر لشبل نشأ في حجر أسد، ولا لهلال أستملى النور من شمس وأستمد.

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد في هذا الحديث، وهذا المسند الجامع من قديم الفخر وحديث، لأغنتك غريزة عزيزة، وسجية، وشيمه وسميه، وخلائق فيها ما تحب الخلائق، ونحائز لم يحز مثلها حائز، ومحاسن، ماؤها غير آسن، وماثر جد غير عائر، ومفاخر غفل عنها الأول ليستأثر بها الآخر، وبراعة لسان ينسجم قطارها، وشجاعة جنان تضطرم نارها، وخلال جلال عليك شواهد أنوارها تتوضح، ومساعي مساعد لديك كما تم نورها تتفتح، فكيف وقد جمعت لك في المجد بين نفس وأب وعم، ووجب أن أسألك من اصطفاء أمير المؤمنين ماذا حصل ثم على الخلط عم، فيومك واسطه في المجد بين غدك وأمسك، وكل نادٍ من أندية الفخار لك أن تقول فيه

وعلى غيرك أن يمسك، فتراك أن أنعم أمير المؤمنين موصولة منك بوالدٍ وولد، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد.

ولما رأى الله تقلب وجه أمير المؤمنين في سائه ولآه من اختيارك قبله، وقامت حجته عند الله بأستكفائك، وزيراً له ووزيراً للملّة، فناجته مرشد الإلهام، وأضاءت له مقاصد لا تعقلها كل الأفهام، وعزم له على أن قلّدتك تدبير مملكته الذى أعرفت فى إرثه وأغرقت فى كسبه، ومهدّ لك أبعاد غاية فى الفخر بما يسرّ لك من قربه، ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه، وذكر فيك قول ربه: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه"^١. وقلّدتك لأنك سيف من سيوف الله تعالى يحق به التقلّد وله التقليد، وأصطفاك على علم بأنك واحد منتظم فى معنى العديد، وأحيا فى سلطان جيوشه سنة جدّه الأمام المنتصر بالله فى أمير جيوشه الأول، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وانه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل، وخرج أمره إليك بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليده وزارته التى أحلك ربوتها، وأحل لك صهوتها، فنقلّدت وزارة أمير المؤمنين من رتبته التى تناهت فى الأناقة، إلى أن لا رتبة ألا فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافة، وتبوأ منها صدرًا لا تتطلع إليه عيون الصدور، وأعتقل منها فى درجة على مثلها تدور البذور: "وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"^٢: "وقل الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور"^٣.

وباشر مستبشراً. وأستوطن متدبراً، وأبسط يدك فقد فوّض إليك أمير المؤمنين بسطاً وقبضاً، وأرفع ناظرك فقد أباح لك رفعاً وخفضاً، وأثبت على درجات السعادة فقد جعل لحكمك تثبيتاً ودحضاً، وأعدّ حُبى العزمات فقد أطلق بأمرك عقداً ونقضاً، وانفذ فيما أهلك فقد أدى بك نافلة من السياسة وفرضاً، وأصرف أمور المملكة فإليك الصدق والتصريف، وتقف أود الأيام فعليك أمانة التهذيب والتنقيف وأسحب ذبول الفخار حيث لا تصل التيجان وأملاً لحظاً من نور الله تعالى حيث تتقى الأبصار لحين الأجفان، إن هذا لهو الفصل المبين فارتبطه بالتقوى التى هى عروة النجاة وذخيرة الحياة والممات، وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات، وخير ما قدمته النفوس لغدها فى أمسها، وجادلت يوم تجادل كل نفس عن نفسها، قال الله سبحانه وتعالى، ومن

^١ - سورة الأعراف. آية رقم (٥٨)

^٢ - سورة لقمان. آية رقم (١٧)

^٣ - سورة فاطر. آية رقم (٣٤)

أصدق من الله قتيلاً: "والآخرة خير لمن أتقى ولا تظلمون فتيلًا"^١. وأسنتتم بالعدل نعم الله عليكم، وأحسن كما أحسن الله إليكم، وأمر بالمعروف فأنتك من أهله، وأنه عن المنكر كما كنت تنتزهت عن فعله، وأولياء أمير المؤمنين وأنصاره الميامين، ومن يحق بمقام ملكه من الأمراء المطوقين، والأعيان المعصيين، والأمانل والأجناد أجمعين، فهم أولياؤه حفاً، ومماليكه رفاً، والذين تبوعوا الدار والإيمان سبقاً، وأنصاره غرباً كما أن عسكريك أنصاره شرقاً، فهم وهم يد فى الطاعة على من ناواهم، يسعى بذمتهم أدناهم وتحكم وأنت عند أمير المؤمنين أعلاهم.

هذا وقد كان السيد الأجل الملك المنصور -رضى الله عنه- أستمطرهم إنعام أمير المؤمنين المسامحة بعقلهم، وساوى فى هذه المنقبة التى أستحق بها حسن الذكرين طوائفهم وفرقهم، فصنهم من جائحات الإعتراض، وأبذل لهم صالحات الأغراض، وأرفع دونهم الحجاب، ويسر لهم الأسباب، وأستوف منهم عند الحضور إليك غايات الخطاب، وصرقهم فى بلاد أمير المؤمنين ولالة وحماه، كما تصرفهم فى أوقات الحرب لمائة وكماة، وعرفهم بركة سلطانك، وأقتد قلوبهم بدمام إحسانك.

وأما القضاة والدعاة فهم بيت كفالنتك وهديك، والتصريف على أمرك ونهيك، فأستعمل منهم من أحسن عملاً، فأماً بالعنايات فلا.

والجهاد فأنت راضع درّه، وناشئة حجره، وظهور الخيا مواطنك، وظلال الجبل مساكنك، وفى ظلمات مشاكله، تجلى محاسنك، وفى أعقاب نوازله، تتلى ميامنك، فشمر له عن ساق من القنا، وخض فيه بحراً من الظبا، وأحلل فيه عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الحبى، وأسل الوهاد بدماء العدا وأرفع برؤسهم الرّبا، حتى يأتى الله بالفتح الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك ومشهوداً به يوم مقامك بين يديه من لسان إمامك.

والأموال فه زبدة حلب اللطف لا العنف، وجمّة يمتريها الرفق لا العسف، وما برحت أجد ذخائر الدول للصفوف، وأحد أسلحتها التى تمضى وقد تبؤ السيوف، فقدم للبلاد الإستعمار، تقدم لك الإستثمار، وقطرة من عدل تتخذ بها من مال بحار.

والرعايا فهم ودائع الله لأمير المؤمنين وودائعه لديك، فأقبض عنهم الأيدى وأبسط بالعدل فيهم يديك، وكن بهم روءفاً، واجعل الضعيف منهم فى الحق قوياً والقوى فى الباطل ضعيفاً، ووكّل برعايتهم ناظر إجتهادك، وأجعل أسنتهم بالدعاء من سلاحك وقلوبهم بالمحبة من أجنادك، ولو

^١ - سورة النساء. آيه رقم (٧٧)

جاز أن يستغنى عن الوصيّة قائم بأمر، أو جالس فى صدر، لأستغنى عنها بفطنتك الزكية، وفطرتك الذكية، ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وانت من المؤمنين، وعرايه بركه فتلق رايتها باليمين، والله تعالى يؤيدك أيها السيّد الأجل-أدام الله قدرتك- بالنصر العزيز، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يدك بالفتح الوجيز، ولأهلها فى نظرك بالأمر الحريز. ويُمَتع دست الملك بحلىّ مجدك الإبريز، ويقر عيون الأعيان بما يظهر لك فى ميدان السعادة من السبق والتبريز، ويُمَلِّك من نحلة أنعم أمير المؤمنين بما ملكت إياه ملك التحويز، ويُلحِق بك فى المجد أولك، ويُحَمِدُ فيك العواقب ولك، فأعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه، إن شاء الله تعالى" ^١.

بدأ القاضى الفاضل هذا العهد بلفظ: "من فلان"، ثم أتى بعد ذلك بلفظ "أما بعد". ثم أتى بعد البعديه بالتحميد وقد ذكره فى هذا العهد ثلاث مرات.

ثم نلمس فى هذا العهد كثرة الإقتباس من القرآن الكريم، بآيات صريحة مثل قوله: "ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها" -وأخذه من قوله تعالى: "ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم..". أو إقتباس فيع إشارة وذلك فى مثل قوله: "حتى تستوفى حظه من أمير المؤمنين بأجر لا يضيع الله فيه عمله". أخذاً من قوله تعالى: "إن الله لا يضيع أجر عامل... الخ"، وأيضاً فى مثل قوله: "وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات". أخذاً من قوله تعالى: "إذ تلقى آدم من ربه كلمات".

وأيضاً تظهر فى هذا العهد الصور البيانية بشتى أنواعها من جناس وطباق ومقابلة وتظهر فيها صور التشبيهات، ونلمس الجناس فى مثل قوله: "وقلّب عليك إسناد الفتكات فتقبلت، وأوضح لك منهاج البركات فتقبلت". ويظهر الطباق فى قوله: "بسّطاً وقبضاً" وأرفع ناظرِكَ فقد أباح لك رفعاً وخفضاً". والتصريف على أمرِكَ ونهيك" -فأقبض عنهم الأيدي، وأبسط بالعدل فيهم يدك" - وتتجلى المقابلة فى قوله: "أما به غيا وأحيا به رشدا" - وقوله: "وأجعل الضعيف منهم فى الحق قويا والقوى فى الباطل ضعيفا".

أمّا السجع فإنه لا يلتزمه إلتراماً فى كل نواحي الرسالة، فإنه يأتي به فى مواضع، ثم يتركه ويعود إليه مرة ثانية.

^١ -صبح الأعشى. الفلقشندى. ج. ١٠. مرجع سابق. ص ٩١-٩٨.

أما عن الصورة العامة لهذا العهد فإن كاتبه يوصى من يقع عليه تولى أمر المسلمين أن يلتزم بتوخى العدل فى كل جوانبه من قضاء ورعاية أموال الدولة وغيرها. ثم يختتم هذا العهد بالدعاء له، والتأييد والنصرة من عند الله تعالى.

المبحث الثالث:-

رسائل العباسيين فى شتى المجالات:-

١. رسالة عهد وولاء للخلافة
٢. رسالة أسماعيل بن صبيح لعمّال الدولة
٣. رسالة أحمد بن إسرائيل فى الوعيد والأنداز
٤. رسالة عمرو بن مسعدة فى الفكاهة
٥. رسالة عبدالله بن المعتز فى الوصف
٦. رسالة عمرو بن مسعدة عن المأمون فى الوصيّة
٧. رسالة القاضى الفاضل فى خبر فتح

المبحث الثالث: رسائل العباسيين فى شتى المجالات:-

١- رسالة عهد وولاء للخلافة:-

هذه الرسالة تُعد من الرسائل الديوانية التى كتب بها القاضى الفاضل على لسان صلاح الدين الأيوبي إلى الخلافة ببغداد، فيها توضيح لولائه للخليفة، وتعهده بمولاة نصره بكل ما أوتى من جهد وقوة، وإذ يقول:

"أسعد الله عظماء الأملاك*^١ بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية، وأفزعهم ما أمرهم به من طاعته. وخذ ملك الديوان العزيز النبوى ما دامت الأفلاك قائمة، والنجوم على ناجمة*^٢، ونقع*^٣ بغمائمها غلّ الآمال الحائمة، وفسّر مع مكارمها حلم الأمانى الحاملة، ورتق*^٤ بتدابيرها المعصومة فتوق النوب المتعاضمة، وأظهر على أيدي أوليائها معجزات نصرها، وصرف الأيام والليالى بين المرضيين لله إليها نهيبها وأمرها وأودع بركات السماء والأرض بمودعها هذا ومستقرها.

المملوك- وإن كان قد يسر الله له مذ أطلقت عذبه*^٥ لسانه خدمة الدولة العباسية، فتفسح فى وسيع مآثرها، وتخيّر من بديع جواهرها، وأمتاج من نمير*^٦ ذواخرها- فإنه لا يعتذر عن الحصر*^٧ الذى أعتراه فى وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف، الذى لولا أن عصمة الموالاة تثبت فؤاده الخافق، وتسدد لسانه الناطق، لما تعاطى وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم*^٨، وسبق إليه من سحابه المركوم*^٩ فإنه مما يسف عنه الأمل ناكصاً*^{١٠}، وهو كبير، وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير. إلا أن الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكلهم

*^١ الأملاك: جمع ملك

*^٢ نجم: ظهر

*^٣ نقع: روى

*^٤ رتق: ضد الفتق

*^٥ العذبه: الطرف

*^٦ النمير: الزاكي من الماء

*^٧ الحصر: العى فى الكلام

*^٨ المرقوم: من رَمَّ الكتاب أعجمه وبيّنه

*^٩ الركم: جمع شئ فوق آخر

*^{١٠} نكص: أحجم

إلى أمانيتهم لتتهيبت أن تتعاطى حظيتته،ولو فوضه إلى راحتهم لنكأت أن تترقى نصيتته*^١. ولا غرو للسحاب أن يصفاح قطره الثرى،والفجر أن يُشرق نوره على عين الكرى والسرى. فالحمد لله الذى قرّب على المملوك منال الآمال زثبت حصاة فؤاده لما لا تستنقل بحمله صُم الجبال.ويستتیب عن جهر الشكر بسر الأذعية،ويقتصر على ما يقضى به إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يقصه فى الأندية،ويطالع بأن مملوك الخدمة وإين مالکها أخذ الكتاب بقوة.وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوة،وتلقاه تلقى أبيه الأول الكلمات.ورأى إطلاع الله لأمير المؤمنين على ما فى ضميره من طاعته إحدى المجزات والكرامات،وسمع المشافهة خاشعاً منصدعاً.وأشتمل عليها بفهمه سامياً طرفه متطلعاً.

ولقد أشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أخذت عليه،مدّ إليها يده آخذاً بكلتا يديه.والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سيوفى على سابقه من عبيد الدولة العباسية فى الزمان،ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان.

وقد صدرت خدمتان من جهته وبعدهما تصدر الحزم،ولا يألوا جهداً فى الخدمتين مباشراً بيده السيف ومستتیباً عنها العلم،وله نصره باقية فى الولاء وهو غنى بها عن النصير،وسريره بادية فى الطاعة وهو إليها أسكن منها إلى كل مثير،يعود المملوك إلى ما لا يزال يفتح به الصلوات المفروضة،ويختتم به الختمات المعروضة من الدعاء الصالح الذى وإن أغنى الله وليه عنه،فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه،لأنه مبروك لأعمالهم،بل متمم لإسلامهم،وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يدعى كل أناس بإمامهم،فيقول:جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه،وأذل رقاب الباطل سيف حقه؛وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين فى الأولى من الأرض التى هى موطوءه كالسماوات العلى،وأدام نعمه على هذه الأمة بإمامته،وأظهر كرامة نبيّه-عليه السلام-بما يُظاھر من كرامته،وعجل لمن لا تقوم بفرض ولايته إقامة قيامته،وردّ بسيوفه التى لا تُرد ما الإسلام ممطول به من ظلامته،وأقام به مناهج الدين لأهله،وأظهره بمظاھرته على الدين كله،حتى يلقى الله وما خُلف فى الدنيا كافراً،ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً،ولا بلداً إلا وقد بات الإسلام به أهلاً وقد أصبح منه الكفر دائراً،إن شاء الله تعالى.^٢

^١ *نصيتته:أنصى الجبل بمعنى طال وأرتفع

^٢ -أعلام الأدب العباسى.محمد رضوان الدايه.ط٧. ١٤٠٣هـ-١٩٨٧م.ص٢١٠-٢١٤.

تدل هذه الرسالة على ولاء صلاح الدين للخلافة، وتعهده بموالاته نصرته الدولة. بدأ القاضي الفاضل، وهو من الكتاب البلغاء في الدولة العباسية، الرسالة بالدعاء للخليفة، وختمها بالولاء للخلافة. ويلاحظ في هذه الرسالة ظاهرة التطويل في مجال كان لا يحتل من الرسالة إلا حيزاً ضيقاً، إذ شمل الدعاء-الإستفتاح-التحميد-عبارة الختام-كما شمل العبارات نفسها في معظم جوانب الرسالة فنجد بين البدء والختام بون واسع، والتطويل الذي لجأ إليه القاضي الفاضل في العبارات أدخل فيها نوعاً من الإبهام، وذلك بسبب حشوها بكلام غير أساسى، أو بسبب اللجوء إلى أنواع الصنعة، كما يلاحظ في مقدمتها: "ونقع بغمائمها غلّ الآمال الحائمة... الخ".

أيضاً لجأ الكاتب إلى أسلوب السجع والجناس والإقتباس من معانى القرآن الكريم. وذلك في مثل قوله: "وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته" أخذاً من قوله تعالى: "رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلىّ والدى"^١.

وقوله: "أودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها" أخذاً من قوله تعالى: "الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع"^٢.

وقوله: "لولا إن عصمة الموالاه تثبت فؤاده الخافق"، أخذاً من قوله تعالى: "نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"^٣. وقوله: "وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير" أخذاً من قوله تعالى: "ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير"^٤. وقوله: "بأن مملوك الخدمة وإين مملوكها أخذ الكتاب بقوة"، أخذاً من قوله تعالى: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً"^٥. وقوله: "تلقاه تلقى أبيه الأول الكلمات"، مأخوذاً من قوله تعالى: "وإذ أبتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن"^٦. وقوله: "وسمع المشافهة خاشعاً متصدعاً" أخذاً من قوله تعالى: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله"^٧.

^١ -سورة النمل. آية رقم (١٩)

^٢ - سورة الأنعام. آية رقم (٩٨)

^٣ - سورة هود. آية رقم (١٢٠)

^٤ -سورة الملك. آية رقم (٤)

^٥ -سورة مريم. آية رقم (١٢)

^٦ - سورة البقرة. آية رقم (١٢٤)

^٧ -سورة الحشر. آية رقم (٢١)

ونجده قد لجأ على الإزدواج بدلاً عن السجع فى بعض الفقرات. وذلك مثل "ولا يألوا جهداً فى الخدمتين مباشرةً بيده السيف... الخ".

ومجمل القول نجد أن القاضى الفاضل أحدث فيها أشياء تختلف عن عصر السياقة فى الرسائل الديوانية مثل التطويل وأستخدام بعض العبارات التى لم تكن شائعة من قبل مثل "المملوك" الذى هو دون الخليفة. "الخدمة" بمعنى أعمال صلاح الدين، وأيضاً برز فيها إطالة التمهيدات وعبارات البدء والختام.^١

^١ - أعلام الأدب العباسى. رضوان الداية. مرجع سابق. ص ٢٤٣-٢٤٤.

٢ - رسالة أسماعيل بن صبيح لعمال الدولة:-

هذه رسالة كتب بها أحد البلغاء المجيدين لعصر المهدي ألا وهو أسماعيل بن صبيح لعمال الدولة فيها وعيد وأنذار لهم إذ يقول:

"أما بعد، فإن الله حبيب إلى كل مسلم شعبة من دينه، فمنهم من حبب إليه الصلاة، فهو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الأخره، ومنهم من حبب إليه الزكاة، فهو ينفق ماله بالليل والنهار سراً وعلانية، إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم، ومنهم من حبب إليه الجهاد، فهو بين المسلمين وبين عدوهم، يذبح حريمهم ويقاثل دونهم، وفاءً بعهد الله وتسليماً لبيعة الله. فأما الراسخون في العلم ممن قد عرف سيرتك، وما أبدى الله لهم من سريرتك، فقد أقتصروا على بغضك، ثقةً بالله بعداوتك، فهم لا يوترون*^١، إلا بك وبأشباهك، ولا يرون القنوت اليوم واجباً إلا من اجلك واجل أضرابك*^٢، ولا يعتمدون بالدعاء فيه إلا عليك وعلى أمثالك، حفظاً على صلواتهم، ورعاية لما أئتمنوا عليه من دينهم، ووفاءً بعهد الميثاق الذي أخذ عليهم: أن يصلوا مع الله وملائكته على رسوله، وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه وأهل مصيبيته، فهم يعرضونك على الله في أدبار السجود، وعند إديار النجوم، ويسألون بآلئه مخلصين، وبأسمائه ملحقين، أن يصيبك بعذاب من عنده أو بأيديهم، لما إستحلت جنودك من سفك الدماء، وأباحت رسلك من حرم النساء، ولظلمك اليتامى، وأفتزائك على ذى القربى، وتعريضك إياهم فى فتوحك للعقاب والهلكة والخلاق والمعصية، فويل لك ولكتابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون، فقد وردت كتبك بحمد الله من أمير المؤمنين - حفظه الله - على حلم لا يوهنه الغضب، وعلى عمل لا يغيّره الكذب، وعلى إيمان لا يستخفه الذين لا يوقنون، حفظ الله أمير المؤمنين حفظاً يكون له حصناً من عذابه، وحرزاً من غضبه، وحاجزاً من معصيته، ونوراً يستضيء به يوم لقائه فى خلقه، ويهتدى به إلى جنته"^٣.

بدأ الكاتب رسالته بالبعديّة، ثم أخذ يوضح لهم شعب الإسلام وأن كل مسلم له شعبه محببه إلى نفسه، والملاحظ فى هذه الرسالة انها مطلقة تماماً من المحسنات مع كثرة إستخدامه للإقتباس، إذ نلمس شيوعه فى هذه الرسالة وذلك فى المواضع الآتية:-

^١ * أوتر: أى صلى الوتر

^٢ * الأضراب: جمع ضرب بالفتح وهو المثل

^٣ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. مرجع سابق. ص ٢١٣-٢١٥.

قوله: "فهو قانت آناء الليل ساجدا... الخ" أخذاً من قوله تعالى: "أمّن هو قانت آناء الليل.."^١، وقوله: "فهو ينفق ماله بالليل والنهار... الخ" أخذاً من قوله تعالى: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"^٢. وقوله: "إبتغاء مرضاة الله... الخ"، أخذاً من قوله تعالى: "ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم... الخ بما تعملون بصير"^٣، وقوله: "ورعاية لما أئتمنوا عليه من دينهم". إقتباساً من قوله تعالى: "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"^٤، وقوله: "أن يصلوا مع الله وملائكته على رسوله". أخذاً من قوله تعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً"^٥. وقوله: "وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه"، أخذاً من قوله تعالى: "أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"^٦. وقوله فهم يعرضونك على الله فى أدبار السجود... الخ"، أخذاً من قوله تعالى: "ومن الليل فسبحه وإدبار السجود"^٧. وقوله: "أن يصيبك بعذاب من عنده أو بأيديهم". أخذاً من قوله تعالى: "ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا"^٨. وقوله: "فويل لك ولكتّابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون"، من قوله تعالى: "فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"^٩. وقوله: "لا يستخفه الذين لا يوقنون"، أخذاً من قوله تعالى: "ولا يستخفك الذين لا يوقنون"^{١٠}.

إذن الصورة الفنيّة الشائعه فى هذه الرسالة هى كثرة الإقتباس من القران الكريم، ثم ختم الكاتب هذه الرسالة بالدعاء لأمير المؤمنين.

١ - سورة الزمر. آيه رقم (٩)

٢ - سورة البقرة. آيه رقم (٢٧٤)

٣ - سورة البقرة. آيه رقم (٢٦٥)

٤ - سورة المؤمنون. آيه رقم (٨)

٥ - سورة الأحزاب. آيه رقم (٥٦)

٦ - سورة البقرة. آيه رقم (١٥٩)

٧ - سورة ق. آيه رقم (٤٠)

٨ - سورة التوبة. آيه رقم (٥٢)

٩ - سورة البقرة. آيه رقم (٧٩)

١٠ - سورة الروم. آيه رقم (٦٠)

٣- رسالة أحمد بن إسرائيل في الوعيد والإنذار :-

هذه رسالة أخرى تحمل معنى الوعيد والإنذار كتب بها أحد كتّاب الفترة الثانية من العصر العباسي الأ وهو أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً للخليفة المعتز، ويُعد من الكتّاب البارعين في هذا العصر، هذه الرسالة وجهها إلى عمّال الدولة حين أعطاهم المعتز الحق في التنكيل بأعدائه، وهي تمتلئ وعيداً وتهديداً، وفيها يقول:

"أما بعد، فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي، فأقحمكم حبال الخطأ، ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ونفى غيابة*^١ الحيرة، والآن فإن تجنحوا للسلم تحقنوا دمائكم وترغدوا عيشكم ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم، ويسبغ النعمة عليكم، وإن مضيتم على غلوائكم وسول لكم الأمل أسوأ أعمالكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعد نبذ المعذرة إليكم وإقامة الحق عليكم. ولئن شنت الغارات وشبّ ضرام الحرب، ودارت رحاها على قطبها وحسنت*^٢ الصوارم أوصال حماتها، وإستجرت*^٣ العوالي من نهمها، ودُعيت نزال، والتحم الأبطال، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها، وألقت للتجرد عنها قناعها، وأختلفت أعناق الخيل، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي لتعلمن أي الفريقين أسمح بالموت نفساً، وأشد عند اللقاء بطشاً، ولات حين معذرة، ولا قبول فدية، فقد أعذر من أنذر،" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"^٤.

تمتاز هذه الرسالة بضبط الصياغة وإحكامها، كما يكثر فيها الإقتباس من القرآن الكريم، وذلك في مثل قوله: "فإن جنحوا للسلم فأجنح لها... الخ"^٥. وقوله: "فأذنوا بحرب من الله ورسوله"^٦. وقوله: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"^٧.

ذلك وإن دل إنما يدل على ثقافة الكاتب وبراعته وقدرته على التصريف والقياس في بعض الكلمات، وذلك عند إستخدامه كلمة "أستجرت" بدلاً عن "إجترت".

١- * غيابه: غشاوه

٢- * حسنت قطع

٣- * إستجرت: إجترت

٤- سورة الشعراء. آية رقم (٢٢٧)

٥- سورة الأنفال. آية رقم (٦١)

٦- سورة البقرة. آية رقم (٢٧٩)

٧- سورة الشعراء. آية رقم (٢٢٧)

وكذلك نجده قد أستخدم فى هذه الرسالة بعض الأمثال مثل: "ودعيت نزال". وهو مثل يُضرب لإحتدام الحرب. ومثل: "قد أعذر من أنذر".

وكذلك تمتاز هذه الرسالة بامتلائها بالعديد من الصور البيانية مثل: إسباغ النعمة -ضرام الحرب- دارت رحاها على قطرها- حسمت الصوارم أوصال حمائها- كلحت الحرب عن أنيابها- ألقت للتجرد عنها قناعها"

تلك الصور التى قصد إليها الكاتب ليدل على براعته الفنيّة.

٤- رسالة عمرو بن مسعدة فى الفكاهاة:-

العلاقات بين الناس إذا أستمر صفاؤها وعمقت جذورها وتتنوع أسبابها فى ظل حياة إجتماعية ميسرة، تحولت بسرعة إلى الجانب الباسم البعيد عن التكلف، وجنحت إلى السهولة والبساطة. وليبان أسلوب الفكاهاة فى الكتابة وبراعتها، نعرض لهذا النموذج لعمرو بن مسعدة، الذى يداعب فيه صديق وقد تزوجت أمه وهى فى سن يرفض فيه المجتمع الزواج من امرأة كبيرة وارملة ولها أبناء.

"الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة، وهدانا لستر العورة، ووجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة، ومنع من عضل*^١ الأمهات، كما منع من وأد البنات، إستنزلاً للنفوس الأبيّة، عن الحميّة، حميّة الجاهلية، ثم عرض لجزيل الأجر، من إستسلم لواقع قضائه، وعوض جليل الذخر، من صبر على نازل بلائه، وهناك الذى شرح للتقوى صدرك، ووسع فى البلوى صبرك، والهملك من التسليم بمشيئته، والرضا بقضيته، ما وفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك، ومن عظم حقه عليك، وجعل الله-تعالى جدّه- ما تجرعه من أنف، وكظمته من أسف، معدوداً فيما يعظم به أجرك، ويجزل عليه ذخرك، وفرت بالحاضر من إمتعاضك بفعلها، تنتظر من إرتماضك*^٢ بدفنها، فتستوفى بها المصيبة، وتستكمل عنها المثوبة.

فوصل الله ليسدى ما إستعرتته م الصبر على عرسها، يستكسبه من الصبر على نفسها، وعوضه من أسرة فرشها، أعواد نعشها وجعل- تعالى جدّه- ما ينعم بها عليه من نعمة، معدّى من نعمة، وما يوليه بعد قبضها من منحة، فأحكم الله- تعالى جدّه وتقدّست أسماؤه- جارية على غير مراد المخلوقين، ولكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين، ما هو خير لهم فى العاجلة، وأبقى لهم فى الآجلة، أختار الله لك فى قبضها إليه، وقدمها عليه، ما هو أنفع لها وأولى بها، وجعل القبر كفناً لها، والسلام.^٣

تمتاز هذه الرسالة بروح الطرافة والفكاهاة التى تذهب عن قارئها الهم والحزن، هذا بجانب ملئها بالصور البديعية من مثل السجع الذى ألتزمه فى فقراته: "ستر الحيرة، هداً لستر

١ - * عضل: منعها الزواج ظلماً

٢ - * امتعض من الأمر: شقّ عليه/ إرتعض: إشدت عليه

٣ - الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية مصطفى الشعبة. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٦٨. ص

العوره، وجدع بما شرع أنف الغيرة". وأستخدامه للجناس في قوله: "نعمه-نقمه" "منحة - منحة". ونلمس تلاعبه بالمتقابلات من العبارات في مثل قوله: "إمتعاضك بفعلها- المنتظر من إرتماضاك".

ثم لجأ الكاتب إلى الإقتباس الذي نستنتجه إستنتاجاً من قوله: "ثم عرض لجزبل الأجر، من أستسلم لواقع قضائه، وعود جليل الذخر، من صبر على نازل بلائه"، أخذاً من قوله تعالى: "وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون"¹

¹ - سورة البقرة. آيه رقم (١٥٦)

٥- رسالة عبدالله بن المعتز فى الوصف:-

من الموضوعات التى أهتم بها الكتاب العباسيين الوصف، فقد وصفوا كل ما يقع فى ناظرهم، وأجادوا وأبدعوا، فها هو عبدالله بن المعتز يصف الكتاب والقلم بأروع ما يكون الوصف قائلاً:-

"الكتاب والـج الأبواب، جرى على الحجاب، مفهم لا يفهم، ناطق لا يتكلم، به يشخص المشتاق إذا أقعده الفراق.

والقلم مجهر لجيوش الكلام، يخدم الإرادة، ولا يمل الإستزاده، يسكت واقفاً، وينطق سائراً، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضى، وكأنه يقبل بساط سلطان، أو يفتح نوار بستان"^١.
تتسم هذه الصورة بالروعة فى تلك الرسالة التى يصف فيها ابن المعتز الكتاب والقلم، وفى وصفه أناقة وفخامة تعبيرات مستوحاة من بيئته المترفة. كما نجد أنه يقتنص المعانى فى أسلوب رقيق ويلبسها جميل الألفاظ، كما نجد استخدامه المحسنات البديعية زادها روعة على روعتها وذلك مثل السجع: "والج الأبواب- جرى على الحجاب"- "به يشخص المشتاق- إذا أقعده الفراق".

وأستخدامه للمقابلته فى مثل قوله: "على أرض بياضها مظلم- سوادها مضى"- والتشبيه والكنايه فى قوله: "كأنه يقبل بساط سلطان".

^١ - زهر الآداب. إبراهيم بن على الحصرى. تحقيق زكى مبارك. ط. ٣. ج. ٣. القاهرة. مكتبة السعادة.

٦- رسالة القاضي الفاضل فى خبر فتح:-

كتب القاضي الفاضل إلى الناصر فى بغداد على لسان صلاح الدين يخبره بفتح القدس وذلك بقوله:"وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذى تشظت قنواته شققاً،وطارت فرقه فرقاً،وفلّ سيفه فصار عصاً،وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصى،فكلت حملاته،وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعيان،عقوبة من الله ليس لصاحب يدٍ بها يدان،وعثرت قدمه ونت الأرض لها حليفة،وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة،ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون،وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالمنون. فبيوت الشرك مهدومة،ونيوب الكفر مهتومة،وطوائفه المحامية مجتمعة على تسليم البلاد الحامية،وشجعانه المتوافية،مرغنه ببذل المطامع الوافيه،لا يرون فى ماء الحديد لهم عصرة،ولا فى فناء الأفنية لهم نصررة،وقد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة،وبدّل الله مكان السيئة الحسنة،ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة،ولم يبق إلا القدس،وقد أجمع إليها كل شريد منهم وطريد،وأعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد،...الخ"^١ فى هذه الرسالة استطاع القاضي الفاضل أن يجمع فيها كل أنواع البديع،فالمجاز نلمسه فى قوله"كَلَّت حملاته" و"الأرض لها حليفة" و"عيون السيوف كسيفة" و"نام جفن سيفه" و"جدعت أنوف رماحه".أمّا الكناية فتتمثل فى قوله"صدعت حصاته" و"فلّ سيفه" و"عثرت قدمه" و"وأصحاب المشأمة" و"أصحاب الميمنة".هذا بالإضافة إلى الطباق والجناس والإقْتباس.

^١ - بلاغة الكتاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٩٧-١٩٨.

٧- رسالة عمرو بن مسعدة عن المأمون في الوصيّة:-

كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون إلى بعض عمّاله بالوصيّة عليه والإعتناء بأمره إذ يقول: "كتابي إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه، معنى بمن كتبت له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله، والسلام"^١

نلمس في هذه الرسالة الإيجاز الذي التزمه الكاتب، فقد أدى المضمون في إيصال الغرض بقليل من العبارات، فأصاب بذلك وأفهم.

^١ - الرسائل الأدبية. صالح بن رمضان. مرجع سابق ص ٣٤٧.

المبحث الرابع:-

رسائل الأمان

١. أمان أبي جعفر المنصور لأبن هبيرة

٢. أمان أبي جعفر المنصور للنفس الزكية

المبحث الرابع: رسائل الأمان:-

هى من الكتب التى برع فيها العباسيون وتفننوا فى صياغتها وضبطها، ونعنى بالأمان ما كان يصدر من الخلفاء فى شأن أحد من رعيّتها أو وزرائها عندما يخرجون عن الحدود، ولكى نتبيّن طريقتهم فى كتابة الأمان لا بدّ من أخذ نماذج منها:

١- أمان أبى جعفر المنصور لأبن هبيرة:-

فمن كتب الأمان ما كتبه أبوجعفر المنصور فى شأن ابن هبيرة وكان قد حصره شهوراً، ثم جرت السفراء بينهم بالصلح حتى جعل له أماناً، وكتب له كتاباً مكث فيه ابن هبيرة أربعين يوماً يشاور العلماء حتى رضيه، وكان قد ضم الأمان فى طياته ما يلى:

"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبدالله بن محمد بن على أبى جعفرولى أمر المسلمين، ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم فى مدينة واسط وأرضها من المسلمين والمعاهدين، ومن معهم من وزرائهم.

إنى أمنتكم بأمان الله الذى لا إله إلا هو، الذى يعلم سرائر العباد، ويعلم ما تخفى الصدور، وإليه الأمر كله، أماناً صادقاً لا يشوبه غش، ولا يخالطه باطل، على أنفسكم ووزرائكم وأموالكم، وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة، ومن أمّنته فى أعلى كتابى هذا، الوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه، الذى واثق به الأمم الماضية من خلقه، وأخذ عليهم به أمره، عهداً خالصاً، وذمة الله وذمة محمد، ومن مضى من خلفائه الصالحين، وأسلافه الطيبين، التى لا يسع العباد نقضها، ولا تعطيل شئ منها، ولا الاحتقار لها، وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، تعظيماً لها، وبها حُقنت الدماء، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم، وذمة أبراهيم، وأسماعيل، وأسحاق، ويعقوب، والأسباط، وأعطيتك ما جعلت لك من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين، وأهل الذمة، بعد إستثمارى فيما جعلت لك منه عبدالله بن محمد أمير المؤمنين، أعزّ الله نصره، وأمر بإنفاذه لكم، فأطمئن إلى ما جعلت لك من الأمان والعهود والمواثيق، وثق بالله وبأمر المؤمنين فيما سلم منه ورضى به، وجعلته لك ولمن معك على نفسى، ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشدّ ما أخذ الله وحرّمه وما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، فإنه جعله كتاباً مبيناً لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، ونوراً وحجة على العباد، حتى ألقى الله وأنا عليه، وأنا أشهد الله وملائكته

ورُسله، ومن قُرئ عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق، وإقرارى بها على نفسى، وتوكيدى فيها، وعلى تسليمى لك ما سألت، لا يغادر منها شئ، ولا يُنكث عليك فيها، وأدخلت فى أمانك هذا جميع من قبلى من سبعة أمير المؤمنين من أهل خراسان، ومن لأمير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة، وجعلت لك أن لا ترى منى إنقباضاً ولا مجانية ولا إزوراراً*^١ ولا شيئاً تكرهه فى دخولك علىّ إلى مفارقتك إياى، ولا ينال أحداً معك أمرٌ يكرهه، وأذنت لك ولهم فى المسير والمقام، وجعلت لهم أماناً صحيحاً، وعهداً وثيقاً، وأن عبد الله بن محمد إن نقض ما جعل لكم فى أمانكم هذا، فنكث أو غدر بكم، أو خالف إلى أمر تكرهه، أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين فى سرٍ أو علانية، أو أضمر لك فى نفسه غير ما أظهر لك، أو أدخل عليك شيئاً فى أمانه، وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين، إلتماس الخيعة، والمكر بك، وإدخال المكره عليك، أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به، فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً*^٢، وهو برئ من محمد بن على، وهو يخلع أمير المؤمنين، ويتبرأ من طاعته، وعليه ثلاثون حجة*^٣ يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذى بمكة حافياً راجلاً، وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله، وكل امرأة له طالق ثلاثاً، وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين، وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيّه، والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه فى هذه الأيمان راع وكفيل، وكفى بالله شهيداً"^٤

بدأ الكاتب أمانه هذا بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم"، ثم ذكر أنه من فلان لفلان، ثم دلف مباشرة إلى الغرض الذى من أجله كتب هذا الأمان، وأطال فيه وأسهب فى الوقت الذى كان بإمكانه أن يوجز بأنه أعطى الأمان لمن يريد، ثم نجد أنه قد أشار فى هذا الأمان إلى مبدأ مهم من مبادئ الإسلام وهو مبدأ الشورى، أى أن هذا الأمان قائم على الشورى ثم من بعد ذلك تمّ إنفاذه وذلك فى قوله: "بعد إستئمارى فيما جعات لك منه عبد الله بن محمد"

^١ -إزوراراً: إنحرافاً

^٢ * صرفاً: توبه * عدلاً: فدية

^٣ * حجة: سنة

^٤ -جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص ٣-٥.

ونلمس فيه إقتباساً من القرآن الكريم حينما أشار إلى أنه كتاباً مبيناً...الخ. أخذاً من قوله تعالى: "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".

وقد جعل الكاتب في هذا الأمان شروطاً جزائية، وذلك على من ينقض العهد، ويأتي بخلاف ما جاء فيه، وذلك مثل المشى حافياً من مدينة واسط إلى المسجد الحرام.

وأيضاً ما نلمسه في هذا الأمان عدم تقيد الكاتب نوعاً من المحسنات البديعية.

ثم ختم هذا الأمان بعبارة: "وكفى بالله شهيداً"

٢- أمان أبي جعفر المنصور إلى النفس الزكية:-

ومن كتب الأمان أيضاً ما كتبه أبي جعفر المنصور لمحمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المشهور بالنفس الزكية ،حينما علم بأمر خروجه بالمدينة خوفاً على نفسه من بنى العباس،فكتب له المنصور أماناً يؤمنه فيه على نفسه،وهو كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم،من عبدالله أمير المؤمنين،إلى محمد بن عبدالله،أما بعد:"فإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف،أو ينفوا من الأرض،ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم،إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أن الله غفور رحيم" ^١.

ولك على عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم،إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أومنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن إتبعك على دمائكم وأموالكم ،وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأن أعطيك ألف ألف درهم،وما سألت من الحوائج ،وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبسى من أهل بيتك،وأن أومن كل من جاءك وبايعك وأتبعك ،أو دخل في معك في شئ من أمرك،ثم لا أتبع أحداً منهم بشئ كان منه أبداً،فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إلى من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تتق به،والسلام" ^٢.

بدأ الكاتب أمانه هذا بالبسملة،ثم قوله:"من فلان لفلان" ثم جاء فيه بالبعدية بعكس ما كان في الأمان السابق،وأستهل أمانه بآية من كتاب الله عزّ وجلّ تذكيراً له بجزاء من يخالف ويخرج عن الجماعة،ثم أنه في هذا الأمان لم يطنب كما فعل سابقاً بل أوجز في إيصال المراد،وهو إعطائه الأمان في نفسه وأهله،ثم أنه لم يلتزم فيه نوعاً من المحسنات إلا ما جاء عفواً كما أوردته الصياغة وذلك مثل السجع في قوله:"وأن أطلق من أهل بيتك،وأن أومن كل من...وأتبعك،أو دخل معك...من أمرك".

ثم ختم أمانه بقوله:" والسلام".

^١ - سورة المائدة.آيه رقم(٣٣)

^٢ - جمهرة رسائل العرب.أحمد زكي صفوت.ج.٣.مرجع سابق.ص.٧٨.

الفصل الثانی:-

رسائل الولاية الإخوانية:-

المبحث الأول: رسائل التهاني والتعازي والتهادي

١. رسالة ابن العميد يهنئ عضد الدولة
٢. رسالة جبل بن يزيد في التعزية
٣. رسالة إبراهيم بن العباس يهنئ ويعزى
٤. رسالة غسان بن عبد الحميد معزياً أحد الخلفاء
٥. رسالة إلى يحيى البرمكى في التهادي
٦. رسالة إحدى الجوارى إلى المأمون في التهادي

المبحث الأول: رسائل التهاني والتعازي والتهادى :-

مقدمة :-

من المعروف أن الرسائل الديوانية هي: تلك التى تصدر عن الديوان فى أمر من أمور الدولة، ويقوم بكتابتها أبلغ الكتاب وذلك على لسان الخليفة، أما الإخوانى والذى يصدر عن الديوان فهو ما يتبادله الخلفاء فيما بينهم أو ما يصدر إليهم من مكاتبات تحمل معنى الإخاء، بعيداً عن شئون الدولة، فهى أفسح مجالاً من الرسائل الرسمية. ونج أن هذه الرسائل الديوانية إخوانية قد أخذت تتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعر من تهنئات وتعازى وشكر وعتاب... الخ. وقد تفنن الكتاب كثيراً فى كتابتها وفى مقدماتها، ولكى يتضح لنا ذلك لا بدّ من الوقوف على بعض الرسائل التى تحمل تلك المعانى الإخوانية داخل الديوان.

١ - رسالة ابن العميد يهنئ عضد الدولة:-

هذه الرسالة تحمل تهنئة بعث بها ابن العميد إلى أحد خلفاء الدولة العباسية ألا وهو عضد الدولة، وذلك عندما رُزق بولدين توأمين، فقد بعث إليه مهنئاً قائلاً:

"أطال الله بقاء الأمير الأجلّ عضد الدولة، دام عزّه وتأييده، وعلّوه وتمهيدته، وبسبطته وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزیده، وهناه ما أحتظاه به على قرب البلاد، من توافر الأعداد، وتكثر الإمداد، وتشمّر الأولاد، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد، ولا أخلى عينه من قره، ونفسه من مسّره، ومتجدد نعمة، ومستأنف مكرمة، وزيادة فى عدده، وفسح فى أمره، حتى يبلغ غاية مهله، ويستغرق نهاية أمله، ويستوفى ما بعد حسن ظنه، وعرفه الله السعادة فيما بشرّ عبده من طلوع بدرين هما إبتعشا من نوره، وأستارا من دوره، وحفا سريره، وجعل وفدهما متلائمين، وزودهما توأمين، بشيرين بتظاهر النعم، وتوافر القسم، ومؤذنين بتردف بنين يجمعهم منخرق الفضا ويشرق بنورهم أفق العلا، وينتهى بهم أمر النماء إلى غاية تفوق غاية الأحصاء، ولا زالت السبل عامرة، والمناهل غامرة، بصافح صادرهم بالبشر، وآملهم بالنبل القاصد."^١

تمتاز هذه الرسالة ببسط الكلام فيها، فقد بدأها الكاتب بالدعاء للشخص الذى يريد أن يهنئه، ثم بالدعاء للمولدين.

ومما يُلاحظ على أسلوب ابن العميد أنه يُكثر من استخدام السجع، فالناظر إلى تلك الرسالة يجد أنه إلترم السجع فيها، ثم ختمها بالدعاء للمولدين بأن يكونا قبلة كل من يقصدهم من غير ضجر.

^١ - تطور الأساليب النثرية. انيس المقدسى. مرجع سابق. ص ٢٦١-٢٦٢.

٢ - رسالة جبل بن يزيد فى التعزية:-

هذه الرسالة كتب بها أحد الكتّاب البلغاء الا وهو جبل بن يزيد وقد كتب بها إلى أحد خلفاء الدولة العباسية يعزيه فيها عن ابنه إذ يقول:

"فإن الله أنزل أمير المؤمنين من الإسلام وأهله منزلاً عظماً فيه فضله، وأختصه منه بالذى هو أهله وأولى به، فأصبح بفضل نعمة الله عليه، ولطيف إحسانه إليه، عماداً لجميع المسلمين، عليه تجتمع أهواؤهم، وإليه تسكن أملاؤهم،^١ وبه يصلح الله دينهم، ولا تصلح إلا به دنياهم، فما يلبسه الله من عافية، ويحدث له من كرامة، تجلّهم مع النعمة فى وصولها، وأعباء الشكر فى وجوبها، وما ينوبه - والله ولىّ حفظه - من نائبة حدث برزء مصيبة، شركوه فى ألم الحدث، وتركوه شركته فى حسن الثواب.

وقد كان من قضاء الله فى ابن أمير المؤمنين، ما عظمت به المصيبة، وعمت به الرزية، للمنزلة التى أنزله الله بها من دينه وقرابته من نبيّه صلى الله عليه وسلم، مع مكانته من خليفته، وما كان فيه مع ذلك من الأمل العظيم، والرجاء الحسيم، الذى به سكنت القلوب، وأمّل لجليلات الخطوب، وكان عارية من عوارى نعم الله، أنعم بها الله على أمير المؤمنين، فاستمتع بما أعاره الله فيه من قرّة العين والغبطة والسرور، إلى أن بلغ منتهى مدة ما أعيّر، وقضى كل إرتجاع يرتجعها معيرها فيبتلى بها من أعيّر،

وكان يجرى من تقدير الله فى ذلك على حتم من العمر، وقسم من الرزق، ومدة لها وقت وتأجيل، فلما أستكمل الحتم من عمره، وأستتم القسم من رزقه، قبضه الله إليه إختياراً لما عنده، وأبتلى أمير المؤمنين ليجمع له إن شاء الله حسن ثواب حسبته، إلى ماضى ما استمتع به من نعمة، محموداً فى ذلك بلاؤه، منتصحاً فيه قضاؤه، مسلماً فيه لأمره الذى جرت به سنته، وأعتدلت بالأسوة فيه حال جميع خلقه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله الذى ابتدأه بمنه وفضله، أن يجعله وخليفته وارث إرث نبوته، ووصفى الأصفياء من صفوته، وفى معدن الفضل من أهل خيرته، وأن يلحقه بالأخيار والمنتجبين*^٢ الأبرار من فرطه، ويكرم فيما لديه مآبه، ويحسن فى المعاد ثوابه، ويعظم هناك فضيلته، ويقرّب إليه وسيلته، ويرفع فى أعالي درجات الصالحين

١ - * الأملاء: جمع ملاً بالفتح وهو الجماعة

٢ - * إنتجبه: أى أختاره

درجته، إكراماً بذلك لنبيّه، وتوقيراً لخليفته. وتطوّلاً عليه فيه بمنه وكرمه، وأن يُحسن أجر أمير المؤمنين في مصيبتّه ويحسن فيها ثوابه، ويجزل فيها عوضه، ويكرم بها في المعاد ذكره، ويريه من معارف عاجل حسن الخلق في الزيادة النامية في عبادته، والمواهب المتتابعه في ولده، ما يجبر به مصيبتّه، ويُقر به عينه، ويتم به كرامته، ويبلغ به أفضل ما ينتهي إلى رضاه، من سبوغ*^١ العطيّه، وتمام النعمه، وإيتاء كل حسنه، ووصرف كل سيئة، ولا يريه وأيانا في ولده مكروهاً أبداً، فأنه وليه ووليّ إتمام النعمة عليه، وما أختصه به وظاهر عليه من المن والإحسان والسلام".^٢

بدأ الكاتب هذه الرسالة ببسط الكلام فيها، وتطويل المقدمة تطويلاً كان يمكن إيجازه، ثم دلف بعدها إلى الغرض منها، وتعزيّة الخليفة في إبنه: "وقد كان من قضاء الله في ابن أمير المؤمنين... الخ". وقد أكثر فيها من استخدام المحسنات من سجع: "عليه تجتمع أهواؤهم، وإليه تسكن أملاؤهم، وبه يصلح دينهم"، وطباق كما في قوله: "به يصلح الله دينهم، ولا تصلح إلا به دنياهم". كما نجد أنه إقتبس من القرآن ولكن هذا الإقتباس لم يكن واضحاً وإنما يُلاحظ من سياق الجملة، وذلك في قوله: "وكان يجري من تقدير الله في ذلك على حتم من العمر، وقسم من الرزق، ومدة لها وقت وتأجيل" أخذاً من قوله تعالى: "لكل أجل كتاب، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون"^٣.

ثم ختمها بالدعاء له، وأن يجده الله في مصيبتّه، وأن يخلف له أحسن منها، وختمها بقوله والسلام.

^١ * سبوغ العطيّة: أي تمامها

^٢ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج ٣. مرجع سابق. ص ١٣٩-١٤١.

^٣ - سورة الأعراف. آية رقم (٣٤)

٣- رسالة إبراهيم بن العباس يهنئ ويعزى:-

هذه الرسالة كتب بها إبراهيم بن العباس لما توفى المعتصم بالله، وقام ابنه الواثق خليفة بعده، يعزّيه فيها بأبيه، ويهنئه بالخلافة، إذ يقول فيها:

"إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين - أعزّه الله وأباؤه - نصرهم الله - ألو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعتره رسوله المخصوصون بالصبر، وفي كتاب الله أعظم الشفاء، وفي رسوله أحسن العزاء، وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفى على أوله آخره، وتلاقت بدأته عاقبته، فحق الله في الأولى الصبر، وفرضه في الثانية الشكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستجز ثواب الله بصبره، ويستدعى زيادته بشكره فعل إن شاء الله تعالى وحده"^١

هذه الرسالة أستخدم فيها أسلوب اللين والتخفيف، وأوضح فيها إن من أحق الشكر من كانت مصيبتة من عند الله سبحانه وتعالى - ثم جمع فيها ما بين التعزية والتهنئة في آن واحد وذلك في قوله: "وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفى على أوله آخره، وتلاقت بدأته عاقبته".

وأوضح فيها جتنبي الرضا بأمر الله والصبر على المصيبة، والشكر على نعمة الله والحفاظ عليها، ثم ختمها بقوله: "إن شاء الله تعالى".

^١ - أعلام الأدب العباسي. رضوان الدايه. مرجع سابق. ص ١٣١.

٤ - رسالة غسان بن عبد الحميد لأحد الولاة معزياً:-

كتب غسان بن عبد الحميد كتاباً بعث به إلى أحد الخلفاء معزياً إذ يقول:
"أما بعد، فإن الله جعل خلافته حفظاً لدينه، ورحمةً لعباده، ثم جعل لهم أولياء خلفاء يتوارثونها، ويتداولون الكرامة من الله بها، فنتقضى مدة ماضيهم لخبرة الله إياه، وتأتى خلافة باقهم لاصطناع الله لهم، فنحمد الله الذى جعل فيكم أهل تلك الخلافة، الذين جعلهم لها ورثاً، فكان منهم الماضى الذى كانت له، والباقى الذى صارت إليه، والحمد لله على ما كانت عليه حياة أمير المؤمنين ووفاته من كرامة الله إياه، وعلى وضعه الخلافة عند أمير المؤمنين الباقي، ونسأل الله أن يعظم فى الماضى الأجر، ويمنحك من الباقي أفضل الحظ، ويعينك فى المصيبة على أفضل الصبر، وفى النعمة على أفضل الشكر".^١
نلمس فى هذه الرسالة أسلوب الكاتب المهدب، وطريقته فى مواساته لأمر المؤمنين، ثم أنه لم يلتزم فيها السجع إلا ما جاء عفواً كما التزمه غيره من الكتاب، وذلك فى مثل قوله: "ويعينك فى المصيبة على أفضل الصبر، وفى النعمة على أفضل الشكر".

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج ٣. مرجع سابق. ص ١٠٨.

هـ - رسالة إلى يحيى البرمكى في التهادى:-

من الرسائل التي أكثروا منها، وهي التي كانوا يرسلون بها إلى أحد أصدقائهم، أو إلى بعض الوزراء، ومن ذلك ما يروى أن يحيى البرمكى عزم على ختان أحد أولاده، فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب قدرته، وتظرف بعض من كانوا من أسبابه للدلالة على قصور همته، فملاً وعاءً من أدم ملحاً مطيباً وآخر سُعداً*^١ معطراً وكتب إليه يقول:

"لو تمت الإرادة، لأسعفت العادة، ولو ساعدت القدرة، على بلوغ النعمة، لتقدمت السابقين إلى خدمتك، وأتبعتم المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت ب القدرة، عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بي الجدة*^٢ عن مباهاة أهل المكنة*^٣، وخشيت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر، فانفذت المفتاح بيمنه وبركته وهو الملح، والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد، باسطاً يد المقدرة، صابراً على ألم التقصير، متجرعاً غصص الإقتصاد على اليسير، والقائم بعذري في ذلك: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج*^٤. والمهدى ضارع في الإمتنان عليه بقبول مقدرته، والإحسان إليه بالإعراض عن جرائته*^٥.

نلمس في هذه الرسالة شيوع السجع في جميع جوانبها وذلك في قوله: "لو تمت الإرادة-أسعفت العادة"-القدرة، النعمة"، هذا بجانب استخدامه للمحسنات البديعية الأخرى من مثل المقابلة في قوله: "قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بي الجدة عن مباهاة أهل المكنة". و الطباق في قوله: "المفتاح بيمنه، المختتم بطيبه"

١ - * السعد: نبت طيب الرائحة

٢ - * الجدة: الغنى

٣ - * المكنة: الإستطاعة

٤ - سورة التوبة. آية رقم (٩١)

٥ - العباسي الأول. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩٩.

٦- رسالة إحدى الجوارى إلى المأمون فى التهادى :-

وكما كان للرجال نصيب فى الكتابة فى صدر الدولة العباسية فقد كان للمرأة أيضاً نصيب، فإحدى جوارى المأمون تبعث بهدية إليه مصحوبة بكتاب إذ تقول:

"لما رأيت تنافس الرعية فى الهدايا وتواتر*^١ أطافهم عليك، ففكرت فى هذية تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويُعظم خطرها*^٢، ويجل موقعها، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكمل فيه هذا الوصف، إلا التفاح، فأهديت إليك منها واحدة فى العدد كثيرة فى التقرب، وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها، وأكشف لك عن محاسنها وأشرح لك لطيف معانيها، وما قالت الأطباء فيها، وتفنن الشعراء فى أوصافها، حتى ترمقها*^٣ بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة، فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه: "أحسن الفاكهة التفاح، أجمع فيه الصفرة الدرية، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة ولون التبر، يلذ بها من الحواس: العين ببهجتها، والأنف بريحتها، والفم بطعمها". وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة، وأجمع إليه تلاميذه: "التمسوا لى تفاحة أعتصم بريحتها، وأقضى وطرى*^٤ من النظر إليها". وقال إبراهيم بن هانئ: "ما علل المريض المبتلى، ولا سكنت حرارة التكلى*^٥، ورُدت شهوة الحبلى، ولا جمعت فكره الحيران، ولا سكنت حنقة الغضبان، ولا تحبب الفيان فى بيوت القيان، بمثل التفاح".

والتفاحة يا أمير المؤمنين إن حملتها لم تؤذك، وإن رميت بها لم تؤلمك، وقد أجمع فيها ألوان قوس قزح، من الخضرة والحمرة والصفرة، وقال فيها الشاعر:

أقرب الأشياء من قوس قزح	حُمرَة التفاح مع خضرته
وأسقنيها بنشاطٍ وفرح* ^٦	فعلى التفاح فاشرب قهوة
طرفك الفتان قلبى قد جرح	ثم غنى لكى تطربنى

١ - * التواتر: التتابع * اللطفة: الهدية

٢ - * خطرها: قدرها

٣ - * ترمقها: تلحظها

٤ - * وطرى: الحاجة

٥ - * التكلى: التى فقدت ولدها

٦ - * القهوة: الخمر

فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين فتناولها بيمينك ، وأصرف إليها بغيتك، وتأمل حُسنها بطرفك، ولا تخذشها بظفرك ولا تُبعدها عن عينك، ولا تبذلها لخدمك، فإذا طال لبثها عندك، ومقامها بين يديك، وخفت أن يرميها الدهر بسهمه، ويقصدها بصرفه*^١، فتذهب بهجتها، وتحيل نضرتها، فكلها "هنيئاً مريئاً غير داء مخامر"^٢ والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.^٣

نلمس في هذه الرسالة الدقة والروعة التي كتبت بها تلك الجارية هذه الرسالة، فقد تخيرت لألفاظها أروع المعاني، ونجد أن الهدية التي أهدتها مع قلتها فبأوصافها أستطاعت أن تضع لها صورة كبيرة، وأن تضخمها في نظر من أهدت إليه، ومما زاد الرسالة روعة وجمالاً، استخدامها للمحسنات البديعية دون تكلف من مثل السجع في قولها: "لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك، وتواتر أطفاهم عليك"، تخف مؤنتها، وتهون كلفتها، ويعظم خطرها، ويجلّ موقعها"

وأستخدمها للترادف في قولها "ترمقها بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة".

وأيضاً نلمس فيها مقدرتها الفائقة على التلاعب بالألفاظ وذلك في وصفها للتفاحة مما زادهما جمالاً، وأيضاً نجد فيها الإقتباس وذلك في قولها "هنيئاً مريئاً غير داء مخامر" أخذاً من قول الشاعر كثير عزة:

لعزة من أعراضنا ما أستحلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

فالرسالة في مجملها مجموعة من الأوصاف والتوشيات التي تزيد المعنى روعة وبهاء، والأروع من ذلك المقدره الفنيّة للمرأة والتي جعلتها تصوغ مثل هذه الرسالة.

١ - *صرف الدهر: نوائبه

٢ - عجز بيت لكثير عزة وصدره: لعزة من أعراضنا ما أستحلت

٣ - العقد الفريد. ابن عبدربه. ج. ١. ص. ٣١٠.

المبحث الثاني:- رسائل العتاب والإستعطاف

١. رسالة ابن العميد لأبن بلكا يعاتبه
٢. رسالة إبراهيم بن سيابة ليحيى البرمكى يستعطفه
٣. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يستجديه
٤. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون فى الشكوى

المبحث الثانى:- رسائل العتاب والإستعفاف :-

١- رسالة ابن العميد لابن بلكا يعاتبه:-

هذه الرسالة تحمل معنى العتاب، فكثيراً ما تعاتب الكتاب فى هذا العصر، وقد تفتنوا فى عتابهم، فقد كانوا يعنفون، ولكنه عنف المتحضر المهذب، الذى قد يمس ولكنه لا يخدش،^١ ومن الرسائل التى تحمل ذلك المعنى ورسالة ابن العميد إلى ابن بلكا عند إستعصائه على ركن الدولة، إذ يقول فيها:

"كتابى، وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدلى سابق حُرْمه، وتمت سالف خدمة، أيسرهما يوجب حقاً ورعاية، ويقضى محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحديث غلول*^٢ وخيانة، وتتبعهما بأنف*^٣ خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يُرعى لك، لا جرم أنى وقعت بين ميل إليك وميل عليك أقدم رجلاً لصدك، وأوخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لإصطلامك*^٤ وإجتياحك، وأنتى ثانية لإستبقائك وإصطلاحك، وأتوقف عن إمتثال بعض الأمور فيك، ضناً بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك، وتأميلاً لفيتتك*^٥، وإنصرافك، ورجاء لمراجعتك وإنعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحلم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضع الرأى ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة فالى رضاء، وكل غمرة فالى إنجلاء، وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسبه أولياؤك، فلا بدع أن تأتى من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك، وكما أستمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، وأخترت ما أخترت، فلا عجب أن تنتبه إنتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت، وسوء ما آثرت، وسأقيم على رسمى فى الإبقاء والمماثلة ما صلح، وعلى الإستيناء*^٦ والمطاوله ما أمكن، طمعاً فى أنابتك وتحكماً لحسن الظن بك، فلست أعدم فى ما

١ - العباسى الأول. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩٣.

٢ - * غلول: خيانة

٣ - * أنف: أشد

٤ - * إصطلامك: إستئصال

٥ - * فيئه: الرجوع

٦ - * الإستيناء: التأنى

أظاهرة من أعدار، وأرادفه من إنذار، إحتجاجاً عليك، وإستدراجاً لك، فإن يشأ الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حظك ويسدك"^١.

القارئ لهذه الرسالة يلمس فيها أسلوب اللين فى معاتبة من خرج عن طاعة الدولة، ولم يلجأ فيها إلى عنف الأسلوب، ويجد فيها أنها تمضى كلها على السجع والعناية بالبديع. كذلك ألتزم فيها الكاتب بتقشير الفقرات.

نلمس فى أول الرسالة أن الكاتب لجأ إلى السجع القصير الذى لا يأخذ من قارئه زمناً، وأيضاً لجأ إلى الموازنة بين العبارتين المتجاورتين موازنة تكاد تجعلهما مسجوعتان وذلك فى مثل قوله: "فأنك تدلى بسابق حرمة وتمت بسالف خدمة". وقوله: "وأبسط يداً لإصطلامك وإجتياحك، وأنتى ثانية لإستبقائك وأصطلاحك". إذن فأبن العميد كان يعادل فى عباراته معادلات تجعل بينهما إئتلاف.

إن هذه الرسالة تمتاز ببعض المميزات مثل عدم التقيد بالسجع مع شيوعه فيها، وميله إلى الترادف والإطناب مثل: "يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفد العزم ثم يصلح". بالإضافة إلى وجود بعض من الجناس والطباق. ثم نلمس فيها اللهجة الخطابية البليغة كقوله: "فلا عجب ان تنتبه إنتباهة تبصر بها قبح ما صنعت"^٢.

وقد أجمع أهل البصيرة فى الترسل على أن رسالته هذه هى غرّة كلامه، وواسطة عقده.^٣

١ - الفن ومذاهبه فى النثر العربى. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٢٠٩-٢١٠.

٢ - تطور الأساليب النثرية. أنيس المقدسى. مرجع سابق. ص ٢٦٠.

٣ - أعلام الأدب العباسى. رضوان الداية. مرجع سابق. ص ١٦٦.

٢ - رسالة إبراهيم بن سيابة لخالد البرمكى يستعطفه: -

من الناس من يصعب عليه أمر ويقع فى ضيقه، فيطلب لذلك مخرجاً، فهذه الرسالة يظهر فيها ضعف الكاتب ورجاؤه، ويلتمس فيها العطف ممن يكتب إليه، هى رسالة إستعطف بعث بها إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكى، وكان قد أنكر منه شيئاً، فكتب إليه يترضاه بقوله: "للأصيد*^١ الجواد، الوارى الزناد،*^٢ الماجد الأجداد، الوزير الفاضل، الأشم*^٣ البازل، اللباب الحلال*^٤، من المستكين المستجير، البائس الضرير فإنى أحمد الله ذا العزة القدير، إليك وإلى الصغير والكبير، بالرحمة العامة، والبركة التامة.

أما بعد: فأغنم وأسلم، وأعلم إن كنت تعلم، أنه من يرحم يرحم، ومن يحرم يحرم، ومن يحسن يغنم، ومن يصنع المعروف لا يعدم*^٥، وقد سبق إلى تغضبك على، وإطراحك لى، وغفائك عنى، بما لا أقوم به ولا أقعد، ولا أنتبه ولا أرقد، فلست بحى صحيح، ولا بميت مستريح، فررت بعد الله منك إليك، وتحملت بك عليك، ولذلك قلت:

أسرعت بى حناً إليك خطائى

فاناخت بمذنب ذى رجاء

راغب راهب إليك يرجى

منك عفواً عنه وفضل عطاء

ولعمرى ما من أصرّ ومن تا

ب مقراً بذنبه سواء

فإن - رأيت - أراك الله ما تحب، وأبأقاك فى خير - أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى، وتخشعى وتذلى، فإن ذلك ليس منى بنحيزة*^٦، ولا طبيعة، ولا على وجه تصيد تصنع وتخدع*^٧ ولكنه

١ - *الأصيد: السيد الرافع رأسه أنفة

٢ - *الزناد: أصله مخرج النار منه، وهو كناية عن مضاء العزيمة

٣ - *الأشم: المملوء أنفة

٤ - *الحلال: السيد الشجاع ذو المروءة

٥ - *يعدم: أى لا يعدم مكافأته

٦ - *نحيزة: طبيعة

٧ - *تخدع: خداع

تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع*^١، ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا من التضرع له عزّ ورفعته وشرف"^٢.

بدأ الكاتب رسالته بتطويل المقدمة، وهى مدح ممدوحه ونعته بالعديد من الصفات، ثم وصل بعد ذلك إلى الغرض الذى يريده وهو العفو عنه، ونلاحظ فيها كثير إستخدامه للسجع من مثل قوله: "الأصيد الجواد، الوارى الزناد، الماجد الأجداد". كذلك يكثر فيها ترادف العبارات وذلك فى قوله: "وأعلم إن كنت تعلم أنه من يرَحَم يُرَحَم، ومن يحرم يُحرم". كذلك لجأ إلى الشعر حتى يميل إليه قلب من يرجو منه العطف.

ثم يختتمها بترك الخيار لمن يريد منه العفو، إن رأى فى هذا التذلل والتضرع فيه العفو فليفعل، وإن رأى غير ذلك فليفعل، مع تأكيده بأن هذا التضرع والتذلل لم يكن إلا لمن هو رفيع المقام، عزيز الشرف.

ويقول الجاحظ فى شأنها: "أن عامّة أهل بغداد كانوا يحفظونها إعجاباً ببلاغتها".

^١ - *ضارع: دليل

^٢ - العباسى الأول. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩٥.

٣- رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يستجديه:-

هذه الرسالة بعث بها أحمد بن يوسف إلى المأمون، يطلب منه ويستجديه للسماح لزوار ببابه بالدخول، ويظهر فيها الإيجاز إذ يقول:

"داعى نداك يا أمير المؤمنين، ومنادى جدواك، جمعا ببابك الوفود، يرجون نائلك المعهود، فمنهم من يمت بحرمة، ومنهم من يدلى بخدمة، وقد أجحف بهم المقام، وطالت عليهم الأيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتعسهم بسببه، ويحقق حُسن ظنهم بطوله*^١، فعل إن شاء الله تعالى".^٢

وقيل لما سمع المأمون هذه الشكوى، ما كان منه إلا أن كتب له: "الخير متبع، وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات، فاكتب أسماءهم، وبين مرتبة كل واحد منهم ليصير إليه على قدر إستحقاقه، ولا تُكدرن معروفنا بالمطل الحجاب، فقد قال الشاعر:-

فإنك لن ترى طرداً لحرٍ

كالصاق به طرف الهوان

ولم تجلب مودة ذى وفاء

بمثل الود أو بذل اللسان^٣

ففى هذه الرسالة يمكننا أن نعد ذلك الرد الذى بعث به المأمون من توقيعات بنى العباس التى كان يوقعها الخلفاء أنفسهم، وأيضاً يظهر فيها إستخدام الكاتب للسجع وذلك مثل: "داعى فداك- منادى جدواك"- "الوفود المعهود"، والجناس فى قوله: "يمت بحرمة، يدلى بخدمة".

^١ - *الطول والطائل والطائفة: الفضل والقدرة والغنى والسعة

^٢ - الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول. إبراهيم رفيده. مرجع سابق.

ص ٣٠٣-٣٠٤

^٣ - الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى. محمد عبدالمنعم خفاجى. ط٢. القاهرة: مطبعة

مصطفى بابل الحلبى. ١٩٧٣. ص ١١٣.

٤- رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون في الشكوى:-

تُعد هذه الرسالة من أبلغ الرسائل التي كتب بها أحمد بن يوسف، إذ تُلطف فيها بتوصيل شكوى الجند الذين تأخرت أرزاقهم إلى المأمون من غير أن تكون فيها إيلاَم للخليفة أو إعتداء على سامي مقامه، إذ يقول فيها:

"كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الإنقياد والطاعة، على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وإنقياد كفاة تراخت أعطياتهم، وأختلت لذلك أحوالهم والتأثت معه أمورهم."^١

من الصيغ التي تفتتح بها مكاتبات الرسائل في العصر العباسي قولهم: "كتابي"، تلك الصيغة التي عادةً ما يكتب بها من هو دون الخليفة إلى الخليفة، وهذا هو أحمد بن يوسف وقد بدأ كتابه إلى المأمون بتلك العبارة، كما نلمس فيها براعته في الإيجاز في إيصال الغرض من الرسالة، مع عدم التزام الكاتب بالمحسنات البديعية.

^١ -الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي.. محمد عبدالمنعم خفاجي. مرجع سابق. ص ١١٥.

الفصل الثالث: التوقيعات

المبحث الأول: - توقيعات الخلفاء

١. توقيع السّفاح لأهل الأنبار
٢. توقيع أبي جعفر المنصور لأهل الكوفة
٣. توقيع المأمون لأبن هشام
٤. توقيع المهدي لأحد الشعراء
٥. توقيع الرشيد لصاحب خراسان

المبحث الثاني: - توقيعات الأمراء والوزراء

١. توقيع الفضل بن سهل لمظلوم
٢. توقيع جعفر البرمكي لعليّ بن عيسى
٣. توقيع الحسن بن سهل لأحد الشعراء
٤. توقيع الحسن بن سهل لمتظلم

الفصل الثالث: - التوقيعات: -

ظل الميل إلى الإيجاز متغلباً في نفوس الأدباء حتى مال إلى حد التوقيع، فالتوقيعات فنٌ أدبى عُنِيَ به الفرس قبل الإسلام، ونما وتطور إلى أن وصل إلى الدولة العباسية. وللتوقيع في اللغة معانٍ كثيرة ترجع كلها إلى المعنى الإصطلاحى، وهو مصطلح يُطلق على الرد الذى يكتبه الخليفة أو الوالى أو الوزير فى ذيل الرقعة التى تتضمن قصة تُرفع إليه. وهو موجز لا يتجاوز جملة أو جملتين. وقد مثلّ التوقيع منذ أواخر القرن الثانى الهجرى نموذجاً أمثل لكتابة الرسائل عامة حتى قيل أن جعفر بن يحيى البرمكى قد قال لكتابه: "إن أستطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا"^١

وقد كان الخلفاء فى صدر الإسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم، وتكون هذه العبارة التى تُكتب حلاً لقضية أو جواباً عنها، وتتميز التوقيعات بصدورها عن أولى الأمر إلى من هم أدنى منهم مرتبة، وأهم ما يميزها أيضاً أنها موجزة مختصرة، بليغة رفيعة المستوى، وقد تكون عباراتها إبداعاً من الكاتب وقد تكون إقتباساً من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو الأمثال أو الأشعار أو الأقوال المأثورة.^٢

ومن معانى التوقيع اللغوية: التأثير القليل، يُقال جنب هذه الناقّة موقّع، أى أن فيه تأثيراً خفياً من الحبال. والجامع ما بين المعنيين أن التوقيع فى أسفل الكتاب تأثير خفيف إلى جانب ما كُتب فيه من عبارات مسهبة،

ومن معانيه أيضاً: إيقاع شئ صغير على آخر مع تخالف فى لونيها، يُقال بغير موقّع إذا دبر ظهره ثم برى فيرى بموضعه شامة بيضاء، والتوقيع على عهدهم كان يكتب بمداد أحمر، والقصص عادة ما كانت تُكتب بالسواد، فمن هنا تبدو العلاقة ما بين المعنيين واضحة.^٣ والتوقيعات داخل الدولة العباسية كثيرة لا نستطيع حصرها ولكن لكى نتبين براعة الكتّاب العباسيين فى كتابتها وتتميق عباراتها لا بدّ من أخذ نماذج منها.

فمن أمثلة التوقيع، ما وقّعه السفاح إلى قوم من أهل الأنبار حينما شكوا إليه أن منازلهم أُخذت وأدخلت فى بناء أمر به، ولم يُعطوا أثمانها فوقّ على رقعتهم بقوله:

^١ - الصناعتين. أبى هلال العسكري. مرجع سابق. ص ١٦٦.

^٢ - تاريخ الترسّل النثرى عند العرب. محمود المقداد. مرجع سابق. ص ٨٠.

^٣ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. محمد الحضرى بك. المكتبة التجارية الكبرى. ص ٩٤.

"هذا بناءً أُسس على غير تقوى". ففي هذا التوقيع يظهر الإيجاز في توصيل المراد، وبراعته في أخذه من القرآن الكريم.

وشكا أهل الكوفة إلى أبي جعفر المنصور من سوء معاملة عاملهم، فما كان منه إلا أن وقع على كتابهم بقوله:

"كما تكونوا يؤمّر عليكم". ففي هذا التوقيع تظهر لنا أولاً الحكمة ندبمعنى أنه يريد أن يخبرهم بأن الجزاء من نفس العمل، هذا مع الإيجاز في إيصال المعنى المراد.

وكتب ابن هشام إلى المأمون يتظلم من أمر، فوقع على كتابه:

"من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه، فأى الرجلين أنت".^١

فقد حاول المأمون بهذا التوقيع أن يداوى ظلم ابن هشام بالحكمة .

وقد كانت التوقيعات في العصر العباسي لا تقتصر على المظالم التي ترد إلى الخلفاء والشكاوى، بل كانوا يتفننون فيها فقد تكون رداً على مدح أو غيره وذلك عندما وقع المهدي

على أبيات شاعر أسرف في مدحه بقوله:

"أسرفت في مديحك فقصرنا في حباتك".

نلمس في هذا التوقيع أن كثرة المدح أحياناً تقلل العطاء.^٢

ووقع هارون الرشيد إلى صاحب خراسان بقوله: "داو جرحك لا يتسع".^٣

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء فقط في الدولة العباسية، فقد كان للأمرء والوزراء نصيب منها، فمن توقيعات الوزراء ما وقّعه الفضل بن سهل على قصة مظلوم:

"كفى بالله لمظلوم ناصراً". فهو توقيع يُعد إقتباساً من القرآن الكريم.

ووقع جعفر بن يحيى البرمكي على كتاب لعليّ بن عيسى بن ماهان يعتذر فيه عن أشياء بلغته عنه بقوله:

"حُبب إلينا الوفاء الذي أبغضته، وبغض الغدر الذي أحببته، فما جزاء الأيام أن تحسن ظنك بها وقد رأيت غدراتها ووقعاتها عياناً وإخباراً"^٤

^١ - تاريخ آداب اللغة العربية. جرجى زيدان. مرجع سابق. ص ١٤٩.

^٢ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. محمد الحضري. مرجع سابق. ص ٩٦.

^٣ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج ٤. مرجع سابق. ص ٣٧٤.

^٤ - العصر العباسي الأول. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩٠.

نلاحظ في هذا التوقيع الإطالة في إيصال الغرض، وأن كاتبه أستخدم فيه بعض المحسنات البديعية مثل المقابلة ما بين: "حُبب-بُغض"- "الوفاء-الغدر"- "ابغضته-أحببته".
 ووقع الحسن بن سهل في رقعة متظلم رُفعت إليه وذلك بقوله: "يُنظر فيما رُفع، فإن الحق متبع، وإلا فشأن السليم دواء السقيم"^١
 ووقع الفيض بن أبي صالح*^٢ في رقعة معذرت تائب وذلك بقوله: "التوبة للمذنب كالدواء للمريض، فإن نصحت توبته أتم الله شفاءه، وإن تكن الأخرى أدام الله داءه".
 كذلك لم تخلو توقيعات بنى العباس من الشعر، فقد درجوا في بعض التوقيعات أن تحمل أبياتاً من الشعر، رداً على القصة التي ترد إليهم، فهاهو الحسن بن سهل يوقع رداً على أحد الشعراء بقوله^٣ (أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، والحق له ما إلتمسه) رداً على أبياته تلك:

رأيت في النوم أني راكب فرساً

ولى وصيف وفي كفى دنانير

فقال قوم لهم فهم ومعرفة

رأيت خيراً وللأحلام تعبير

رؤياك فسر غداً عند الأمير تجد

تعبير ذاك وفي الفال التبشير

وكما كانت توقيعاتهم تحماً إقتباساً صريحاً من القرآن الكريم، فإنها أحياناً تحمل في طياتها إشارة إلى معنى آية، فمن ذلك ما وقعه المأمون إلى ابن رافع بقوله:
 "يا أبارافع إني رافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا"^٤.

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج. ٤. مرجع سابق. ص. ٣٨٩.

^٢ - * كان وزيراً للمهدى

^٣ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج. ٤. مرجع سابق. ص. ٣٩٠.

^٤ - وفيات الأعيان أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلکان. تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل. ج ١. ط ١. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ص ٢٨٢.

ومن تلك الأمثلة نستطيع أن نتبين أسلوب العباسيين فى توقعاتهم، وهذه النماذج هى على سبيل المثال لا الحصر. ويمكننا أن نستخلص من خلالها بعض المميزات التى تمتاز بها التوقعات ، فهى تمتاز أولاً بالإيجاز وإصابة الغرض بحيث تُغنى عن كثرة الكلام، وتتضمن رأياً واضحاً.

الفصل الرابع

الرسائل الإخوائية

المبحث الأول: رسائل التهاني والتعازي

١. رسالة ابن المقفع في التهنة
٢. رسالة العتابي إلى أحد أخوانه معزياً
٣. رسالة عبدالله بن المعتز إلى أحد أخوانه معزياً

المبحث الأول: - رسائل التهاني والتعازي

مقدمة: -

هي نوع من أنواع الرسائل في العصر العباسي، وتعنى الشخصى الذى يتبادله الأصدقاء أو الناس عامة، وهذا النوع هو الأقرب إلى الأدب وإيحاءاته اللفظية والأسلوبية، ومن موضوعاته الشكر والتشوق والعتاب والتهنئة والشكوى والإستعطاف والإعتذار وغيرها من الموضوعات.^١

ويقول فى شأنها القلقشندى: "لها موقعٌ خطير من حيث أنها يشترك الكافة فى الحاجة إليها، والكاتب إذا كان ماهراً أغرب معانيها، ولطف مبانيها، وتسهل له فيها ما لا يكاد يتسهل فى الكتب الى لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز".^٢

وللوقوف على هذا النوع من الرسائل الإخوانية لا بدّ من أخذ نماذج منها، لنتبين تفنن الكتاب فى كتابتها وأساليبهم فيها.

^١ - فى النثر العربى. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٢.

^٢ - صبخ الأعشى. القلقشندى. مرجع سابق. ص ٥.

١ - رسالة لأبن المقفع إلى صديق له مهناً:-

وكتب ابن المقفع إلى صديق له رُزق بمولود، يهنئه ويبارك له، وذلك في قوله:
"بارك الله لكم في الإبنة المستفادة، وجعلها لكم زيناً، وأجرى لكم بها خيراً، فلا تكرهها، فإنهن
الأمهات والأخوات، والعمّات والخالات، ومنهن الباقيات الصالحات، وربّ غلامٍ ساء أهله بعد
مسرتهم، وربّ جاريةٍ فرحت أهلها بعد مساعتهم"^١
هذا هو أسلوب ابن المقفع في رسائله، فقد ألتمز الإيجاز في توصيل غرضه، وأسلوبه لا يلتزم
فيه السجع لأنه يهتم بتجويد المعنى أكثر من اللفظ، ونلمس في هذه الرسالة إشارة إلى قوله
تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا... الخ"^٢، وذلك في قوله: "وجعلها لكم زيناً".
وأيضاً هناك إشارة دقيقة إلى العادة الجاهلية، وذلك عندما كانوا يؤدون البنات وذلك في
قوله: "فلا تكرهها".
والمقابلة في قوله: "غلام، جارية/ ساء، فرح/ مسرّة، مساءة".

٢ - رسالة العتابي إلى أحد إخوانه معزياً:-

وكتب كلثوم بن عمرو العتابي*^٣ إلى بعض إخوانه معزياً له قائلاً:
"إن أشدّ من المصيبة حرمان الأجر منها والحسبة، وقد ذهب منك ما رزئت، فلا يذهب منك ما
عوّضت، قال الشاعر:
وعوّضت أجراً من فقيد فلا يكن
فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب"^٤

نلمس في هذه الرسالة الإيجاز في القول، ومحاولة الكاتب لتخفيف الألم عن صديقه بأقصر
العبارات، وذلك بتذكيره أن الصبر يُورث الجنة، وأن الجزع يُفقد الأجر. والرسالة مع قصرها
فإن الكاتب لا يلتزم فيها نوعاً من أنواع المحسنات البديعية.

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص. ٥٧.

^٢ - سورة الكهف. آية رقم (٤٦)

^٣ - * هو أحد شعراء الدولة العباسية، وكتابتاً حسن الترسل.

^٤ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص. ٤٧٧.

٣- رسالة عبدالله بن المعتز لأحد أخوانه معزياً:-

وكتب عبدالله بن المعتز كتاباً لأحد إخوانه معزياً وذلك بقوله:

"عاريّة سرّك الله بمدتها، وآثرك بثوابها، وأثابك عن إرتجاعها، فأبشر بعاجل من صنعه، وآجل من جزائه ومثوبته.

عظّم الله أجرك، وجعل الثواب عوضك، ووفّقك لنيل مرضاته عنك، وإنّا لله، قولاً بما علم، تستتجز بها ما وعد"^١

فقد بدأ ابن المعتز رسالته بقوله "عاريّة" وفي ذلك تأكيد بأن كل نفس زائقة الموت وأن لكل أجل كتاب، هذا بالإضافة إلى شيوع السجع وذلك في مثل قوله: "سرّك الله بمدتها، وآثرك بثوابها" و"أثابك عن إرتجاعها". وفي قوله: "عظّم الله أجرك، الثواب عوضك، مرضاته عنك" أمّا الطباق ففي قوله: "عاجل من صنعه، آجل من جزائه".

^١ - المرجع السابق. ص ٣٠٦.

المبحث الثاني: - رسائل مناسبات أخرى

١. رسالة ابن العميد إلى صديق له في الشوق
٢. رسالة أحمد بن يوسف في الذمّ
٣. رسالة يوسف بن صبيح في العتاب
٤. رسالة ابن العميد في الشكوى
٥. رسالة أحمد بن يوسف في الإعتذار
٦. رسالة السيدة زبيدة في الإستعطاف

المبحث الثاني: رسائل مناسبات أخرى:-

١- رسالة ابن العميد إلى صديق له في الشوق:-

كثيراً ما يشواق الأنسان إلى عزيز لديه، لذلك يحتاج إلى الكتابة إليه، فهذه رسالة يبعث بها ابن العميد إلى صديق له يُعبر فيها عن شوقه وفيها يقول:

" كتابي وأنا بحال لو لم ينغص منها الشوق إليك، ولم يرنق صفوها النزاع نحوك لعدنتها من الأحوال الجميلة، وأعدت حظي منها في النعم الجليلة، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة، وحظيت منها في جسمي بصلاح، وفي سعيي بنجاح، ولكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك، ويخلو ذرعي مع خلوي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع إنفرادي دونك، وكيف أطعم في ذلك وأنت جزء من نفسي ناظم لشمل أنسي، وقد حرمت رؤيتك وهدمت مشاهدتك، وهل تسكن نفس متشعبة ذات إنقسام، وينفع أنس مشتت بلا نظام.

وقد قرأت كتابك- جعلني الله فداك- فامتألت سروراً بملاحظة خطك، وتأمل تصرفك في لفظك وما أقرظهما، فكل خصالك مقرظ عندي، وما أمدحهما فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي، وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك، فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما ألقى على بصرى."^١

القارئ لتلك الرسالة يجد أنها تتضمن فكرتين هما: وصف حال الكاتب عند إستلامه للرسالة، وسروره لما لاحظته من خط جميل وعبارات أنيقة. ثم وصف الكاتب لحاله وإحساسه بالميل إلى صديقه والشوق إليه، كل ذلك وإن دلّ إنما يدل على إخلاص ووفاء من الكاتب تجاه صديقه. بينما تحمل الجملة الإعتراضية الداعية "جعلني الله فداك" معناً كريماً يتضمن الحب والوداد.

أيضاً نلاحظ فيها أفكاره المتسلسلة ومعانيه المترابطة التي تعبر تعبيراً واضحاً عن الغرض الأساسى منها.

أيضاً نلمس فيها إهتمام الكاتب بالمحسنات البديعية من مثل التشبيه في قوله: "أنت جزء من نفسي"- والإستعارة: "ينغصها الشوق، يصفو لي عيش"- والكناية في قوله "غطى هواك بصرى"-

^١ - أمراء الشعر في دولة بنى العباس. مصطفى السيوفى. ط١. دار الدولية للإستثمارات. ٢٠٠٨م.

والسجع فى قوله: "الأحوال الجميلة، والنعم الجليلة" سلامة عامة، نعمة تامة- والجناس فى قوله: "الجميلة، الجليلة"- "عامة، تامة". والترادف والإطناب فى مثل قوله: "لم ينغص، لم يرتق"- "يصفو لى عيش، يخلو ذرعى"، "ما أقرظهما، ما أمدحهما".

ثم نجد الأخذ والإقتباس من أقوال الشعراء، وهذا واضح فى ختام رسالته إذ يقول: "والإقْد غطى هواك وما ألقى على بصرى"، مأخوذاً من قول الشاعر*^١:

قالت وأبثنتها شجوى وبحت به

قد كنت عندى تحب الستر فأستتر

ألت تبصر من حولى فقلت لها

غطى هواك وما ألقى على بصرى^٢

٢- رسالة أحمد بن يوسف فى الذم:-

وكتب أحمد بن يوسف فى الذم إلى بعض إخوانه إذ يقول:
"أمّا بعد: فإنى لا أعرف للمعروف طريقاً أو عر من طريقه إليك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك فى المعروف أن تحقره. وفى وليّه أن تكفره."^٣
فى هذه الرسالة أوجز الكاتب فوصل إلى تحقيق ما يُريده منها، ويظهر فيها شدة الأسلوب وذلك لأن المقام يقتضى ذلك وهو مقام الذم، أما من حيث استخدام المحسنات فنلاحظ أنه لم يلتزم فيها نوعاً بعينه.

^١ - * الشاعر هو: عروة بن أذينة من الشعراء الذين صبّوا جُل إهتمامهم بالغزل. ديوان عروة. ط٣. ص

١٩٩.

^٢ - المرجع السابق. ص ٢٧٩-٢٨١.

^٣ - الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى. خفاجى. مرجع سابق. ص ١٦٤.

٣- رسالة يوسف بن صبيح في العتاب:-

يُعد العتاب من الفنون التي كتب فيها العباسيون، وقد تفننوا فيه، وتعد هذه الرسالة من الرسائل الطريفة في العتاب، والتي تدل على دقة الحس ورهافة الشعور، فقد كتب بها يوسف بن صبيح إلى محمد بن زياد الحارثي، وفيها يقول:

"حفظك الله وحاطك، رأيتك-أكرمك الله- في خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبتك، وإبلاغنا خبرك وقطعتنا قطع ذي السلوة أة أخي المله*^١، حتى كأنك كنت إلى مفارقتنا مشتاقاً، وإلى البُعد عنا تواقاً، فوقع بُعدك بحيث تحب من جهتين: إحداهما حلوة الولاية، والأخرى لذة الراحة منّا، فإن ذلك كما رجينا هفأطعنك مجملين، أو أسئناك على يقين، وما أدري ما أقول في إخبارك ترك الكتب المحدثه عن العتب بالأسرار المفهومة، حتى كأنها محادثة الحضور، على تنائي الدور، والقلوب بها مشاهدة، وإن كانت الأبدان متباعدة، ولئن كذب فيك الرجاء، لقد يماً عزّ الوفاء، وقد أصبتك من مرارة العتاب بما لا تقيم بعده على قطيعة ولا جفاء، ولا تتوهمن إنى أردت إعانتك بإعتابي، ولا أن أزرى عليك بكتابي، فإن وصلت فمشكور، وإن قطعت فمعدور، والسلام.^٢"

بدأ الكاتب هذه الرسالة بالدعاء للمكتوب له وذلك بقوله: "حفظك الله-أكرمك الله". ثم نجد أنه لم يلتزم السجع في جميع أجزاء الرسالة وإنما جاء في بعض منها وذلك في مثل قوله: "مواصلتنا بكتابتك، وإبلاغنا خبرك"، والترادف في قوله: "إلى مفارقتنا مشتاقاً وإلى البعد عنا تواقاً". ثم نلمس فيها رقة الأسلوب في عتابه وأنه لم يعتف فيه، وقد ختمها بقوله: "والسلام".

^١ - * المله: المال

^٢ - العصر العباسي الأول. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٤٩٣-٤٩٤.

٤- رسالة ابن العميد فى الشكوى :-

تُعد من الأغراض التى تناولتها الرسائل الإخوانية، فقد كتب ابن العميد إلى أحد إخوانه يشكو فيها الزمان وغدره إذ يقول:

"إنما أشكو إليك-جعلنى الله فداك-دهراً خُوناً غدوراً، وزماناً خدوعاً غروراً، لا يمنح ما منح إلا ريثماً نزع، ولا يُبقى فيما يهب إلا ريثماً يرتجع، يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جرماً ثم يمتنع، وكانت منه شيمة مألوفة، وسجية معروفة، أن يشفع ما يبرمه بقرب إنتفاض، ويهدى لما يبسطه وشيك إنتفاض، وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان فيه وقسط، ونرضى على الرغم بحكمه، ونسلم ونستئم بقصده وظلمه، وتعتبر من أسباب المسره ألا يجئ معذوره مصمماً بلا إنفراج، ولا يأتى مكروهه صرفاً بلا مزاج، ونتعل بما نخنلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته، وقد إستحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحه من الفساد حالاً، وقارن بكل خلة من المكروه خلافاً^١.

لجأ الكاتب فى هذه الرسالة فى تصوير إنفعاله بأحداث الدهر إلى المحسنات البديعية، وقد شبه الدهر بالإنسان فى غدره وخيانتته، وجعله يُعطى وينزع، ثم نلمس فيها شيوع السجع، فقد لجأ ابن العميد هنا إلى استخدام السجع الحالى*^٢ وذلك فى مثل قوله: "شيمة مألوفة، وسجية معروفة"- سنة مبتدعة -شريعة متبعة" وأيضاً لجأ إلى استخدام الأسلوب المرصع المتوازى*^٣ وذلك فى مثل قوله: " يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جرماً ثم يمتنع"

^١ -بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ٨٩-٩٠.

^٢ - *السجع الحالى: يُقصد به إتفاق الفاصلتان وزناً وقافية.

^٣ - *المرصع المتوازى: يُقصد به إتفاق المتقابلات وزناً وقافية

٥- رسالة أحمد بن يوسف فى الاعتذار :-

وكتب أحمد بن يوسف إلى صديق له ،يعتذر وذلك بقوله:

"لى ذنوبٌ إن عددها جلت، وإن ضممتها إلى فضلك حسنت، وقد راجعت إنابتي، وسلكت طريق استقامتى، وعلمت أن توبتى فى حُجتي، وإقرارى أبلغ فى معذرتى، فهذا مقام التائب من جُرمه، المتضمن حسن الفيئة*^١ على نفسه، فقد كان عقابك بالحلم عنى، أبلغ من أمرى بالإنصاف منى، فإن رأيت أن تهب لى ما أستحقته من العقوبة، لما ترجوه من المثوبة، فعلت إن شاء الله."^٢

درج الكتاب فى هذا العصر إلى التلطف فى مثل هذه الأغراض، فهذا هو أحمد بن يوسف يتلطف فى التماس العذر من صديقه، ويعترف له بكثرة ذنوبه، ويرجو منه العفو، ولما كان المقام مقام اعتذار وطلب العفو، فإنه أوجز القول، ولم يُكثر من استخدام المحسنات البديعية إلا ما اقتضت له الحاجة، فالقارئ لهذه الرسالة يجده قد استخدم السجع دون تكلف فيه، وهذه هى طبيعة الكتاب فى تلك الفترة، فإنهم كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها، ويتركون لأقلامهم العنان.

^١ - *الفيئة : الرجوع

^٢ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج.٣. مرجع سابق. ص.٤٤٤-٤٤٥.

٦- رسالة السيدة زبيدة فى الإستعطاف:-

ومن الرسائل الأخوانية ما قد يكون متبادلاً بين الرئيس والمرؤوس، فهذه هى السيدة زبيدة، تكتب إلى المأمون تستعطفه فى إينها الأمين بقولها:

"كل ذنب يا أمير المؤمنين- وإن عظم- صغير فى جنب عفوك، وكل ذلك- وإن جَل- حقير عند صفحك، وذلك الذى عودك الله، فأطال مذكورتم نعمتك، وأدام بك الخير، ورفع بك الشر.

هذه رقعة الواله*^١ التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر، وفى الممات لجميل الذكر، فإن رأيت أن ترحم ضعفى وأستكانتى*^٢، وقلة حيلتى، وأن تصل رحمى، وتحتسب*^٣ فيما جعلك الله فيه طالباً، وفيه راغباً، فأفعل، وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعى إليك"^٤

بدأت هذه الرسالة بالإمتنان للخليفة، وتذكيره بجانب حلمه وصفحه، وهذا هو أقوى مؤثر للإستعطاف وإمالة القلوب، وذلك فى قولها: " كل ذنب يا أمير المؤمنين- وإن عظم- صغير فى جنب عفوك... الخ".

ثم نجد فيها استخدام للسجع مثل: "فأطال مدتك-تم نعمتك"، "فما جعلك الله فيه طالباً، وفيه راغباً".

^١-*الوله: شديد الحزن على ولدها

^٢-*الإستكانه: الخضوع والذلة

^٣-*تحتسب: ينوى به وجه الله

^٤- المرجع السابق. ص ٣٧٤.

الباب الثاني

الخصائص الفنيّة للرسائل في العصر العبّاسي

الفصل الأول: شكل الرسائل

المبحث الأول: المقدمة

المبحث الثاني: الموضوع

المبحث الثالث: الخاتمة

الفصل الثاني: الدراسة الفنيّة

المبحث الأول : الألفاظ والمعاني

المبحث الثاني: الإقتباس

المبحث الثالث: السجع والتوازن

المبحث الرابع: التخييل والتصوير

المبحث الخامس : الإيجاز والإطناب

المبحث السادس: الإستشهاد بالقصة

المبحث السابع: الإستشهاد بالشعر

الفصل الأول:

شكل الرسائل

المبحث الأول :المقدمة

المبحث الثاني :الموضوع

المبحث الثالث : الخاتمه

مقدمة

لم يكن نجاح الكاتب الناشئ هيئاً، فقد كان لا بد له من إحسان صناعة الكتابة، وهو إحسان جعله يتوفر على مادتها اللغوية والأسلوبية، ولا بد له أيضاً من ترتيب أجزائها وتمييقها وزخرفة أسلوبها وتقويته، فهي كالبنيان، حتى يتقن تلك الكتابة الإتقان المنشود من حيث الوضوح والجمال الفني، أما الوضوح لأنه غالباً ما يكتب إلى الرعية فلا بد لها أن تفهم عنه، أما من حيث الجمال الفني فلأنه كان يكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد، فلا بد أن يروعهم ببيانه وبلاغته.¹

إن نستطيع أن نقول أن العمل الفني للرسالة هو ثمرة جهد وإجتهد من الكاتب، فهو حينما يكتبها وينمقها ويرسلها يكون بذلك قد أخرج ثمرة ما جادت به قريحته، وما ناله من ثقافة وأدب.

تبعاً لذلك كان لا بد أن نُجمل القول عن الخصائص الفنية للرسائل في العصر العباسي في عنصرين أساسيين هما: شكل الرسائل، وثانياً الأسلوب وما يشتمل عليه من وسائل تعبيريه

¹ - العصر العباسي الأول. شوقي ضيف. مرجع سابق. ص ٤٦٦.

المبحث الأول: المقدمة:-

ويُقصد بها الإفتتاح وهو أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود، لأنه يفيد من مبدأ الكلام ما المقصود منه، وخُصت الإبتدئات بالإختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الإبتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على إستعماله.^١

فقد دارت مقدمات الرسائل فى الدولة العباسية فى إتجاهين، أولهما: ما درج عليه الكتاب منذ صدر الإسلام، وثانيهما التقديم للرسالة بشئ يتصل بها ويمهّد لها.

فنجد الرسائل فى عهد الخلفاء الراشدين كانت تُفتتح بلفظ: "هذا ما عهد" أو "هذا عهد من فلان لفلان". وذلك مثل ما كتب أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردّة: "هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لفلان.... الخ"^٢

أما فى عصر بنى أمية، فقد كانت تُفتتح كتبهم بقولهم: "أما بعد" ثم الولوج إلى الموضوع الذى من أجله كُتبت الرسالة، وذلك مثل ما كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه قائلًا:

"أما بعد، فإن أمير المؤمنين - عندما إعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الإعرابى، المتسكع فى حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوى الهلكة.... الخ"^٣

أما فى العصر العباسى، فقد تعددت مقدمات الرسائل وتنوعت، فمنها القصير المختصر، ومنها المطول، فمن المقدمات المطولة، ما كتبه أبى جعفر المنصور حينما أراد البيعة لإبنه محمد المهدي من بعده، فقد أطل فى وصفه وذلك فى قوله: "والمهدي - معشر المسلمين - فى عفاقه وصلاحه، وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته وإستصلاحه وإستبقائه، وعفوه ومقدرته، ورأيه ومكيدته وشوكته على عدوه، وحسن تدبيره فى ولايته وسياسته لجنوده ورفقه وعدله.... إلى أن يصل إلى قوله: "قويًا على طاعة الله ونصر دينه، والذب عن حقه وملته." فقد

^١ - جواهر الأدب. أحمد الهاشمى. مرجع سابق. ص ٤٠.

^٢ - صبح الأعشى. القلقشندى. ج ١٠. مرجع سابق. ص ١٩٢.

^٣ - المرجع السابق. ص ١٩٥.

أطال المنصور هنا في مقدمته، كما وردت بأكملها في الباب الأول من هذا البحث، ربما ليلفت إنتباه الناس للخليفة الذي سيتولى زمام أمرهم. ونجد أن المقدمة من الرسالة هي أول ما يطرق الأسماع، لذا لا بدّ أن تكون قوية وجيدة لتلفت إليها السامعين، ويتأهبوا لما بعدها. ونجد أن لكل موضوع فكرة أو مقدمة، هذه المقدمة قد تكون بسيطة بالغة الحد في البساطة، وقد تكون معقدة، ومن هنا تتضح أهمية المقدمة ومهارة الكاتب في التقديم لرسائله.¹ فالمقدمة قد تكون واضحة في معظم الكتب، لا يشوبها غموض، وهي كما كان الحال عليها منذ عهد الخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية كما ذكر آنفاً، فقد كانت تبدأ كتبهم بالبسملة مع زيادة لفظ "عبدالله" قبل الأسم ولفظ "الإمام" بعده وهي هكذا: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله فلان الإمام أمير المؤمنين إلى فلان، أما بعد.... الخ". ونجد أن العباسيين تفننوا طويلاً في التحميدات التي تصد بها الرسائل، ثم زاد الرشيد بعد التحميد الصلاة على النبي (ص) فجرى العمل بذلك، ثم لما صارت الخلافة إلى الأمين إكتفى وكانت كنيته "أبا موسى"، فتبع ذلك بعده، وكانوا أحياناً يقدمون التحميد والصلاة على النبي (ص) قبل البعديّ ثم يلونها بالعرض، وأحياناً يختصروا الصورة فتركوا التحميد والصلاة على النبي (ص)، ولم يكن ذلك من إختراع العباسيين لكنهم أكثروا منها في الإخوانيات ورسائل السلطان. ثم تركوا في الإخوانيات الحمد والصلاة وبدأوا بالدعاء للمكتوب إليه، وذلك مثل ما كتب إن العميد إلى عضد الدولة يهنئه قائلاً:

"أطال الله بقاء الأمير....، دام عزّه وتأييده، وعلّوه وتمهيده، وبسطته وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزیده، وهناه بما إحتظاه به على قرب البلاد، من توافر الأعداد، وتكثر الإمداد، وتشمّر الأولاد، وأراه من النجابة في البنين والأسباط.... الخ". ثم أحدثوا فيها في منتصف العصر العباسي البدء بقولهم: "كتابي إليك" مردفين ذلك بالدعاء للمكتوب إليه أو وصف حال الكاتب، ونلمس ذلك في رسالة إن العميد إلى ابن بلكا عند إستعصائه على ركن الدولة. إذ نجد أنه يقدم لرسالته بقوله: "كتابي إليك، وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك.... الخ".²

¹ - عبد الرحمن عطالمنان. "الخطابه في عصر بني أمية". رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية اللغة

العربية. جامعة أدرمان الإسلامية. ٢٠٠٢م. ص ١٧٢.

² - الحياة الأدبية في العصر العباسي. محمد عبد المنعم خفاجي. ص ٨٥.

وبالرغم من ذلك فإن الرسائل الإخوانية نجد أن ضبط إبتدائها غير ممكن، وذلك لإختلاف مذاهب الكتاب فيها .

أما بالنسبة للعهد بالولاية أو بالخلافة فالصورة القديمة كانت تبدأ بقولهم "هذا ما عهد به فلان" وذلك مثل ما فعل الإمام الطائع فى عهده للحسين بن موسى العلوى، إذ نجد أنه بدأه بقوله: "هذا ما عهد به عبدالله عبدالكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن موسى... الخ." أو بقولهم: "هذا ما كتبه عبدالله فلان إلى الخاصة والعامة" وذلك مثل ما فعل عبدالله بن هارون الرشيد لعلّى بن موسى حينما أراد توليته العهد قائلاً: "هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلّى بن موسى بن جعفر ولّى عهده... الخ."

ثم تطورت إبتدئاتهم فبدأوا بالتحميد والصلاة والسلام على النبى (ص)، ثم مقدمه لتعداد فضائل ولّى العهد أو غيره، وهكذا كانت منشوراتهم، فقد بدأ أحمد بن يوسف رسالته بقوله: "من عبدالله الإمام المأمون، أمير المؤمنين إلى المبايعين على الحق، والناصرين للدين، من أهل خراسان وعندهم من أهل الإسلام، سلام الله عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله... الخ"^١

أما فى البيعات فقد كانت مقدماتها تبدأ بالبسملة ثم يأتى بعدها قولهم "تبايعون عبدالله فلاناً... الخ"، وذلك مثل ما قدم للبيعة التى أخذت للمنتصر بالله فقد أفتحت بقولهم:

"بسم الله الرحمن الرحيم: تبايعون عبدالله المنتصر بالله أمير المؤمنين، بيعة طوع وإعتقاد، ورضا ورغبة، بأخلاق من سرائركم، وإنشراح من صدوركم، وصد من نيّاتكم... الخ".

ثم يكثر من الإيمان توكيداً للوفاء وضمناً لعدم الغدر.^٢ وأيضاً مما يلاحظ فى مقدمات الرسائل العباسية أنهم جعلوا لكل طبقة من رجال الدولة نعتاً تفتتح بها رسائلهم، وعبارات تعنون بها كتبهم، وفى مقدمة مخاطبة أبناء الخلفاء فى زمن المقتدر، كان قولهم: "أطال الله بقاء الأمير"^٣، وذلك مثل ما قدم ابن العميد فى رسالته التى بعث بها لعضد الدولة مهناً له قائلاً: "أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة، دام عزه وتأييده، وعلوه وتمهيدته... الخ". وكذلك من مقدماتهم قولهم: "أسعد الله عظماء

^١ - الحياة الأدبية فى العصر العباسى. محمد عبدالمنعم خفاجى. مرجع سابق. ص ٨٦.

^٢ - المرجع السابق. ص ٨٧.

^٣ - تاريخ آداب اللغة. جرجى زيدان. ج ١. ص ٣١٢.

الأملاك... الخ"، وذلك مثل ما قدم القاضى الفاضل لرسالته التى بعث بها للخليفة على لسان صلاح الدين الأيوبى قائلاً: "أسعد الله عظماء الأملاك، بالإنتساب إلى الخدمة الشريفة النبويّة، وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته... الخ". فبمثل هذه المقدمة يكون القصد من ورائها مراعاة التقاليد الدينيّة.

وكذلك درج الكتاب فى العصر العباسى على بدء رسائلهم بالمدح، وذلك ليستميلوا قلوب الخلفاء إليهم، وذلك مثل ما فعل إبراهيم بن سيابة حينما أراد أن يستعطف خالد البرمكى، مبتديئاً رسالته بقوله: "للأصيد الجواد، الوارى الزناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل... الخ"

وأحياناً قد تبدأ رسائل العباسيين بالوعيد والتهديد، ونلمس ذلك فى الرسالة التى وجهها أحمد بن إسرائيل لعمال الدولة قائلاً: "أما بعد، فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأى، فأقحمكم حبال الخطأ، ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ونفى غيابة الحيرة، والآن إن تجنحوا للسلم تحقن دماءكم وترغدوا عيشكم ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم... الخ"

وقد تبدأ رسائلهم ببيت أو بيتين من الشعر وذلك شريطة أن يكون له مدلوله فى الرسالة، وذلك مثل ما فعل القاضى الفاضل فى الرسالة التى بعث بها إلى صديق له يعبر فيها عن مكنون شوقه إليه، مبتديئاً بقوله:

فيا رب أن اليبين أضحت صروفه

علىّ وما لىّ من معين فكن معى

على قرب عدالىّ وبعد أحبتى

وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

ومن مقدمات الرسائل فى العصر العباسى، ما يدل على الوصول، وذلك بأن تبدأ الرسالة بقولهم: "وصل كتاب فلان مخبراً بكذا... الخ" أو "وصل كتابك". ويحسن ذلك فى الرسائل الجوابية.¹

ومن المقدمات التى درج عليها الكتاب أيضاً الدخول فى الموضوع مباشرة، فمن ذلك ما كتبه إن المققع لصديق له يستعين به على حوادث الدهر بقوله: "إن الناس لم يعدموا أن يطلبوا

¹ - فى النثر العربى قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٥.

الحوائج من الخواص من الإخوان، وأن يتوصلوا بالحقوق، يرغبوا إلى أهل المقامات، ويتوسلوا إلى الأكفاء وأنت بحمد الله ونعمته من أهل الخير... الخ"^١
فهو بهذه المقدمة مهّد لطلبه بقياس منطقي لا يكون بعده إلا الإجابة لطلبه.

^١ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ١٤٥.

المبحث الثانى :الموضوع :-

الموضوع هو الغرض الأساسى الذى من أجله يُقصد العمل الأدبى،وعليه تنشأ الرسالة أو تُلقى خطبه أو تُنظم قصيده.

فالأعمال الأدبية ما هى إلا صدى يتردد فى بيئة ما،حيث إن الكاتب أو الشاعر يصور ما يرى،ويصف ما يحس،لذلك لا يستطيع الأديب أن يستغنى عن الموضوع وإن أمكنه الإستغناء عن المقدمة والخاتمة.

لذلك نجد أن الرسائل العباسية قد إشتملت على العديد من الموضوعات ،فمنها الموضوعات التى تختص بدعم الخلافة العباسية،وذلك مثل كتاب أحمد بن يوسف لدعم الخلافة وتأييد الدولة العباسية،ومنها الموضوعات التى تتعلق بجانب العهد والبيعة،فمما كتبوا فى البيعات،كتاب أبى جعفر بالبيعة للمهدى من بعده،فقد نصّ فى موضوع البيعة بقوله:"فبايعوا باسم الله وعلى بركته وتوفيقه وتسديده،لمحمد بن أميرالمؤمنين بيعة رضوان من الله إن شاء الله،بصحّة من نياتكم،وسلامة من صدوركم،ووفاء واستقامة...الخ".إذن اشتمل موضوع البيعة هنا على تأكيد البيعة له.

أما كتب العهود فقد كانت تأتى أحياناً متضمنة فى موضوعاتها تعداد صفات المعهود له.وذكر بعض الأمور التى يجب أن يلتزمها المعهود له،وذلك مثل ما فعل الإمام الطائع فى عهده إلى الحسين بن موسى.فبالإضافة إلى موضوعات البيعة والعهود،فقد كتب العباسيون فى شتى المجالات،فنجدهم قد كتبوا فى تصريف أعمال الدولة،وقد درجوا فى بعض الموضوعات على الجمع بين الوعيد والإنذار،وذلك يتجلى فى رسالة لأحمد بن صبيح لعمّال الدولة إذ يقول:"إن الله حبيب إلى كل مسلم شعبة من دينه،فمنهم من حبب إليه الصلاة،فهو قانت آناء الليل...الخ"،نلاحظ هنا أنه قد إستخدم أسلوب الترغيب واللين فى هذا الإنذار.ومن موضوعات الرسائل العباسية،كتب الأمان التى تصدر عن الخلفاء فى شأن أحد من رعاتها،فقد تفنن العباسيون فيها كثيراً،وذلك مثل ما كتبه المنصور فى شأن ابن هبيرة بعد أن قدّم له بالبسملة قائلاً:

"إنى أمنتكم بأمان الله الذى لا إله إلا هو،الذى يعلم سرائر العباد،ويعلم ما تخفى الصدور،ووليه الأمر كله،أماناً صادقاً لا يشوبه غش ،ولا يخالطه باطل،على أنفسكم

ووزرائكم وأموالكم، وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة، ومن أمنتته في أعلى كتابي هذا، الوفاء بما جعلت لهم من عند الله وميثاقه... الخ".

ومنها الرسائل التي تخص موضوعاتها أمور الناس في كافة حياتهم الاجتماعية، وذلك مثل الرسائل التي كانت تحمل في طياتها معاني الشوق والاعتذار، والاستعطاف، والعتاب وغيرها من المعاني الإخوانية.

أيضاً من الموضوعات التي برع العباسيون في كتابتها وتفنونوا فيها الوصف، وذلك مثل ما كتبه بديع الزمان في صفة العلم في رسالة إلى القاضي أبي القاسم علي بن أحمد قائلاً: "...والعلم أطل الله بقاء القاضي - شئ كما نعرفه بعيد المرام، لا يُصاد بالسهام ولا يقسم بالأزلام، ولا يُرى في المنام ولا يضبط بالجام، ولا يورث عن الآباء والأعمام ولا يُكتب للثام، وزرع لا يزكو في كل أرض حتى يصادف من الحرص ثرى طيباً، ومن التوفيق مطراً صيباً، ومن الطبع جواً صافياً، ومن الجهد روحاً دائماً، ومن الصبر سقياً نافعاً... الخ." إلى آخر ما وصف به العلم من صفات.

وكذلك كتبوا في بعض الموضوعات الخاصة بالشعر كالمديح والهجاء والفخر، وذلك لأنهم نقلوا على النثر محاسن الشعر من إستعارة وتشبيه وخيال، والنثر إذا أخذ خصائص الشعر أصبح أقدم منه على الوصف لخلوه من قيد الوزن والقافية. ومن أمثلة ذلك الرسالة الشعرية التي كتبها الهمداني وتضم في موضوعاتها أبيات من الشعر، إذ يقول:

أنا لقرب الأستاذ أطل الله بقاءه

"كما طرب النشوان مالت به الخمر"

ومن الإرتياح للقاءه :

"كما إنتفض العصفور بلله القطر"

ومن الإمتزاج بولائه :

"كما إنتقت الصهباء والبارد العذب"

ومن الإبتهاج بمرآه:

"كما إهتز تحت البارح * الغصن الرطب"^٢

^١ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص. ١٢٩.

^٢ - النثر الفني في القرن الرابع الهجري. زكي مبارك. ج. ١. دار التأليف المصرية. ١٩٣٤. ص. ١٢٨ -

أيضاً من الموضوعات التي حوتها رسائل العباسيين وأكثرها فيها، المبالغة في الجمل الدعائية التي يختص بها من يكتب إليهم، وذلك مثل ما كتبه ابن العميد إلى عضد الدولة مهناً:

"أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة - دام عزه وتأييده، وبسطته وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزيده... الخ"^١.

وموضوعات الرسائل لا بد أن تكون واضحة متماسكة، وأفكارها مرتبة وكل قسم منها يحمل فكره بذاتها، لتكون تلك الأفكار مجتمعة الهدف الذي يهدف إليه كاتب الرسالة، والملاحظ على بعض رسائل العصر العباسي أنها مقسمة إلى أجزاء وكل قسم يحمل فكره، وخير شاهد على ذلك الرسالة اليتيمة لابن المقفع الذي تناول في كل قسم منها فكره لتجتمع رسالة ذات هدف واحد، وهي كما يقول:

"وقد أصبح الناس - إلا قليلاً ممن عصم الله - مدخولين منقوصين، فقائلهم باغ، وسامعهم عياب، وسائلهم متعنت، ومجيبهم متكلف، وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل، وموعوظهم غير سليم من الهزاء والإستخفاف، ومستشيرهم غير مأمون على الغش والحسد، مهتاكاً للستر، مشيعاً للفاحشة، مؤثراً للهوى، والأمين منهم غير متحفظ على من إئتمان الخونه، والصدق غير محترس من حديث الكذب، وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجره، يتغارضون الثناء، ويترقبون الدول، ويعيبون بالهزم، يكاد أحزمهم رأياً يلفته عن رأيه أدنى الرضا وأدنى السخط، ويكاد أمتهم عوداً أن تسحره الكلمة وتكره اللحظة، وقد أبتليت أن أكون قائلاً، وأبتليت أن تكونوا سامعين، ولا خير في القول إلا ما أنتفع به، ولا ينتفع إلا بالصدق، ولا صدق إلا مع الرأي، ولا رأى إلا في موضعه، وعند الحاجة إليه، فإن خير القائلين من لم يكن الباطل غايته، ثم لزم القصد والثواب، وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سُمعة ولا رياء، ولم يتخذ ما يسمع عوناً على دفع الهوى، ولا بُلغةً إلى حاجة دنيا، فإن إجتمع للقائل والسامع، أن يرزق القائل من الناس مقه وقبولاً على ما يقوله، ويرزق السامع إتعاضاً بما يسمع في أمر دنياه، وقد صلحت نياتهما في غير ذلك، فعسى ذلك أن يكون من الخير الذي يبلغه الله عباده، ويعجل لهم

١٣٠.

^١ - المرجع السابق. ص. ١٣٤.

٤- * البارح: الريح الحارة في الصيف.

من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من من حسنة الآخرة، كما أن المرید بكلامه أن يُعجب الناس، قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النية، وحمل الوزر، وقد وافقتم منى مسارعة منى فيما سألتمنى من غير معاودة فى أشباهه، ولكن إستطال الناس فى جسيم أمورهم وإنفاذ الطوالع^١ *، ولم يبرح يطلع منى فى ذلك إحتساب الخير فى ما بلغت القوة منى فى ذلك، طمعاً فى أن ينفع الله بذلك من يشاء، فإنه ما يشاء يقع.

أما سؤالكم عن الزمان، فإن الزمان الناس، والناس رجالان: ووال ومولى عليه، والأزم منه أربعة على إختلاف حالات الناس.

فخيار الأزمنة: ما إجتمع فيه صلاح الراعى والرعية، فكان الإمام مؤدياً إلى الرعية حقهم: فى الرد عنهم، والغیظ على عدوهم، والجهاد من وراء بيضتهم، والإختيار لحكامهم، وتولية صلحائهم، والتوسعة عليهم فى معاشهم، وإفاضة الأمن فيهم، والمتابعة فى الخلق لهم، والعدل فى القسمة بينهم، والتقويم لأودهم، والأخذ بحقوق الله عزّ وجلّ عليهم، وكانت الرعية مؤدية إلى الإمام حقه فى المودة والمناصحة والمخالطة، وترك المنازعة فى أمره، والصبر عند مكروه طاعته، والمعونة له على أنفسهم، والشدة على من أخلّ بحقه وخالف أمره، وغير مؤثرين فى ذلك آبائهم ولا أبنائهم، ولا لابسين* عليه أحد، فإذا إجتمع ذلك فى الإمام والرعية، تمّ صلاح الزمان، وبنعمة الله تتم الصالحات.

ثم إن الزمان الذى يليه: أن يصلح الإمام نفسه ويفسد الناس، ولا قوة بالإمام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم فى صلاح أنفسهم، على أن يبلغ ذات نفسه فى صلاحهم، وذلك أعظم ما تكون نعمة الله على الوالى، وحجّة الله على الرعية بواليهم، فبالحرى أن يؤخذوا بأعمالهم، وما أخلقهم أن تصيبهم فتنه أو عذاب أليم.

والزمان الثالث: صلاح الناس وفساد الوالى، وهذا دون الذى قبله، فإن لولاية الناس يداً فى الخير والشر، ومكاناً ليس لأحد، وقد عرفنا فيما يعتبر به: أن ألف رجل كلهم مفسد وأميرهم مصلح، أقل فساداً من ألف رجل كلهم مصلح وأميرهم مفسد، والوالى إلى أن يصلح الله به الرعية أقرب من الرعية إلى أن الله بهم الوالى، وذلك لأنهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه مع إستطالته بالسلطان، والحمية التى تملوه.

١- *الطوالع: جمع طالع وهو السهم الذى يجاوز الحد

٢- * لابسين: يقال لبست القوم، أى تلبست بهم دهرًا

وشر الزمان: ما إجتمع فيه فساد الوالى والرعية، وتلك كارهه* لم يتقادم عهد كونها، ولم تعف عنكم آثارها، وكل هذه الطباق من الشدة والرخاء فيما يبتلئ الله عز وجلّ عباده، بجزاء معد، وكلمة سابقة، قال الله عز وجلّ "ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإينا ترجعون". فقولى فى هذا الزمان: إنه ألا يكن خير الأزمان، فليس على واليكم ذنب، وألا يكن شر الأزمان فليس لكم حمد ذلك، غير إنا بحمد الله قد أصبحنا نرجو لأنفسنا الصلاح بصلاح إمامنا، ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا، وقد رأينا حظه من الله عز وجلّ فى التثبيت والعصمة، فلم ييروح الله يزيده خيراً، ويزيد به رعيته مذ ولاه، فعندنا من هذا وثائق من عبروبيئات، ونحتسب من الله عز وجلّ أن لا يزال إمامنا يسارع فى مرضاة ربه، بالإستصلاح لرعيته، والصبر على ما يستتكر منهم، وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم، حتى يقرب الله له بصلاحهم قلوبهم، ويفتح له أسماعهم وأبصارهم، فيجمع ألفتهم، ويقوم أودهم، ويلزمهم مرشد أمورهم، وتتم بنعمة الله على أمير المؤمنين، بأن يصلح له وعلى يديه، فيكونوا رعية خير راع، ويكون راعى خير رعية، إن شاء الله وبه الثقة.

والذى أصبحنا بحمد من أمير المؤمنين كثيراً، أنا ذاكر ما تيسر منه، وإلى هذا سيق الحديث، وهو قيامه على رعاية العهد وجد الجده، وفيه إستبطنى المستبطنون، ولهم المليمون*، فإن المستبطنون فى التقصير لأكثر من المستبطنون فى الإنكار، فإنما قلما نلقى من أهل العقل والمعانية منكرًا لنعمة الله بأمير المؤمنين على المسلمين إذا ذكر ذلك ووقف عليه، وقلما نلقى إلا مقصراً من ناطق أو صامت، ولم تصبحوا معاتيين على ما جهلتم من حق أمير المؤمنين وفضله فى سير الأمور حين أقبلت، فإن الأمر فى مستقبله مما يستبهم على ذوى العقول، وتشتد فيه حيرتهم، لما يشتهه عندهم ببعض ما يتذكرون مما مضى من أمور لم يكن لها تمام، وأخرى تمت فلم تُحمد، ولئن كان علم وصل إلى خاصة القوم فضله بذلك، فإذا آلت الأمور إلى مراتبها، وحصل محصولها، وصرحت عن محضها لم يكن فى جهالتها عذر، ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية، نعوذ بالله أن نكون من الذين لا يعقلون.

١*كارهه: وقد قيل كازمه أى كاسره مجتاحه من كزمه بدمه كضرب: أى كسره وإستخرج ما

فيه ليأكله

٢- سورة الأنبياء. آية رقم ٣٥.

* المليمون: أى ما يلام عليه.

فتفهموا ما أنا ذاكركم لكم، وتدبروه بالحق والعدل، فإن المرء ناظرٌ بأحدى عيون ثلاث، هما الغاشتان والصادقة - وهى التى لا تكاد توجد : عين مودة تريه القبيح حسناً، وعين شئان* تريه الحسن قبيحاً، وعين عدل تريه حسناً، وقبيحها قبيحاً.

فتفكروا فيما جمع الله لأمر المؤمنين فى معدنه وفى سيرته، وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل أن يبتغى فيه المغمز والمقال، فلعمري إن للشيطان من أهواء الناس والسنتهم فى الأمر لنصيباً، وإن له لمستراحاً بينهم، يستوفيهم أمنيته، ويصدق عليهم ظنه، ويوحى إليهم بمكايده، فجعل الله كيده ضعيفاً، وحزبه مغلوباً، وجعله وإياهم نصيباً لجهنم من أجزاءه المقسومة لأبوابها وحطبها ووقودها وحبصها* ليعدل لها.

فمن كان سائلاً عن حق أمير المؤمنين فى معدنه فإن أعظم حقوق الناس منزلة، وأكرمها نسبة، وأولاها بالفضل، حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، وإمام الهدى، ووارث الكتاب والنبوة، والمهيمن* عليهما، وخاتم النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، بعثه الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ثم هو باعته يوم القيامة مقاماً محموداً، شرع الله به دينه، وأتم به نوره على عهده، ومحق رؤوس الضلالة، وجبايرة الكفر، وخولّه الشفاعة، وجعله فى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم^١.

فى هذه الرسالة تحدث إبن المقفع عن موضوعات شتى والتى من أهمها:

١. أنواع الناس ومعادنهم

٢. صفات القول والإستماع

٣. أنواع الأزمنة وقد قسمها إلى ثلاثة

٤. صفات الراعى والرعيّة

ليصل بذلك إلى صلاح البشرية فى هذا الزمان مستكماً صلاحها بصلاح خير البشر رسول الأمة جمعاء، ليتم له الغرض من وراء ذلك ألا وهو طاعة السلطان.

^١ * شئان: البغض والكرهية

٢- * الحصب: الحطب وما يُرمى فى النار

٣- * المهيمن: الأمين أو المؤمن

٤- جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص. ٤٨-٥٣.

أيضاً ضمت هذه الرسالة أحكاماً سياسية جريئة على الحاكم والرعية، فهو يبدؤها بالحديث عن الناس وأخلاقهم إذ يقول: "قد أصبح الناس -إلا قليلاً ممن عصم الله... الخ" فقد عبّر الكاتب عن كنه النفس البشرية، وأخلاقها وتناول سماحة ورحابة فلسفة القائل والمستمع، ويرى أن كلاً من القول والإستماع بلاء يُبتلى به الناس. ثم ينتقل في خفة وبراعة وعمق إلى الحديث عن الراعي والرعية في إطار الزمان، فيقول موجهاً القول إلى الناس: "أمّا سؤالكم عن الزمان... الخ". وإضافةً إلى ذلك فقد حصن الكاتب نفسه بإطراء وجهه إلى الخليفة خشية المؤاخذه قائلاً: "فتفهموا ما أنا ذاكراً لكم... الخ".^١

ومن الموضوعات التي كتب فيها العباسيون وأكثرها منها التحميدات، فإنه لا تكاد تخلو رسالة من تحميد، أو أن يكون تحميداً قائماً بذاته، وذلك مثل تحميد إبراهيم بن القباس في خبر فتح: "أمّا بعد فالحمد لله الذي حمد نفسه، وفرض حمده على خلقه، وأعزّ دينه، وأكرم بطاعته أوليائه، وجعل جنده منهم المنصورين، وحزبهم منهم الغالبين، نهج* بهم سبيله، وأقام بهم حجته، وجاهد بهم أعداءه، وأظهر بهم حقه، ووقع بهم الباطل وأهله، وأعلى كلمتهم، وأيد نصرهم، وألف بهم ولهم، ومكّن لهم في الأرض، فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين. والحمد لله المعز لدينه، المظهر لحقه، الناصر لخلفائه، اللمّن لحزبه، المنتقم بهم ممن صدف عنه، مؤيداً دينه بالنصر، ليظهره على الأديان، وحفه بالعز، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجنوده بالفلج* فهم الأعلون إن إستتصر بهم، والأعزون إن كاد بهم، والأقربون منه إخلاصاً وعملاً، حمداً يوازي نعمه، ويمتري بمثله فواضله ومزيده.^٢

والغالب على تحميدات العباسيين التي تُفتتح بها رسائلهم أن تكون مسجوعة، كما هو الحال في التحميد السابق. فقد أصبحت تلك التحميدات لدى الكتاب العباسيين فناً يتأبرون فيه، ويطيّلون إطالة لم تكن مألوفة في مستهل الكتابة الإسلامية.

^١ - الأدب في موكب الحضارة الإسلامية. مصطفى الشكعة. مرجع سابق. ص ٣٦٥-٣٦٧

^٢ * نهج: أوضح

^٣ * الفلج:

^٤ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج ٤. مرجع سابق. ص ١٥٦.

^٥ - في النثر العربي. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٤.

المبحث الثالث : الخاتمة :-

هى آخر ما يعيه السمع، ويرتسم فى النفس، فإن كان مختاراً جبراً عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإذا كان غير مختاراً كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن ما قبله^١. لذا لا بدّ أن تكون الخاتمة قوية مؤثرة، حاملة فى طياتها تلخيص ما إشتمل عليه مضمون الرسالة، وأن تكون مميزة عن سائر الكلام وأن تتباعد عن الإسهاب والتعقيد. فأحياناً تشتمل الخاتمة على الدعاء لأمير المؤمنين وطلب العفو منه، وذلك مثل ما فعل أحمد بن يوسف فى رسالته التى كتب بها للمأمون، ذاكراً فيها غيرته على الإسلام، وفضله على الرعيّة، خاتماً لها بالدعاء له بقوله: "ونحن نسأل الله عزّ وجلّ، الذى جمع بأمر المؤمنين -مدّ الله عمره- إفتنا... الخ"^٢.

وأيضاً نلتمس صورة الدعاء للخليفة فى رسالة أسماعيل بن صبيح التى وردت سابقاً، فقد ختمها بالدعاء لأمير المؤمنين بقوله: "حفظ الله أمير المؤمنين حفظاً يكون له حصناً من عذابه، وحزراً من غضبه، وحاجزاً من معصيته، ونوراً يستضيء به يوم لقائه فى خلقه، ويهتدى به إلى جنته".

ويتجلى طلب العفو فى الرسالة التى بعثت بها السيدة زبيده إلى المأمون، طالبة منه العفو على ابنها فقد ختمتها بقولها: "فإن رأيت أن ترحم ضعفى وإستكانتى، وقلة حيلتى، وأن تصل رحمى، وتحتسب، فيما جعلك الله طالباً، وفيه راعياً، فافعل".

ثم تعددت خواتيم الرسائل وتتوعت، فكل منها ينتهى بحسب موضوعه، وفى المنشورات ختموا بقولهم: "حسبنا الله ونعم الوكيل" أو "والسلام" وذلك مثل ما فعل أحمد بن يوسف فى رسالته، إذ ختمها بقوله: "والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

أمّا فى العهود فقد درجوا على ختامها بقوله تعالى: "وكفى بالله شهيداً". هذا الختام يُعد إقتباساً من آيه وذلك مثل ما فعل فى البيعة التى أخذت للمتوكل من بعد المتوكل فقد خُتمت بقوله: "والله عليكم بذلك شهيد، وكفى بالله شهيداً".

^١ - الإيضاح فى علوم البلاغة. الخطيب القزوينى. شرحه محمد عبد المنعم خفاجى. ج. ٦. ص. ١٥٥.

^٢ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص. ٢٥١.

ثم كتبوا: "إن شاء الله تعالى" بعد الأمور المستقبلية، فيقولون: "فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت موفقاً إن شاء الله" أو "فأراك في ذلك موفقاً إن شاء الله تعالى".^١

و غالباً ما تكون مثل هذه الخواتيم في العهود، وذلك في مثل العهد الذي كتب به عبدالله بن هارون لعلى بن موسى من بعده، فقد ختمه بقوله: "فإنه الأمر وإن سار عتم إليه، وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إنشاء الله تعالى".

وكذلك فعل بعهد الإمام الطائع للحسين بن موسى.

ومن الخواتيم التي تُعد أيضاً إقتباساً من آية، ما ختم به الكاتب أحمد بن إسرائيل رسالته التي كتب بها إنذاراً لعمال الدولة بقوله: "وقد أعذر من أنذر، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)".

وفى الرسالة التي بعث بها الخليفة أبى جعفر المنصور إلى محمد بن عبدالله ختمها بقوله: "والسلام".

أمّا كتب الأمان، فلا يلتزمون فى خواتيمها عبارة واحدة، فأحياناً تُختتم بقوله: "وكفى بالله شهيداً". وذلك فى مثل الأمان الذى كتب به المنصور لإبن هبيرة. ويُختم أيضاً بقولهم: "والسلام"، كما ورد فى الأمان الذى كتب به المنصور إلى النفس الزكية.

وأحياناً تكون الخاتمة بالدعاء والإستغفار لنفس الكاتب أو المكتوب إليه، وذلك فى مثل العهد الذى كتب به عبدالله المهدي إلى أحد ولاته، خاتماً رسالته بقوله: "والله أسأل أن يصلى على محمد عبده ورسوله، وأن يوفقك ويحسن كفايتك". وأيضاً نلمس الدعاء فى الرسالة التى كتب بها جبل بن يزيد إلى الخليفة معزياً له فى إبنه، وقد ختمها بقوله: "وأن يحسن أجر أمير المؤمنين فى مصيبتة ويحسن فيها ثوابه، ويجزل فيها عوضه، ويكرم بها فى المعاد ذكره... الخ".

وكما يكون الختام إقتباساً من آية، فإنه أحياناً يكون إقتباساً من الشعر بيت أو بيتين، وذلك فى مثل الرسالة التى بعث بها أحمد بن يوسف للمأمون يستجديه فيها، فقد ختمها بقول الشاعر: -

فأنك لن ترى طرداً لحر

كالصاق به طرف الهوان

^١ - الحياة الأدبية فى العصر العباسى. محمد عبدالمنعم خفاجى. مرجع سابق. ص ٨٥.

ولم تجلب مودة ذى وفاء

بمثل الود أو بذل اللسان

وأيضاً نلمس ذلك فى رسالة الشوق التى بعث بها القاضى الفاضل إلى بعض إخوانه ،فقد ختمها بأبيات من الشعر .

بعد أن تمت الدراسة التفصيلية لشكل الرسائل ،وأستعرضنا أجزاءها ومثلنا لكل منها فى بعض الرسائل ،فقد وجدنا أن معظم الرسائل كانت تفتتح عادة بالبسملة،والحمدله-أى التحميد-والصلاة على النبى(ص)والسلام ،ولفظة"أمّا بعد" والأدعية التى تتوسط صدور الرسائل أو تبدأ بها،ويُراعى فيها منزلة المكتوب إليه .

وأيضاً كانت تفتتح الرسائل بلفظ"من فلان لفلان"أو "فلان من فلان"أو "أمّا بعد"أو"كتبت"أو"أنا"أو"كتابى"،أو"أنهى إلينا كذا".

أمّا فى الرسائل الإخوانية وجدنا أن إبتدائها تختلف وتتنوع وذلك لإختلاف مذاهب الكتاب فيها.ثم يتبع ذلك التمهيد للموضوع ،ثمّ الموضوع نفسه،وتنتهى الرسائل عادة بآية قرآنية أو بلفظ"لا حول ولا قوة إلا بالله" أو"إن شاء الله"أو"السلام"،وقد درج أكثر الكتاب فى الأغلب بالإكتفاء بهذه العبارة،وهى إختصار لكلمة "والسلام عليكم ورحمة الله " ^١.

وقد تنتهى أحياناً رسائلهم بعبارة"وكفى بالله شهيداً"أو"حسبى الله ونعم الوكيل"،أو بببيت من الشعر ومن تمام البلاغة فى الرسائل أن ينسق الكاتب بين المطالع والخواتيم وما يعرض بينهما من موضوعات ^٢.

^١-النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى.محمد زكى عبدالسلام.مرجع سابق.ص١٣٥.

^٢ - المرجع السابق.ص١٦٥.

الفصل الثاني:

الدراسة الفنيّة

المبحث الأول : الألفاظ والمعاني

المبحث الثاني:الإقتباس

المبحث الثالث : السجع والتوازن

المبحث الرابع : التخييل والتصوير

المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب

المبحث السادس :الإستشهاد بالقصة

المبحث السابع :الإستشهاد بالشعر

مقدمة:-

الأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها الأديب عن نفسه في تناوله لموضوع ما. وهو النمط الذي يختاره الأديب في استخدام اللغة وبناء العبارة. والأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً أو مجازاً أو كناية، فإذا صحّ هذا الإستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير. ويختلف الأسلوب باختلاف طريقة الأديب وتعبيره تبعاً لموهبته وثقافته، ويمتاز الأسلوب بصورة عامّة بأنه يمتزج فيه الفكر مع العاطفة للإقناع والتأثير.^١ وللتعرف على أساليب الرسائل في العصر العباسي، فقد تمت دراستها من خلال عدة مباحث حتى تتضح تلك الأساليب.

^١ - الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لإصول الأساليب البلاغية. أحمد الشائب. مكتبة النهضة المصرية. ص ٤١.

المبحث الأول: الألفاظ والمعاني:-

من عناصر البلاغة اللفظ والمعنى، والتأليف بينهما يمنح الكلام قوة وتأثيراً. فاللغة عبارة عن معانٍ في قوالب من الألفاظ، فقد يرمى الكاتب إلى تصوير أفكاره أو التعبير عما يجول بنفسه من المعاني، وقد يرمى إلى إظهار وجدانه إزاء ما يفكر فيه، وقد يقصد إلى إظهار موقفه من السامع أو القارئ، وقد تضعف ناحية من هذه النواحي أو يخفق الكاتب فيها، فالألفاظ هي الأداء لكل هذا، فهي الثياب التي تتجلى فيها المعاني، أو هي الرموز لكل ذلك. ويرى الجاحظ أن اللفظ متى ما كان كريماً في نفسه متخيراً في جنسه، سليماً من الفضول، بريئاً من التعقيد، حُبب إلى النفوس وأتصل بالأذهان، وألتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وأرتاحت إليه القلوب، وخفّ على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره.^٢

ومن مميزات الأسلوب الرسالي، إختيار الألفاظ التي تؤدي إلى المعنى المراد دون لبس أو غموض، ولا بد من العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعاني، حتى تتحقق الغاية المنشودة من الرسالة.

ومتى ما كان المعنى واضحاً لا غموض فيه صحّ أن يكون اللفظ كذلك، وذلك لأن الألفاظ هي بمثابة الجسد في الروح لها تأثيرها الخاص بها. ولا بد أن يكون اللفظ على قدر المعنى، بمعنى ألا يكون هناك قصور عن الدلالة على المعنى، ولا يكون هناك حشو أو زيادة تخل به. ويقول الجاحظ في هذا الشأن: "لم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فأنهم قد ألتمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً"^٣. ويرى كذلك أن الكتاب لا يقعون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة....، والتي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني.^٤

إذن لا بد أن يكون هناك توافق بين الألفاظ والمعاني، حتى لا يكون اللفظ كالثوب المستعار، يتعثّر فيه المعنى وتبدو عليه مظاهر يمجّها الذوق، وفقدان التوازن ينشأ عنه

١ - الأصول الفنية للأدب. عبدالحميد حسين. مرجع سابق. ص ٥٩.

٢ - البيان والتبيين. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ج ٢. ص ٧-٨.

٣ - البيان والتبيين. ج ١. مرجع سابق. ص ١٣٧.

٤ - البيان والتبيين. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ج ٤. ص ٢٤.

الإسراف فى سرد ألفاظ تعد من غلو القول، فىصبح المعنى حائراً، وقد تضيع معالمه وسط الزحام اللفظى.^١

وتتسم الرسائل فى العصر العباسى بجزالة اللفظ وقوة المعنى، إلا أنها تتميز فى ما بينها تبعاً لإختلاف المواضيع. ومن هنا يأتى دور الكاتب فى إختيار الألفاظ والمعانى التى تتناسب وموضوعه الذى يريد، ويرى الخطابى فى المعانى التى تحملها الألفاظ: "أن الأمر فى معاناتها أشد لأنها نتائج العقول، وولائد الأفهام، وبنات الأفكار"، ويريد بالمعنى هنا المعنى العام فى العبارة أو الفكرة، أما الألفاظ فىصفها بأنها كمود البناء ومتى ما كان البناء أو الناظم أتمّ حذقاً، كان أوفر أداءً للمعنى المراد.^٢ ولا بد للكاتب أن يتخذ لغة خاصة يجانس فيها اللفظ والمعنى، فىكون رقيقاً فى مواضع الرقة، وذلك فى مثل مواقف الأشواق والمودات والإستعطاف. وعنيفاً جزلاً فى المواقف التى تقتضى الجزالة كمواقف الحروب وما شابهها.^٣

وإذا لزم الأسلوب الشدة أو العنف لا بدّ أن تتحد خاصية الألفاظ والمعانى مع خاصية العنف والتهديد. وفى ذلك يرى بعض الباحثين، أنه ليس أمام الأديب من وسائل التعبير سوى الألفاظ التى يحملها الشاعر أو الناثر، وما يريد أن يحملها إياه من الأفكار أو العواطف، والمقياس الذى يقيس به الأدب كافة شعراً كان أو نثراً هو قوة التعبير، وكما فاضت العبارة بمعانيها ومشاعرها وعواطفها التى قصد الأديب أن يسوقها، كان أدنى إلى الأدب الصحيح. ولا بدّ أن تحمل الألفاظ إلى جانب معانيها محصولاً من العواطف الإنسانية والصور الذهنية.^٤

فالناظر لموضوعات الرسائل التى تتصل بتأييد الدعوة العباسية أو بيعة أو تولية عهد، يجد أنها تتسم بالصرامة فى بعض من جوانبها من حيث الفاظها وتراكيبها ليناسب ذلك موضوعها، ومما جاء فى ذلك فى كتاب البيعة التى أخذت للمنتصر، فقد جاء فيها: "تبايعون عبدالله المنتصر بالله أمير المؤمنين، ببيعة طوع وإعتقاد، ورضا ورغبة، بأخلاص من سرائركم، وإنشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما فى هذه البيعة وتأكيدها، من طاعة الله وتقواه وإعزاز دين الله وحقه... الخ". ففوة

^١ - الأصول الفنية للأدب. عبدالحميد حسين. مرجع سابق. ص ٢١٠.

^٢ - تاريخ النقد العربى. ص ٢٢١.

^٣ - المرجع السابق. ص ٢٦٨.

^٤ - قدامة بن جعفر والنقد الأدبى. بدوى طبانة. ص ١٩١.

هذه الألفاظ تؤكد على إلزام من في ذمتهم بالمبايعة. أما قوة المعانى وضبط الصياغة فتبدو واضحة فى كتاب المتوكل بالبيعة لبنيه.

وتظهر قوة الألفاظ أيضاً فى كتاب العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلّى بن موسى، وذلك فى مثل قوله: "وأيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله، فيما بين الله وبينه، لمعرض لأمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة". فالقسم هنا زاد العبارة قوة فى ألفاظها ومعانيها. ونلمس قوة الألفاظ مع معانيها أيضاً فى العهد الذى كتب به الإمام الطائع إلى الحسين بن موسى، وذلك حينما كان يُسدى له النصح فى قوله: "أمره بتقوى الله التى هى عماد الدين، وشعار المؤمنين، وأن يعتقدها فى سره ونجواه، ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه، ويتجنب الموانع المونية، ويتوقى الموارد المريبة، ويغض طرفه عن المطامع المغوية". وفى تجانس الألفاظ مع المعانى يكون النصح هنا أكثر علوقاً بالقلب.

ولمّا كان المقام مقام نهى، فإنه أستعمل لذلك ألفاظاً تليق به وذلك فى قوله: "وأزجر عن نواهيه وزواجره".

ونلمس أسلوب اللين فى استخدام الألفاظ والمعانى فى العهد الذى كتب به المهدي إلى من أراد أن يوليه على أرمينية، فإنه أستخدم فى هذا العهد ألفاظاً تحمل معانى النصح فى هذه الولاية وذلك فى مثل قوله: "أمره أن يتعاهد نفسه فى دينه وطاعته ونصيحته وحاله... وألا يأتّمراً أمراً حتى يستخير الله فيه، ويستعينه عليه".

إذن نستطيع القول بأن الرسائل التى تختص بالعهود والبيعات تمتاز بقوة الألفاظ والمعانى، هذا إلى جانب استخدام أسلوب اللين وخاصة عند أسداء نصح أو أرشاد.

وبما أن ألفاظ الرسائل وعباراتها تختلف حسب المقام، فإن الرسائل التى تختص بتصريف أعمال الدولة وإدارة بعض شئونها جاءت عباراتها تحمل الوعيد والتهديد، نلمس ذلك فى الرسالة التى بعث بها أسماعيل بن صبيح لعمال الدولة إذ يقول: "قويلٌ لك ولكتّابك مما كتبت أيدىكم، وويلٌ لكم مما تكسبون".

أيضاً تظهر قوة العبارات، وفخامة التعبير فى الرسالة التى أعطى فيها المعتز لعماله الحق فى إخضاع المتمردين والتكيل بالأعداء إذ يقول: "ولئن شُنت الغارات، وشبّ ضرام

الحرب، ودارت رحاها على قطبها، وحسنت الصوارم أوصال حماتها... وكلمت الحرب عن أنيابها".

ونلمس رقة المعانى مع جمال الألفاظ وذلك فى رسائل الوصف، إذ تبدو واضحة فى الرسالة التى كتب بها عبد الله بن المعتز يصف القلم إذ يقول: "القلم مجهّز لجيوش الكلام... يخدم الإرادة... يسكن واقفاً وينطق سائراً".

وجاءت الألفاظ قوية تحمل فى طياتها معانى الوعيد والتذكير بالجزاء لكل من يخالف ويخرج عن الجماعة، وذلك فى الرسالة التى بعث بها أبى جعفر المنصور إلى النفس الزكية، إذ بدأها بقوله تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً... الخ".

أمّا الرسائل التى تخص المناسبات الإجتماعية المختلفة، فإن ألفاظها وعباراتها تأتى حسب الغرض، وكذلك فى التهنئات والتعازى والرثاء وغيرها من المناسبات.

ففى رسالة التهنة التى بعث بها ابن العميد إلى عضد الدولة مهناً له بقدم ولدين، ولما كان المقام مقام تهنة فإنه بدأها بالدعاء لأمير المؤمنين، وذلك بأستخدام ألفاظ تليق وعظمة المناسبة وذلك فى قوله: "دام الله عزّه وتأييده، وعلوه وتمهيده، وبسطته وتوطيده... الخ".

ونلمس روعة التعبير وفخامة الألفاظ التى تجمع بين معانى العزاء والتهنة وذلك فى الرسالة التى بعث بها إبراهيم بن العباس إلى الواثق، وذلك حينما توفى المعتصم إذ يقول: "وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله فى ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفا على أوله آخره، وتلاقت بدأته عاقبته، فحق الله فى الأولى الصبر، وفرضه فى الثانية الشكر".

أما فى رسائل العتاب فأحياناً يلجأ الكاتب إلى أستخدام لهجة قوية ليفت إنتباه من يخاطبه. ويظهر ذلك فى رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا وذلك فى مثل قوله: "فلا عجب ان تنتبه إنتباهة تبصر بها قبح ما صنعت". فقوة العبارة وفخامة اللفظ فى قوله: "قبح ما صنعت" تحمل معناً كبيراً للعتاب.

كذلك يظهر قوة الأسلوب وشدته فى تلك الرسالة التى بعث بها أحمد بن يوسف ذاماً بذلك صديقه، ولأن المقام يقتضى ذلك كان لا بد له من أستخدام الفاظاً قوية وذلك فى قوله: "المعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور... الخ".

أما فى الرسائل التى تحمل معنى الإستعطاف والتذلل فقد درج فيها كتابها إلى أستخدام الألفاظ التى تحمل ذلك المعنى وتكون مدعاة لإمالة القلوب، نلحظ ذلك جلياً فى رسالة إبراهيم

بن سيابة إلى يحيى البرمكى، إذ يبدأها بالمدح وذلك فى قوله: "الأصيد الجواد، الوارى الزناد، الماجد الأجداد... الخ". وكذلك فى الرسالة التى بعثت بها السيدة زبيدة إلى المأمون إذ تقول: "كل ذنب وإن عظم صغير فى جنب عفوك - وكل ذلل وإن جل حقير عند صفحك". وفى رسائل التهادى نجد أن الكتاب قد تقننوا فى إختيار الفاظهم ومعانيهم، وذلك مثل ما فعلت الجارية التى أهدت التفاح إلى المأمون، فقد أحست بصغر حجم الهدية بيد أنها تخيرت لألفاظها أروع المعانى حتى تعظم الهدية فى نظر من أعطيت إليه. أما فى التوقيعات فقد كانت تأتى فيها الألفاظ بقدر المعنى الذى يريد الكاتب أن يوقع فيه. ومُجمل القول فى اللفظ والمعنى نستطيع أن نقول أن لكل أديب طريقته الخاصة فى إختيار الألفاظ وتاليف الكلام، ثم إن عليه بذل حده وذكائه فى إيجاد الصلة التى بين الألفاظ والمعانى التى يستخدمها ويثصد إليها، ومن هنا يبدو أن اللفظ ليس بمعزل عن المعنى، ولا المعنى بمعزل عن اللفظ فى تشكيل صورة ما، إذ أن كلا منهما مكمل للآخر.

المبحث الثانى : الإقتباس :-

هو تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، وذلك بأن يضمّن الكاتب قوله آية أو معناها، أو حديثاً أو معناه.

والإقتباس يكون فى النثر كما يكون فى الشعر، ويجوز فيه للنثر أو الشاعر أن يغير تغييراً يسيراً فى الأثر المقتبس منه. وللإقتباس شرط لا بدّ من تحققه بأن لا يشير النثر أو الشاعر إلى المصدر الذى أقتبس منه قرآناً كان أو حديثاً، كأن يقول: قال تعالى، أو قال صلى الله عليه وسلم، فهذا لا يُعدّ إقتباساً، إذ أن الأساس فيه إحداث عنصر المفاجأة للقارئ أو المستمع، حيث يجمع الأديب ما بين المتشابهات.

والإقتباس فيه من فنون علم البديع الذى يعمل على تزيين الألفاظ أو المعانى، ومن ما لا شك فيه أن ألفاظ القرآن الكريم أو الحديث تُضفى على الكلام شيئاً من البهاء والروعة، مع زيادة من الحسن والجمال.

وللقرآن أثر بالغ فى تقويم اللسان وتهذيب البيان، لذلك كان العرب قديماً وعلى مرّ العصور يتمثلون به ويقتبسون منه.¹

والمتتبع لرسائل العرب يجد أنهم كانوا يزينون رسائلهم بشئ من القرآن ومعانيه، وذلك لجمال أسلوبه وقوة حجته، تيقناً منهم على تأثيره على سامعيهم، وعند ذلك يكون للكلام وقعه الطيب على المتلقى فيقبله بذلك قبولاً حسناً.

وبالرجوع إلى العصور التى سبقت العصر العباسى وبخاصة عصر صدر الإسلام نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضمّن رسائله شيئاً من الإقتباس، ثمّ جاء الخلفاء الراشدين من بعده وساروا على نهجه.

أما فى العصر العباسى، وبالوقوف على الرسائل التى تعرضنا لها نجد ميل الكتاب إلى الإقتباس وتزيين رسائلهم ببعض الآيات سواء أكانت صريحة أو بالأخذ من معناها.

فى رسالة الخميس التى كتب بها أحمد بن يوسف لتأييد الدعوة العباسية نجد أنه قد أكثر فيها من الأخذ من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله: "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم... الخ" وقوله: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" وأخذه من قوله تعالى "إنما يريد

¹ - دلائل الإعجاز. عبدالقاهر الجرجانى. ص ٥٨٥.

الله ليذهب عنكم الرجس... الخ" وأخذه من قوله: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله" وأخذه من قوله: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" وأخذه أيضاً من قوله: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر".

أما فى البيعة التى أخذ بها المتوكل لبنيه فنجد أنه قد ضمّنها إقتباساً صريحاً من قوله تعالى: "فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم" أما فى العهد الذى كتب به هارون الرشيد لعلى بن موسى فقد ضمّنه كثيراً من الآيات وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى: "لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه... الخ" وأخذه من قوله تعالى: "ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة... الخ" وأخذه من قوله: "يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق... الخ" وقوله: "فوربك لنسنّئنهم أجمعين... الخ".

ويتضح الإقتباس أيضاً والأخذ صراحةً من القرآن الكريم فى العهد الذى كتب به الأمام الطائع للحسن بن موسى وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى: "وأندر عشيرتك الأقربين." وأخذه من قوله: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"

أما العهد الذى كتب به المهدي إلى أحد ولاته فقد لجأ فيه أيضاً إلى الإقتباس من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله: "فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً." وكذلك فى العهد الذى كتب به القاضى الفاضل عن العاضد فنجد أنه قد زينه بكثير من الإقتباسات والأخذ من القرآن الكريم وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها... الخ". وأخذه من قوله تعالى: "ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم... الخ" وأخذه من قوله تعالى: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه... الخ"، وأخذه من قوله: "وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"، وأخذه من قوله: "والآخرة خيرٌ لمن أتقى ولا تُظلمون فتيلًا".

وفى الرسالة التى بعث بها الخليفة المنصور لعمّال الدولة نجد أنه قد ضمّنها نصاً صريحاً من القرآن، وذلك عند أخذه من قوله تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً... الخ".

أما فى الرسائل الإجتماعية فإننا نلاحظ فيها قلة استخدامهم للإقتباس، بيد أنها لا تخلو منه، ونلمس ذلك فى رسالة التهادى التى بعثت بها إحدى الجوارى للمأمون، فنجد أنها قد

ضمّنتها نصاً من القرآن وذلك أخذاً من قوله تعالى: "ليس على الضعفاء حرج ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج".

والإقتباس كذلك نجده قد شاع وانتشر في توقيعات بنى العباس، فإنه لا يخلو توقيع منها سواء أكان صريحاً أو الأخذ من معنى آية، وذلك في مثل توقيع المنصور رداً على عمّه عبدالله بن علي بقوله: "أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم، وما يُلقاها إلا الذين صبروا وما يُلقاها إلا ذو حظٍ عظيم".

أيضاً نجدهم قد صمّنوا رسائلهم شيئاً من الأحاديث كما ضمّنها شيئاً من القرآن الكريم، وذلك يتضح في العهد الذي كتب به هارون الرشيد لعلّي بن موسى متمثلاً في أخذه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: "لو ضاعت سخلة بجانب الفرات، لتخوفت أن يسألني الله عنها".

هذا في ما يخص تضمين رسائلهم الفاظاً من القرآن الكريم صراحةً، أمّا تضمينها معناً من معاني القرآن فنلمسه في كتاب البيعة للمنتصر وذلك في قوله: "وعليكم عهد الله إن عهده كان مسئولاً"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً". وأيضاً نلمسه في كتاب البيعة التي بايع بها المتوكل بنيه إذ يقول: "والتمسك بعهد الله فيه وكان عهد الله مسئولاً"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً".

ويتجلى الإقتباس في كتاب العهد الذي كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلّي بن موسى إذ يقول: "ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة... الخ"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".، وأيضاً في قوله: "طلباً للسلامة والثبات والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "يوم يقوم الناس لرب العالمين".

ويتضح الإقتباس أيضاً في العهد الذي كتب به المهدي إلى أحد ولاته إذ يقول: "فإن الله لا يضيع لمحسن أجراً"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "والله لا يضيع أجر المحسنين". وقوله: "وأستعن بالله فيما غلبك يعنك الله"، أخذاً من قوله تعالى: "وإذا أستعت فاستعن بالله".

وأيضاً نلمس الإقتباس الذي يحمل معناً ضمناً فيما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد إذ يقول: "حتى تستوفى حظه من أمير المؤمنين بأجر لا يضيع الله به عمله"، ذلك أخذاً من قوله

تعالى: "إن الله لا يضيع أجر عامل... الخ". وقوله: "وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات"، أخذاً من قوله تعالى: "إذ تلقى آدم من ربه كلمات".

فالناظر لرسائل العصر العباسي يجد أن الإقتباس من معاني القرآن الكريم شائعاً في بعض الرسائل، يتجلى ذلك في رسائل العهد والولاية للخلافة، وذلك في مثل قوله: "وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ". وقوله: "أودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها". أخذاً من قوله تعالى: "الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع".

وأيضاً نلمسه في مثل قوله: "لولا أن عصمة الموالاة تثبت فؤاده الخافق"، أخذاً من قوله تعالى: "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك". وقوله: "وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير" أخذاً من قوله تعالى: "ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير"، وقوله: "بأن مملوك الخدمة وابن مملوكها أخذ الكتاب بقوة"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً". وقوله: "تلقاه تلقى أبيه الأول الكلمات"، أخذاً من قوله: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال أنى جاعلك للناس أماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"، وقوله: "وسمع المشافهة خاشعاً متصدعاً" والله سبحانه وتعالى يقول: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله".

وكذلك شاع الإقتباس من معاني القرآن وكثُر في الرسالة التي كتب بها اسماعيل بن صبيح لعمال الدولة، نلمس ذلك في مثل قوله: "فهو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الأخرة" أخذاً من قوله تعالى: "مَنْ هو قانت آناء الليل... الخ". وقوله: "فهو ينفق ماله بالليل والنهار... الخ" والله عزّ وجل يقول: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم... الخ". وقوله: "إبتغاء مرضاة الله... الخ" أخذاً من قوله تعالى: "ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله... الخ". وقوله: "ورعاية ما أئتمنوا عليه من دينهم" أخذاً من قوله تعالى: "والذين هم لأملناتهم وعهدهم راعون". وقوله: "أن يصلوا مع الله وملائكته على رسوله". والله تعالى يقول: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً". وقوله: "وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه"، أخذاً من قوله تعالى: "أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"

وقوله: "وهم يعرضونك على الله فى أدبار السجود" أخذاً من قوله تعالى: "ومن الليل فسبحه وإدبار السجود". وقوله: "إن يصبك بعذاب من عنده أو بأيديهم"، أخذاً من قولع تعالى: "ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا". وقوله: "فويل لك ولكتابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون". وقوله: "لا يستخفه الذين لا يوقنون"، أخذاً من قوله تعالى: "ولا يستخفك الذين لا يوقنون".

أيضاً نلمس الإقتباس من معانى القرآن الكريم فى رسالة عمرو بن مسعده لصديق له إذ يقول: "ثم عرض لجزيل الأجر من أستسلم لواقع قضائه، وعوض جليل الذخر من صبر على نازلة بلائه"، وذلك أخذاً من قوله تعالى: "وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون".

ويبدو الإقتباس من معانى القرآن شائعاً فى الرسائل العباسية فهذا هو كتاب الأمان الذى كتب به أبى جعفر المنصور، نلمس فيه أيضاً أخذه من معانى القرآن الكريم حيث يقول: "وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين أن يحمانها وأشفقن منها" والله سبحانه وتعالى يقول: "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال... الخ".

ولم تخلوا توقيعاتهم من الأخذ من معنى القرآن الكريم وذلك فى مثل ما وقعّه المأمون إلى ابن رافع بقوله: "يا أبا رافع إنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا" وذلك أخذاً من قوله تعالى: "إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك، ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا".

أيضاً شاع الإقتباس فى المكتابات الإجتماعية، وذلك فى مثل الرسالة التى بعث بها جبل بن يزيد لأحد الخلفاء معزياً، إذ نجده يقول: "وكان يجرى من تقدير الله فى ذلك على حتم من العمر، وقسم من الرزق، ومدة لها وقت وتأجيل" أخذاً من قوله تعالى: "لكل أجل كتاب، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون". ونجده أيضاً فى قول ابن المقفع فى الرسالة التى بعث بها مهنئاً لصديقه إذ يقول: "وجعلها لكم زينا، وأجرى لكم بها خيرا" وذلك إخذاً من قوله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا... الخ".

فالناظر لرسائل بنى العباس الرسمية وغير الرسمية يجد أنها حافلة بضروب الإقتباس، سواء أكان صريحاً من القرآن أو بأخذ معنى من معانيه.

وكما يكون الإقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فإن براعة الكتاب في صدر الدولة العباسية لم تنسهم أن يزينوا رسائلهم بشئ من الأقوال والأمثال، فمن ذلك ما كتبه أحمد بن إسرائيل في رسالته إذ يقول: "ودعيت نزال" وذلك مثل يضرب لإحتدام الحرب، وقوله "قد أعذر من أنذر" والذي صار مثلاً يضرب لمن يعرض عن التوجيه والإنذار. وكذلك نجدهم قد درجوا على الأخذ والإقتباس من أقوال الشعراء، ويتضح ذلك في الرسالة التي بعثت بها إحدى الجوارى للمأمون إذ تقول: "هنيئاً مريئاً غير داء مخامر" وذلك أخذاً من قول الشاعر كثير عزة^١:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

لعزة من أعراضنا ما أستحلت

وكذلك يتضح في رسالة الشوق التي بعثت بها ابن العميد لصديق له يقول: "فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما ألقى على بصرى" أخذاً من قول الشاعر:

قالت وأبثنتها شجوى وبحث به

قد كنت عندي تحت السترفاستترا

ألست تبصر من حولى؟ فقلت لها

غطى هواك وما ألقى على بصرى

لذلك نرى أن الرسائل التي درج كتابها على توشيتها بالإقتباس، والتي تضمنت شيئاً من القرآن والحديث والأمثال والأقوال، في الألفاظ المعتمدة أو المعانى المستمدة، قد جعلت تلك الرسائل على قدر عال من البهاء والجمال، وأن خلو الرسائل من تلك الإقتباسات قد يُنقص من قدرها، مهما بلغت من البلاغة وقوة الحجة.

^١ كثير عزة: حياته وشعره. أحمد الربيعي. دار المعارف بمصر. ١٩٦٧م. ص ١٥٢.

المبحث الثالث: السجع والتوازن:-

السجع حلية لفظية ولون من ألوان الأداء يزيد به الكلام جمالاً وحسناً، ويضفي إليه رونقاً وطلاوة. وهو كما عرفه البلاغيون: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو معنى كقول السكاكي: هو في النثر كالقافية في الشعر"^١

وجاء في تعريفه أيضاً هو: إتحاد الفواصل وزناً وروياً على نسق القافية، مأخوذاً من سجع الناقة إذا أطربت في حنينها، أو الحمامة إذا رجعت في هديلها، وتسمى بذلك لتمائل فواصله أو رويها، فأشبهه بذلك الترجيع، يقول أحد الشعراء:-^٢

أَنْ سَجَعْتَ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى

على فنن غض البنان من الرند

بكيت كما يبكي الوليد، ولم تكن جليداً

وأبديت الذي لم تكن تبدى

والسجع هو أحد الجوانب المهمة في التصنيع وزخرف الأساليب، أخذ في الظهور منذ بدايات القرن الثاني الهجري في مكاتبات بنى العباس، ثم اتسع استخدامه في القرن الثالث الهجري، وهو يكون مقبولاً إذا جاء في الكلام من غير قصد أو إفتعال وإلا كان فيه التكلف والصنعة، وناقش العسكري مسألة السجع وبيّن أن السجع لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه، إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب"^٣

ومن أوصاف البلاغة أن يكون السجع في موضعه، وعند سماحة القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها فالسجع مستغنى عنه.^٤

والسجع كان سراً من أسرار البلاغة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: "وأخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضداً، ألم تر إنّنا أرسلنا

^١ - التلخيص في علوم البلاغة. جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني. شرحه

عبدالرحمن البرقوقى. ط. ١. دار الفكر العربى. ١٩٠٤م. ص ٤٠٤.

^٢ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ١٦٠.

^٣ - الصناعتين. أبى هلال العسكري. مرجع سابق. ص ١٦٦.

^٤ - نقد النثر. قدامة بن جعفر. مرجع سابق. ص ١٠٧.

الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً. بيد أنه ولما جاء الإسلام في أول أمره كان مكروهاً، وذلك لقرب ذلك العهد من الجاهلية وقد زال التحريم بزوال العلة، وأيضاً نجده قد شاع في الحديث الشريف كقوله (صلى الله عليه وسلم): "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"¹ ونجد أن السجع أصبح شرطاً من شروط الترسل، وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في إتقانه، فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة، والسجع إذا أتقت صياغته أكسب المعنى قوة، وقد أتقنه الكتاب في هذا العصر، إلا أن بعضهم قد كلفوا به من غير مقدرة فجاء بارداً.²

في رسالة ابن العميد التي بعث بها إلى عضد الدولة مهناً نجد أن السجع قد شاع فيها وذلك في مثل قوله: "أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة، دام عزه وتأييده، وعلوه وتمهيدته، وبستطه وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزیده، وهناه ما أحتظاه به على قرب البلاد، من توافر الأعداد وتكثر الأمداد، وتثمر الأولاد... الخ". فقد ظل السجع وأستمر على ذلك الحال شائعاً في الرسائل العباسية.

وبتتبع السجع في الرسائل العباسية، وبالرغم من وجوده في جميع أنواع الرسائل في ذلك العصر، إلا أنه لم يكن ملتزماً لذاته، ويتضح ذلك في رسالة الأمان التي بعث بها المنصور لمحمد بن عبدالله، فإن السجع فيها لم يكن ملتزماً وإنما يأتى به ثم يتركه ويعود إليه مرة ثانية، وذلك في قوله: "أن أوْمنك وجميع ولدك وأخوتك، وأهل بيتك ومن أتبعك، على دمائكم وأموالكم، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأعطيك ألف ألف درهم، وما سألت من الحوائج، وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من في حبسى من أهل بيتك، وأن أوْمن كل من جاءك وبايعك وأتبعك،... الخ".

والسجع والتوازن متلازمين، وذلك لأن السجع يعنى توافق الفاصلتين أو أكثر في القافية، ومن هنا يكون للكلام وقعه الجميل، وللألفاظ المسجوعة ترنيمات وتوازنات موسيقية مؤثرة، وكلما كانت الجل قصيرة والألفاظ قد تحقق فيها السجع والتوازن حصلت الإستجابة، وبذلك يكون

¹ - الصناعتين. ابو هلال العسكري. مرجع سابق. ص ٢٥١.

² - تاريخ آداب اللغة. جرجى زيدان. مرجع سابق. ص ٢٦٩.

السجع ومعه التوازن أقرب إلى الشعر من حيث الوزن والقافية، والسجع والتوازن والإزدواج كلها أساليب فنيّة تعمل على تزيين الكلام بالقدر الذى يسمح به الطبع وتوحى إليه الفطرة.^١ ونلاحظ فى الرسائل العباسية أن معظم الكتاب لا يتكفون السجع فى رسائلهم، وإنما يأتى عفو خاطر، بيد أن هنالك بعض الكتاب الذين ألتموه فى جميع رسائلهم حتى الرسائل المطولة.^٢ وبالرجوع إلى رسائل البيعات نجده فى رسالة البيعة التى كتب بها المتوكل لبنيه إذ يقول: "فى أصالة من رأيه، وعموم من عافية بدنه، وأجتماع من فهمه، مختاراً لما شهد به، متوخياً بذلك طاعة ربه... الخ". وقوله أيضاً: "وسلامة رعيته وإستقامتها، وإنقياد طاعتها، وإتساع كلمتها، وصلاح ذات بينها". أيضاً نجده قد شاع فى رسائل العهود، وذلك فى مثل العهد الذى كتب به عبدالكريم الأمام الطائع للحسين بن موسى إذ يقول: "وأمره بتقوى الله التى هى عماد الدين، وشعار المؤمنين، وأن يعتقدوها فى سره ونجواه، ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه، ويتجنب الموانع المونية، ويتوقى الموارد المريعة، ويغض طرفه عن المطامع المغوية، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية... الخ".

ويجئ السجع أكثر شيوعاً فى الرسائل الإخوانية أكثر منه فى رسائل العهد والبيعات، ومن ذلك قول ابن العميد فى الرسالة التى بعث بها لعضد الدولة مهناً إذ يقول: "أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة، دام عزّه وتأييده، وعلوه وتمهيدته، وبسطته وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزيدته، وهناه ما أحتظاه به على قرب البلاد، من توافر الأعداد وتكثر الأمداد، وتشمر الأولاد... الخ". فنجد أنه فى هذه الرسالة قد ألتم السجع التزاماً.

وأيضاً نجد أحمد بن يوسف وقد ملأ رسالته التى بعثها إلى صديق له معتذراً سجعاً إذ يقول: "لى ذنوب إن عدتها جلت، وإن ضممتها إلى فضلك حسنت، وقد راجعت إنايتى، وسلكت طريق إستقامتى، وعلمت أن توبتى فى حجّتى، وإقرارى أبلغ فى معذرتى... الخ". وأيضاً نجده شائعاً فى الرسالة التى بعث بها ابن العميد إلى صديق له يشكو فيها الزمان إذ يقول: "إنما أشكو إليك -جعلنى الله فداك- دهرأ خئوناً غروراً، وزماناً خدوعاً غروراً، لا يمنح ما منح إلا ريثما نزع، ولا يُبقى فيما يهب إلا ريثما يرتجع، يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع، ويلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع... الخ".

^١ - الخطابة فى عصر بنى أمية. عبدالرحمن عطا المنان. مرجع سابق. ص. ٢١٥.

^٢ - النثر الفنى فى القرن الرابع. زكى مبارك. مرجع سابق. ص. ١٢٨.

فهذه الجمل والكلمات المسجوعة في تلك الرسائل، فبالإضافة إلى السجع نجد أنها قد حوت بعضاً من ألوان البديع الأخرى من مثل الطباق والمقابلة بين اللفظة وضدها، ويتضح ذلك في رسالة التهادى التي بُعث بها ليحيى البرمكى إذ يقول فيها: "قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بي الجدة عن مباحات أهل المكنة" وفي قوله: "المفتح بيمنه، المختتم بطييه". ويبدو أيضاً في الرسالة التي بعث بها إبراهيم بن سيابة إلى يحيى البرمكى مستعظفاً إياه إذ يقول فيها: "بما لا أقوم له ولا أقعد". "فلست بحىّ صحيح ولا ميت مستريح".

بذا تكون قد تضافرت الألوان البديعية مع بعضها البعض وبقية المحسنات البديعية الأخرى لتكتمل للرسائل مقومات الفصاحة والبيان. ذلك الذى رأيناه فى الرسائل التى تخص البيعات والعهود، بيد أن هناك بعض الباحثين يرون أن السجع ليس جميلاً ومقبولاً، وإنما هو من باب الصنعة والتكلف وفى ذلك يقول عبد الحكيم بليغ: "والحقيقة أن كل كلام جاءت كل فاصلتين أو أكثر منه متحدتين فى قافية واحدة يسمى سجعاً سواء أتبع فيه اللفظ المعنى أو العكس، إلا أنه فى الأولى سجع جميل مقبول، وفى الثانية متكلف وهو فى الحالتين سجع"¹ وبالوقوف على بعض النماذج المسجوعة وجدنا أن السجع شائعاً وإن قلّ فى الرسائل التى تخص العهود والبيعات، بينما يندر فى الرسائل التى تخص الأمان، وقد وجد السجع مجالاً واسعاً فى الرسائل الإخوانية والإجتماعية، وغالباً ما كان يقع السجع فى قصار الرسائل، وذلك فى مثل قول أحمد بن يوسف فى الرسالة التى بعث بها إلى المأمون يشكو تأخر الأرزاق إذ يقول: "كتابى إلى أمير المؤمنين، ومن قبلى من قواده، وسائر أجناده، فى الأنقياد والطاعة، على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وأنقياد كفاة تراخت أعطياتهم، وأختلت لذلك أحوالهم، وألتاثت معه أمورهم". ومنها أيضاً فى رسائل التهانى والتعازى والتهادى وغيرها، ومن ذلك قول ابن المقفع إلى صديق له يهنئه بمولود إذ يقول: "بارك الله لكم فى الأبنة المستفادة، جعلها الله لكم زينا، وأجرى لكم بها خيراً، فلا تكرهها، فأنهن الأمهات والأخوات، والعمّات والخالات، ومنهن الباقيات الصالحات".

ومنها أيضاً ما كتبها الحسن بن وهب فى التعزية إذ يقول: "جبلك الله على التسليم لأمره، والرضا بقضائه، وصبرك على مواقع أقداره، وأحتمال الحقوق لنعمته، إن الله عزّ وجل

¹ - النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه. عبد الحكيم بليغ. مطبعة الأنجلو المصرية. ص ٩٦.

جعل النعم سبيلاً للشكر، والمحن سبيلاً إبتلاء الصبر، والصبر عند المحنة... الخ^١ ومنها أيضاً الرسالة التي كتبها عبدالله بن المعتز معزياً إذ يقول: "عاريّة سرك الله بمدتها، وآثرك بثوابها، وأثابك عن إرتجاعها، فأبشر بعاجل من صنعه، وآجل من جزائه ومثوبته،، عظم الله أجرك، وجعل الثواب عوضك... الخ"^٢

ومنها ما كتبه أحد الكتّاب في التهادى إذ يقول: "لو تمت الإرادة، لأسعقت العادة، ولو ساعدت القدرة، على بلوغ النعمة، لتقدمت السابقين إلى خدمتك، وأتبعتم المجتهدين في كرامتك... الخ". ومن مثل ما وقع في رسائل الإستجداء قول أحمد بن يوسف في الرسالة التي بعث بها إلى المأمون إذ يقول: "داعى نذاك، ومنادى جدواك، جمعا ببابك الوفود، يرجون نائلك المعهود، فمنهم من يمت بحرمة، ومنهم من يُدلى بخدمة... الخ".

ونجد ان تلك الأقوال والتي تحقق بها السجع جاءت مناسبة للموقف والمعاني المستهدفة، وقد أهتم أصحابها وعنى بالوقع والرنين سواء عن طريق السجع أو الأزدواج والتوازن، وقد أتسمت بتقسيم العبارة إلى جمل متوازنة في القدر والطول دون صنعة.

ومن المعيب أن يلتزم الكاتب السجع في جميع رسائله، وذلك لأن السجع لا يواتى فى كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والإختصار، وإذابنى الكلام جميعه على السجع ظهر عليه التكلف.^٣

ومن الأسجاع ما هو حسن مقبول، ولكنه قد ينبه المستمع إليه أن قائله قد تعمّد تجويده وتكلفه، وذلك مثل ما فعل الوزير الخاقاني في توقيعه على كتب العمّال وذلك بقوله: "ألزم وفقك الله المنهاج، وأحذر عواقب الإعوجاج، وأحمل ما أمكن من الدجاج إن شاء الله"^٤. وحينها حمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية فقال: هذا دجاج وفرته بركة السجع. فتكلفه فى السجع أضطره إلى استخدام كلمة "الدجاج".

ومن محاسن السجع والتوازن فى الفقرات نجدها تظهر وتتضح فى الرسائل التى تقوم على المحاورات، وهى لون جميل من ألوان الكلام المنثور الذى يعتمد أحياناً على السجع .

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج. ٤. ص. ٢٨.

^٢ - المرجع السابق. ص. ٣٧.

^٣ - فى النثر العربى. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص. ٤٠.

^٤ - تاريخ آداب العربية. جرجى زيدان. مرجع سابق. ص. ٢٦٩.

ومن ذلك ما دار من حوار بين الرشيد وأم جعفر زوج يحيى البرمكى فى الإستعطاف وكان على النحو التالى:-

"أحتجب الرشيد فى دار البانوقه أخته، فطلبت أم جعفر الأذن بالدخول عليه فلم يأذن لها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، محتفية فى مشيتها، حتى صارت بباب الرشيد فدخل عبدالملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد إلى حنين الوالد، وشفقة أمه الواحد، فقال له الرشيد: ويحك يا ابن الفضل، أو ساعية. فقال: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، وحافية. فقال: أدخلها يا عبدالملك فرب كبد كريم غزتها، وكربة كشفتها، وفرجة فرجتها، وعورة سترتها، فلما دخلت عليه وجلست قالت: يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان، ويجفونا خوفاً لك الأعوان، ويحردك بنا البهتان، ويوسوس لك بإيذائنا الشيطان،... الخ"¹

ومما جاء فى ذلك من محاورات ما دار بين سهل بن هارون والرشيد، وفى ذلك يُذكر أنه دخل على الرشيد، وهو يضاحك أبنه المأمون فقال: "اللهم زده من الخيرات، وأبسط له من البركات حتى يكون فى كل يوم من أيامه مربياً عن أمسه، مقصراً عن غده، فقال الرشيد: يا سهل. من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه... الخ". وحدث أن استدعاه الرشيد، فلما مثل بين يديه عرف ذعره فى تجريض ريقه، والتمايد فى طريقه، وشخوصه ببصره إلى السيف، قال: إيهاً يا سهل من غمط نعمتى، وأعتدى وصيتى، وجانب موافقتى، أعجلته عقوبتى، قال سهل: فوالله ما وجدت جوابها حتى قال: ليفرغ روعك، وليسكن جأشك، وتطب نفسك، وتطمئن حواسك، فإن الحاجة إليك قربت منك، وأبقت عليك بما يبسط منقبضك، ويطلق معقولك، فأنتصر على الأشارة دون اللسان، فإنه الحاكم الفاصل، والحسام الناصل"²

بذلك يمكننا أن نقول أن السجع حلية فطرية موسيقية ينبع من صميم الفطرة الصافية، مترجماً عن آلامها وآمالها، وبهذه الموسيقى صار قريب الشبه بالشعر الذى يعتمد موسيقى الأوزان والقوافى، وأنه لدى كتاب العصر العباسى لم يكن مقصوداً لذاته بالصنعة المتكلفة، وإنما ينساب بالفطرة إنسياباً فيكون له وقع ورنين.

¹ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ١١٦ - ١١٧.

² - المرجع السابق. ص ٢٥٨.

المبحث الرابع: التخيل والتصوير:-

تتميز الرسائل بمشابهتها للشعر، وذلك في إبراز الأفكار وتوضيحها في قوالب من التخيل والتصوير، والإمام بعلوم البلاغة من بيان ومعانى وبديع، ومقدرة الكاتب في إيصال أفكاره إلى الآخرين في أسلوب لا يخلو من العاطفة والخيال ليبرز قوة معانيه وألفاظه.

والتخيل هو تلخيص المعانى في الذهن وإيرازها في صفات الكمال، فكلما كان الإنسان أقوى ملكة وأبعد آفاقاً كانت أخیلته أرفع وأوسع.

ويُعد التصوير الفنى من المكونات الهامة للعمل الأدبى إذ أنه يشكل العنصر الجمالى فيه ليؤثر على المتلقى، والفن والقدرة يظهران التجاوب مع الأدوات الجمالية بين الأديب والمتلقى من حيث العرض والقبول والأحاساس بالأثر والفائدة معاً.^١

والخيال الفنى ليس مجرد الجمع للأجزاء والعناصر، بل هو إختيار وتنسيق وتصرف بالزيادة أو الحذف، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في وصف مظاهر الطبيعة، والأسلوب الخيالى هو الذى يحاول فيه الكاتب أن يصف كل شئ.

كما أن للخيال قوة لا تسير الحياة العقلية بدونها، وله في الفن عامّة وفي الأدب خاصة قيمة كبيرة، تكمن تلك القيمة في تصوير الكاتب للأثر الذى يحس به، والعمل على إيصاله لذهن القارئ والسامع.^٢

وللخيال أيضاً أثر في الأبداع وجمال التصوير، وأن الكاتب الذى يتخذ من الخيال وسيلة لتحلية أدبه وتقويته، يتطبع أن ينتقل بالقارئ في أودية من المعانى وألوان من طرائق الحياة.^٣ وللخيال أيضاً دوره في العمل الأدبى، إذ أنه يبرز المعانى في صورة قريبة من الواقع المحس، ويعين على تذوقها، والوقوف على أسرار جمالها، ويلجأ الكاتب إلى تحقيقه عن طريق استخدام الأساليب البلاغية.^٤

^١ - الصناعتين "الشعر والنثر". أبو هلال العسكري. مرجع سابق. ص ١٠.

^٢ - الأصول الفنية للأدب. عبدالحميد حسين. ط ١. مطبعة الأنجلو. ١٩٦٤م. ص ١٠٠-١٠٦.

^٣ - المرجع السابق. ص ١٠٧.

^٤ - مقدمة بن جعفر والنقد الأدبى. بدوى طبانه. ط ٣. المطبعة الفنية الحديثة بمصر. ١٣٨٩هـ. ١٩٦٩م.

أما التصوير فإنه يعمل على بناء التشكيل اللغوى للصورة، وذلك من خلال محاورة مفردات عدة، تقوم بينها علاقات على نحو ما، يتحدد من خلالها المعنى الجزئى، كما يقوم بينه وبين المضمون الكلى إرتباط وعلاقات.¹

ولعلم البيان أثر واضح فى تأدية المعانى بالصور المختلفة، فالأساليب البلاغية من مجاز وتشبيه وأستعارة وكناية، تعمل مجتمعه على رفع المعانى والسمو بها إلى عالم الخيال، فالكاتب الحصيف هو الذى يتبع الأسلوب التصويرى فى التعبير عن أفكاره ومعانيه.

والرسائل العباسية تذخر بالعديد من الصور التى يرسمها الخيال من مشاهد البيئة الجديدة، لذا أصبحت الرسائل فى العصر العباسى حافلة بالصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية وكل الأساليب البلاغية التى يلعب فيها الخيال دوره. ثم يجئ دور الكاتب ومقدرته على أستخدام تلك الوسائل البلاغية فى تصويره الفنى.

فمن التشبيهات التى أسهمت فى تشكيل الصورة الفنية فى الرسائل العباسية قول القاضى الفاضل وذلك فى رسالة العهد التى كتب بها عن العاضد، فقد شبه الناصر صلاح الدين بالأسد فى قوته وذلك فى قوله: "أسد الدين". وفيه قد صرح بلفظ المسبه به على سبيل الإستعارة التصريحية. وأيضاً نجده يشبه الدولة بالفلك الذى تتعاقب عليه الأقمار وذلك فى قوله: "وجاعل دولة أمير المؤمنين فلماً تتعاقب فيه أحوال الأقمار".

وأيضاً تبدو روعة التشبيه فى جعل دولة أمير المؤمنين روضه يانعة الفروع، باسقة الثمار، وذلك بفضل رشده، والروضه متى ما وجدت الأهتمام والعناية أينعت وتفتحت أزهارها، كذلك الدولة والسيادة الرشيدة، إذ هوت فيه الدوحات أينعت الفروع سابقة النوار باسقة الثمار.

وأيضاً فيها يشبه دولة أمير المؤمنين بعرين الأسد وذلك فى قوله: "وجعل مملكته عريناً... الخ". وشبه بياض وجه أمير المؤمنين وحسنه ببياض الفجر، وجعل الأنوار التى تتبعث عند الصباح كأنها من وجهه وذلك فى قوله: "وأطلع أنوار وجهه الفجر الذى جعل من ظن غير نوره مطلعته".

وفىها يشبه بياض أجبانه باللجين إذ يقول: "حيث تتقى الأبصار لجين الأجبان"

¹ - التصوير الشعرى (رؤية نقدية). عدنان حسين قاسم. الدار العربية للنشر القاهرة. ص ٥٨.

وتبدو روعة التشبيه في رسالة العهد والولاية للخلافة في قول الكاتب وتشبيهه لقوة أمير المؤمنين في الأرض بقوة الله سبحانه وتعالى في السموات العلى وذلك في قوله: "وجعل الله ما هو قبضته في الأخرى قبضة أمير المؤمنين في الأولى، من الأرض التي هي موطوءه كالسموات العلى".

وفي رسالة أحمد بن يوسف التي يعد وينذر فيها عمال الدولة، يبدو التشبيه في قوله: "حسنت الصوارم أوصال حماتها"، إذ يشبه الصوارم بالإنسان، ويتضح التشبيه أيضاً في رسالة ابن المعتز التي يصف فيها الكتاب والقلم، وذلك في تشبيهه للقلم وهو يكتب على صفحة بيضاء كأنه يُقبَل بساط السلطان إذ يقول: "وكانه يقبل بساط سلطان، أو يفتح نوار بستان".

وتبدو روعة التشبيه وجماله في وصف الجارية للتفاح الذي أهدت به إلى المأمون، فقد جمعت فيها العديد من التشبيهات ليكتمل بها بذلك وصفها إذ تقول: "أجتمع فيه الصفرة الدرية، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة ولون التبر".

والتشبيه أيضاً يظهر في رسالة الشوق التي بعث بها ابن العميد إلى صديق له إذ يقول فيها: "أنت جزء من نفسي"، وأيضاً التشبيه نلمسه في قول ابن العميد: "فيما بشر عبده من طلوع بدرين". مشبهاً التوأمين بالبدر.

وفي رسالة الشكوى التي كتب بها ابن العميد نجده يشبه الدهر بالإنسان في غدره وخيانتة، وأعطائه ونزعه إذ يقول: "دهراً خئولاً غدوراً، لا يمنح ما منح إلا ريثماً نزع، ولا يبقى فيما يهب إلا ريثماً يرتجع".

وتلعب الإستعارة دوراً بارزاً في تشكيل الصورة الفنية لأسلوب الرسائل العباسية، فالكاتب قد يستعين بأداة أدق تعبيراً وأجمل تصويراً هي الإستعارة، وبذلك تكون أعظم شأناً في التشكيل الجمالي للصورة الفنية، وقد تحدث علماء البلاغة كثيراً عن أثرها في الصورة الجمالية وذلك في مثل قول أحدهم: "الإستعارة أفضل المجاز عندهم، وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"^١

وبالرجوع إلى الرسائل والإستعانة بالإستعارة فيها كأداة تصويرية نجد قول القاضي الفاضل: "وأحل لك صهواتها" إذ أنه جعل تقليد الوزارة كصهوة حصان.

^١ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ابن رشيق القيرواني. ج. ١. ص ٤٦٠.

وتبدو الإستعارة التصريحية فى تشبيه العزائم بالحبال المعقودة وذلك فى قوله: "وأعقد حُبى العزيمات".

أيضاً تبدو الأستعارة فى رسالة العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلّى بن موسى، وذلك فى تشبيه الخلافة بشئ يذاق طعمه ويثقل حمله وذلك بحذف المشبه به فى كل: "فاختبر بشاعة مذاقتها، وثقل حملها".

والإستعارة المكنية تبدو فى وصف الكتاب والقلم لابن المعتز إذ يشبه القلم بالإنسان ويحذفه ويرمز إليه بشئ من لوازمه إذ يقول: "والقلم مجهز لجيوش الكلام، يخدم الإرادة،... الخ". وفى قوله: "كأنه يقبل بساط سلطان".

وأيضاً تتجلى روعة الإستعارة فى رسالة التهادى إذ تقول: "وخفت أن يرميها الدهر بسهمه" إذ أنه حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الرمى على سبيل الإستعارة المكنية.

والكناية لها ما للتشبيه والإستعارة، وذلك بأنها لون من ألوان البلاغة ومظهر من مظاهر علم البيان. وفى شأنها يقول القزوينى: "المقصود بالبيان التشبيه والمجاز والكناية، وقدم التشبيه على المجاز وذلك لإبتناء الإستعارة التى هى مجاز على التشبيه، وقد مالمجاز على الكناية لنزول معناه من معناه من منزلة الجزء من الكل".¹

وبتتبعنا للرسائل العباسية نجد أن الكناية قد شاع استخدامها فيها وذلك فى مثل قول الكاتب فى رسالة العهد للخلافة إذ يقول: "ولا غرو للسحاب أن يصفح قطره الثرى، والفجر أن يشرق نوره على عين الكرى" وذلك كناية عن تواضع الممدوح.

وتتضح الكناية فى الرسالة التى كتب بها أحمد بن أسرائيل وذلك فى قوله: "كلحت الحرب عن أنيابها، وألقت للتجرد قناعها وأختلفت أعناق الخيل"، فكل ذلك كناية عن احتدام المعركة واشتدادها. وكذلك فى قوله: "حسمت الصوارم أوصال حماتها" كناية عن شدة الضرب فى المعركة.

والكناية تبدو فى قول الكاتب: "كأنه يقبل بساط سلطان" فهى كناية عن عادة تقبيل الأرض التى كانت شائعة فى تلك الأزمان.

¹ - الإيضاح فى علوم البلاغة. الخطيب القزوينى. مرجع سابق. ص ١٢٠.

أيضاً نلمس الكناية فى قول ابن المعتز: "والقلم ينطق على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضى". أى كناية عن جاهزية القلم لأبداء الرأى فى أى زمان ومكان. وتبدو روعة الكناية فى قول ابن سيابة يستعطف خالد البرمكى بقوله: "الوارى الزناد" فهو كناية عن مضاء العزيمة.

والكناية فى قول أحمد بن إسرائيل: "وعين نزال" كناية عن إحتدام الحرب. وتنتضح الكناية أيضاً فى قول ابن العميد: "غطى هواك على بصرى" كناية عن شدة الحب. وللبديع دور فاعل فى تشكيل الصورة الفنية أيضاً، ومقدرته فى معرفة الوجود والمزايا التى بواسطتها يكتسب الكلام جمالاً، وهو "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة"^١

لذلك نجد أن علم البديع يعمل على تحسين الكلام، وإذا تتبعنا الرسائل العباسية، نجد أن المحسنات كثيرة، فمن الطبايق ما يتضح فى كتاب البيعة التى أخذت للمنتصر فى قوله: "من خاص وعام- وأبعد وأقرب". وفى قول أبى جعفر المنصور يبايع المهدي: "لينه وحزمه"- "عاجله وآجله".

ويتضح الطبايق أيضاً فى قول عبدالله بن هارون فى كتاب العهد الذى كتب به لعلى بن موسى: "أحلّ وحرّم"- "وعد وأوعد". "امر ونهى". ونلمسه أيضاً فى قول القاضى الفاضل فى رسالة العهد التى كتب بها عن العاضد إذ يقول: "بسطاً وقبضاً"- "وأرفع ناظرى فقد أباح لك رفعاً وخفضاً"- "والتصريف على أمرى ونهيك". أيضاً يبدو فى رسالة التعزية التى كتب بها جبل بن يزيد إذ يقول: "به يصلح الله دينهم، ولا يصلح إلا به دنياهم". أما الطبايق الذى يجلب الرسالة فى معظمها فنلمسه فى قول ابن العميد إلى ابن بلكا، وذلك فى قوله: "طمع ويأس"، "واقبال وإعراض" و"ميل إليك وميل عنك" و"وأقدم وأوخر" و"وأبسط وأثنى" و"يعزب ويؤوب" و"يذهب ويعود" و"يفسد ويصلح" و"يسكر ويصحو" و"يكر ويصفو" و"ضيقة ورخاء" و"غمرة وأنجلاء".

ونلمسه أيضاً فى قول الكاتب: "المفتتح بيمنه، المختتم بطيبيه". أما المقابلة فقد لعبت أيضاً دوراً فى تشكيل الصورة الفنية، فنجدها فى كتاب البيعة لأبى جعفر المنصور فى قوله: "الطاعة له والسمع منه"، وفى قول القاضى الفاضل فى رسالة العهد التى

^١ - المرجع السابق. ص ١٩٢.

كتب بها عن العاضد إذ يقول "أما به غيا، وأحيا به رشدا"، وقوله "وأجعل الضعيف منهم فى الحق قويا، والقوى فى الباطل ضعيفا".

وتتمثل المقابلة فى قول ابن المعتز واصفاً القلم إذ يقول "على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضى"، وتتمثل أيضاً فى رسالة التهادى التى بُعثت إلى المأمون وذلك فى قوله: "قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بى الجدة عن مباهاة أهل المكنة"، وتتضح أيضاً فى قول ابن العميد "يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جرماً ثم يمتنع".

أما الترادف والأزدواج فقد كان لهما نصيبٌ فى تزيين الرسائل فمن ذلك قول الصابى فى رسالة العهد التى كتب بها الأمام الطائع وذلك فى قوله "واضعاً جميع ذلك مواضعه، موقعاً له مواعده"، ومنه قوله "عارض معارض"، و"شاغب مشاغب".

ويتجلى الإزدواج فى قول القاضى الفاضل "الإمامة محفوظة فى عقده والمعقبات تحفظه بأمره"، وفى قوله أيضاً "وعضد الدين الذى إرتضاه، وعضد بمن أرتضاه"، و"أنجز له وعد السعد ما قضاه قبل أن أقتضاه"، وأيضاً فى قوله "طلوعه على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار".

ومن الترادف ما كتب به ابن العميد لأبن بلكا وذلك فى قوله "يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح".

ونلمسه فى قول يوسف بن صبيح معاتباً محمد بن زياد وذلك فى قوله "وقد كنت إلى مفارقتنا مشتاقاً، وإلى البعد تواقاً". ويبدو أيضاً فى قول القاضى الفاضل "وطأة المواطئ التى تغيب الكفار".

ومن التصوير الجميل الذى يُضفى على العبارات جمالاً، قول الخوارزمى فى رسالة له يصف فيها الأيام، فهو يجمع فيها ما بين السجع المتقابل العبارات والجناس والطباق، وذلك فى قوله: "كانت أرق من حاشية البُرد، ومن طلوع السعد، وأحلى من إنجاز الوعد، وأعزر من القند، بل من النقد، وأعيق من الورد، وما أردت إلا ورد الخد، بل من المسك والند، وأطيب من القرب بعد البُعد، ومن الوصل فى إثر الصد، بل كانت أرق من نسيم الزهر فى السحر، ومن قضاء الوطر على الخطر، بل كانت أقصر من ليل السكارى، أو نهار الحيارى"^١

^١ - الفن ومذاهبه. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٢٣٥.

فهو يملأها سجعاً تتقابل فيه العبارات تقابلاً، ثم يوشيهها بالجناس والطباق والتصوير، أيضاً من الكتاب من أستطاع أن يتلاعب في رسائله بجميع أنواع الصور البيانية، وذلك مثل ما فعل القاضى الفاضل في رسالته التى بعث بها للناصر صلاح الدين يخبره بفتح، فمن الكناية نجدها في قوله " صدعت حصاته ،وفل سيفه ،وعثرت قدمه "فهى جميعها كناية عن الهزيمة . "وأصحاب المشأمة" كناية عن الكفار، "وأصحاب الميمنة" كناية عن المسلمين. أمّا الطباق فنلمسه فى قوله "السيف والعصا" و"اليقظة والكرى" و"المنى والمنون" و"السيئة والحسنة" و"المشأم والميمنة" و"قريب وبعيد". أمّا الجناس فيتضح فى قوله: "فرقه وفرقا" و"حصاته وحصى" و"العنان والعيان" و"مهدومة ومهتومة" و"المحامية والحامية" و"المتوافية والوافية" و"عصرة ونصرة". كذلك نجده قد وشى رسالته بالأخذ والإقتباس من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله: "ضربت عليهم الذلة والمسكنة" وفى قوله: "أصحاب المشأمة وأصحاب الميمنة" وفى قوله: "يبدل الله سيئاتهم حسنات". وبذلك فقد إستطاعت علوم البلاغة من بيان ومعانى وبديع فى تأدية أساليب الرسائل فى العصر العباسى.

ومجمل القول إن الغرض من التعبير الأدبى هو قوة التأثير فى نفس القارئ أو السامع، لتتفاعل نفسه بمثل ما أنفعلت به نفس الكاتب، ولكى يتم له بلوغ ذلك لا بدّ من إضافة عنصر الصورة التى يتخيلها، والتى تبدو من خلال تشبيهاته الرائعة وإستعاراته البارعة وكنائياته اللطيفة فى نسق فنى جميل.¹

إنّ فإن التخيل والتصوير هما عماد الأسلوب الفنى، وهما بمثابة قوة وتأثير وتزيين للكلام. فالكاتب ينفعل بالمؤثرات الحسية والخيالية حتى يدرك ما يحس، ومتى أستطاع أن يثير الوجدان فقد بلغ غايته من الإفادة، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا إستعان بعنصر حيوى إضافة لعنصر الفكرة والعبارة، ألا وهو عنصر التخيل والتصوير.

¹ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص. ٨٨.

المبحث الخامس : الإيجاز والإطناب:-

من الرسائل الموجز المختصر، والمتوسط المعتدل، والمطنب المستفيض. ويُقصد بالإيجاز الإقتصاد في ألفاظ العبارة إقتصاراً لا يؤثر في وضوح معناها، فقد عرفه القدماء بالعديد من التعريفات التي تكاد تتشابه، فمنهم من يقول أنه: "بلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة". أو "تقليل الكلام من غير الإخلال بالمعنى". أو "هو قصور البلاغة على الحقيقة"^١.

أو هو: إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ.^٢

وسئل ابن المقفع عن البلاغة فقال: "أسمُّ جامع لمعانٍ تجرى في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الإستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الإحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون إبتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة"^٣.

إن نلمس من قول ابن المقفع أن تمام البلاغة في إيجاز القول. والإيجاز يصلح دائماً لمخاطبة الملوك وذوى الأخطار العالية. وهو الأفضل دائماً في المكاتبات إن لم يكن للإطناب مبرراته.^٤ وفي ذلك يقول جعفر بن يحيى: "إذا كان الإكتثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكتثار هذراً"، فبين ما يُحمد من الإيجاز، وما يحتاج إليه من الإكتثار.^٥ نلمس من قول جعفر بن يحيى هذا، أن على الكاتب إتزام الوسطية في كتاباته، فلا يُطيل فيمل، ولا يقصر فيخل.

والإيجاز مطلب بلاغي في حد ذاته، وعكسه الإطناب الذي يأتي فيه اللفظ زيادة على المعنى إن كان لفائدة وإلا فيصير تطويلاً لا فائدة فيه.

^١ - في النثر العربي قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ٤٣.

^٢ - علم المعاني. حسن طبل. ط ١. مكتبة الإيمان. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م. ص ١٢٥.

^٣ - البيان والتبيين. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ج ١. ص ١١٥.

^٤ - في النثر العربي قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ١٦٦.

^٥ - نقد النثر. أبي الفرج قدامة بن جعفر. مرجع سابق. ص ٩٧.

أما مواطن الأيجاز فقد تكون في توقيع من الوزير أو الخليفة في قصة رُفعت إليه يدل به على اطلاعه عليها ويُبدى رأيه فيها، وكذلك في رسائل الخلفاء والسلاطين في أمرٍ أو نهى، أو إخبار بهزيمة، أو تحذير من عدو.

والأمر الذي دعا إلى الإيجاز في بعض المكاتبات كثرة أعمال الدولة، وتوالي الكتب من الخلفاء إلى الولاة، ومنهم إلى رؤسائهم، فإذا ألتمز الإطناب في كل ذلك كثر العمل.

ونجد أن الكتاب كانوا يؤثرون الإيجاز على الإطناب وفي ذلك يقول جعفر بن يحيى: "إن أسنطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا."^١

ومن الإيجاز في مكاتبات بني العباس، ما كتبه عمرو بن مسعدة حينما أمره المأمون أن يكتب كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه والإعتناء بأمره، فما كان منه إلا أن كتب قائلاً:

"كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه، معنى بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والحماية حامله، والسلام."^٢ فجاءت بذلك عباراته موجزة معبرة موحية، تروق للسامع والقارئ.

ومن الإيجاز أيضاً ما كتبه ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد، جواباً عن كتاب إستزاده فيه قائلاً: "قيد نعمتي عندك بمنزل ما كنت أستدعيها به، وذب عنها أسباب سوء الظن، وأستدم ما تحب مني ما أحب منك."^٣

والإيجاز أيضاً نلمسه في كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن معزياً بقوله: "مدّ الله في عمرك، موفوراً غير مستنقص، وممنوحاً غير ممتحن، ومعطى غير منسلب"^٤

ويتجلى الإيجاز أيضاً في كتاب عمرو بن مسعدة إلى المأمون إذ يقول: "كتابي إلى امير المؤمنين ومن قبلي من قواده، وسائر أجناده في الإنقياد والطاعة، على أحسن ما يكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم... الخ." ففي قوله بلاغة، وتكمن بلاغته في التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى.

^١ - الصنائع. أبو هلال العسكري. تحقيق على محمد البجاوي ومحمد الفضل إبراهيم. ط ١. مطبعة

عيسى البابي وشركاؤه. ١٣٧١هـ - ١٩٥٤م. ص ٢٠٠.

^٢ - وفيات الأعيان. ابن خلكان. ج ١. ص ٣٩٠.

^٣ - معجم الأدباء. ياقوت الحموي. ج ٣. ص ٤٩.

^٤ - زهر الآداب. أبراهيم بن علي الحصري. مرجع سابق. ص ١٩٩.

أيضاً من الإيجاز ما كتبه أحمد بن يوسف في الذمّ إلى بعض إخوانه، ووصل به لما يريد، وذلك في قوله: "فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أو عر من طريقه إليك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك في المعروف أن تحقره، وفي وليّه أن تكفره."^١ والإيجاز أيضاً نلمسه في قول ابن المقفع معزياً أحد أخوانه بقوله: "أعظم الله على المصيبة أجرك، وأحسن على جليل الرزء ثوابك، وعجل لك الخلف فيه، ونخر لك الثواب عليه"^٢ ونلمس بلاغة الإيجاز أيضاً في توقيعاتهم، وذلك مثل ما وقعته السفاح لأهل الأنبار قائلاً: "هذا بناءً أسس على غير تقوى".

من خلال تلك الأمثلة تتضح بلاغة الكتاب في الإيجاز ومقدرتهم على بلوغ المقاصد من غير تكلف ولا إطئاب.

أما الإطئاب فهو: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.^٣ وهو أيضاً أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارات متعارف الأوساط.^٤

وقد كثر الإطئاب في رسائل العصر العباسي وتعددت مقاماته، فمن المقامات التي تُعدّ إطئاباً تلك الكتب التي تُقرأ على العامة ومنها المنشورات التي تُقرأ لشرح مذهب سياسي أو أمر ديني، والبيعات التي تُقرأ على العامة لتتصيب خليفة، وكذلك كثر الإطئاب في تفصيل الإنتصار على العدو وقد أكثروا فيه من التحميدات، وكذلك أطنبوا في ولاية العهد، فقد أكثروا فيها بتعداد مناقب وليّ العهد، وما يؤمل فيه من عمل لخير الأمة.

وكذلك اطنبوا وأطالوا في ولاية العهد بالقضاء أو العهد بأمانة^٥، وذلك في مثل ما كتبه القاضي الفاضل عن الخليفة العاضد لدين الله بتقليد الوزارة للناصر صلاح الدين الأيوبي وقد ذكر في ثنايا هذا البحث سابقاً، فقد أطال فيه وأطنب وذلك بالأكثر من التحميدات والإطالة في ذكر مناقب المعهود إليه، وما عُرّف به من إستمسك بالدين ورعاية لمصالح المسلمين.

وقد تفنن الكتاب العباسيين كثيراً في كتاباتهم، وأطالوا فيها، ومن ذلك ما دار بين المنصور العباسي والنفس الذكية في الندم، فمما كتبه الأول قوله: "أما بعد: فقد أتاني كتابك وبلغني

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكي صفوت. ج. ٣. مرجع سابق ص ٣٨١-٣٨٢.

^٢ - رسائل البلغاء. محمد كرد علي. دار الكتب العربية الكبرى. ١٣٣١هـ-١٩١٣م. ص ١٣٢.

^٣ - علوم البلاغة. أحمد مصطفى المراغي. القاهرة: ص ١٩١.

^٤ - في النثر العربي. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ٤٣-٤٤.

^٥ - الحياة الأدبية في العصر العباسي. محمد عبدالمنعم خفاجي. مرجع سابق. ص ٨٣-٨٥.

كلامك، فإذا جُلَّ فخرك بالثناء لتضل به الجفأة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعوممة، ولا الآباء كالعصبة والأولياء، وقد جعل العم أباً وبدأ به على الوالد الأدنى، فقال جُلَّ ثناؤه عن نبيه عليه السلام: "وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ". وقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة، فأجابه أثنان أحدهما أبى، وكفر به أثنان، أحدهما أبوك، فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أُعْطِيت على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه"¹

وتظهر ظاهرة الإطناب أيضاً في رسالة الخميس التي كتب بها أحمد بن يوسف، فإذا كان الإطناب في بعض الأحيان ظاهرة بلاغية، فإن الإيجاز ظاهرة أبلغ، لكن الكاتب أطال فيها إطالة شديده، وأطنب إطناباً أو شك أن يُدخل السأم إلى القلوب، لولا تملكه لناصرية البيان، والإتيان بالمعنى المليح والفكرة البديعة وحسن الاقتباس.

ويُعد التكرار وسيلة من وسائل الإطناب، فقد يلجأ إليه الكاتب لتمكين المعنى في النفس، وهو: "التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة". وقد كثر هذا النوع في الرسائل. والإطناب أيضاً نلمسه في كتاب البيعة التي كتب بها المتوكل بولاية العهد لبنيه، إذ أنه أطال فيها وأطنب وكذلك التزم فيها التكرار في بعض العبارات. وذلك في مثل قوله: "وجعل عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبدالله المعتز بالله وأبراهيم المؤيد بالله ابني أمير المؤمنين: السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والموالاة... الخ" مكرراً ذلك في بيعته بقوله: "وجعل عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبدالله المعتز بالله وأبراهيم المؤيد بالله ابني أمير المؤمنين: الوفاء بما عقده لهما، وعهد به إليهما من الخلافة... الخ". ففي هذا التكرار إطناباً.

¹ - عصر المأمون. أحمد فريد الرفاعي. المجلد الأول. ط ٤. دار الكتب المصرية بالقاهرة. ١٣٤٦ هـ.

١٩٢٨ م. ص ١٧٢-١٧٣.

إذن نستطيع أن نقول أن كلاً من الإيجاز والإطناب يحسن فى المواضيع التى يحتاج فيها إليه
،وقد قيل: "من كلام العرب الإختصار المفهم،والإطناب المفخم،وقد يقع الإيماء إلى الشئ فيغنى
عند ذوى الألباب عن كشفه."

وقد قيل أيضا الإيجاز للخواص،والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة.^١

^١ - فى النثر العربى قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. مرجع سابق. ص ٤٣-٤٥.

المبحث السادس: الإستشهاد بالقصة:-

القصة هي ثمرة يانعة من ثمرات الثقافة الإسلامية، فهي لم تولد إلا في ظل الحضارة، ولم تظهر إلا حين تيسرت لها أسباب الظهور الناجح، ولقد ظهرت في القرن الرابع الهجري ذلك القرن الذي ترتبط به جميع أسباب نجاح الحضارة ونضجها.^١ والقصة هي فرع من فروع النثر وضرب من ضروب الكتابة، وقد عنيت بها الأمم في جميع الأزمان، ويوجد في الأدب العربي وآداب الأمم الإسلامية أنواع شتى. ونجد أن القرآن الكريم أهتم بالقصص فذكر كثيراً من قصص الأنبياء ليبين مواضع العبرة فيها.

وأهتم المسلمون من بعده بتفسير تلك القصص وهو ما يعرف بالقصص الديني. والقصة من حيث أنها نتاج أدبي فإنها تشتمل على العديد من المزايا التي من أهمها التشويق إذ أنها تضطر القارئ على المتابعة، وهي أداة مرنة من جهة وقوية التأثير من جهة أخرى، وهي مقبولة قبولاً حسناً لدى الخاصة والعامة. تنقسم القصة إلى عدة أقسام حسب مقدارها من الطول والقصر والنوع، هذا بجانب تميزها بتمكين المؤلف من توصيل أفكاره إلى ذهن القارئ والمستمع.^٢ وقد يغلب على رسائل العباسيين أحياناً الطابع القصصي، وقد يلجأ إليها الكاتب لما يجده في تلك القصص من إعانة على إفهام السامعين. وفي رسائل بني العباس العديد من القصص التي أستشهدوا بها، إلا أننا في هذا المجال سنورد بعض النماذج.

^١ - الأدب في موكب الحضارة. مصطفى الشكعة. مرجع سابق. ص ٧٠١.

^٢ - الخطابة في عصر بني أمية. عبدالرحمن عطالمنان. مرجع سابق. ص ٢٣٣.

١ - رسالة سهل بن هارون إلى بنى عمه:-

هذه قصة يرويها سهل بن هارون من خلال رسالة له بعث بها لبني عمه، ويخبرهم عما يريد الخليفة صنعه، وكان حينها قد شعد مصرع البرامكة، فها هو يقول:

"فلما أدخل على الخليفة ومثلت - قال - ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تجريض ريقى، والتمايد فى طريقي، وشخوصى إلى السيف المشهور ببصرى، فقال: إيها يا سهل من غمط نعمتى وأعدتى وصيتى وجانب موافقتى، أعجلته عقوبتى - قال - فوالله ما وجدت جوابها حتى قال: ليفرح روعك وليسكن جأشك، وتطب نفسك، وتطمئن حواسك، فإن الحاجة إليك قربت منك وأبقت عليك، بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك، فأقتصر على الإشارة دون اللسان، فإنه الحاكم الفاصل واللسان الناصل، وأشار إلى مصرع جعفر وهو يقول:

من لم يؤدبه الجميل ففى عقوبته صلاحه

- قال سهل - فوالله ما أعلمنى عييت من جواب أحد قط، غير جواب الرشيد يومئذ، فما عولت فى شكره والثناء عليه إلا على تقبيل يديه وباطن رجليه، ثم قال لى: أذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ما ضمته أبنيته وحوى سرادقه، فأقبض الدواويين وأحص حباءه وحباء جعفر لنأمرك بقبضه إن شاء الله - قال سهل - فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس" ^١
تعد هذه القصة صورة رائعة لما حدث لكثير من أتباع البرامكة، وهى تكشف فى الوقت نفسه عن النعمة التى شاعت عن عدل الرشيد الذى سمح أن يعيش برمكياً فى كنفه، وقد تحمل تلك النعمة الصدق أو عدمه، إلا أنها ترصد لمداراة الظلم بكتمان الأسى على حياة أنتهت والتغنى بحياة بدأت.

أما من حيث المقومات العامة للقصة فهى تشتمل على مقدمة متمثلة فى مثل سهل بين يدي الرشيد، وتصوير خوفه وفزعته، أما الموضوع فيتمثل فى الحوار الذى دار بينه وبين الرشيد، ومحاولة الرشيد لتهدئة روعه وخوفه والخاتمة على تقليد سهل منصب يحيى البرمكى وجعفر.

^١ - الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى. أحمد كمال زكى. دارالمعارف

بمصر. ص ٣١٨-٣١٩.

وأروع ما ختم به سهل قصته قوله: "كمن نُشر عن كفن وأُخرج من حبس". يمكن أن يُعد قولاً
يضرِب لمن بلغ الغاية من الخوف.

٢ - قصة الغفران لأبي العلاء:-

تُعد رسالة الغفران التي كتب بها أبي العلاء المعرّي عام ٤٢٤هـ، أى فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى، وذلك رداً على على بن منصور المعروف "بأبن القارح" إحدى الرسائل التي تحمل فى طياتها طابعاً قصصياً.

فالقصة فيها تنقسم إلى قسمين أساسيين هما: مقدمة القصة وفيها يصف الجنة وما بها من نعيم، أما القسم الثانى منها فهو خاص بالرد على رسالة ابن القارح.^١

ونسبة لطول الرسالة فإننا نتمثل القصة فيها فى جانبٍ من جوانبها ألا وهو رحلته فى الجنة ووصف أنهارها وما يدور فيها من أحداث إذ يقول:

"كم على تلك الأنهار من أنية زبرجد محفور، وياقوت خلق على خلق الفور*^٢، من أحمر وأصفر وأزرق، يخال إن لمس أحرق، كما قال الصنوبرى^٣:

تخيله ساطعاً وهجه

فتأبى الدنو إلى وهجه

وفى تلك الأنهار أوانٍ على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صور الكراكي، وآخر تشاكل المكاكى، وعلى خلق طواويس وبط، فبعض فى الجارية وبعض فى الشط، ينبع من أفواها شراب، كأنه من الرقة سراب، لو جرع جرعة منه الحكمى*^٤ لحكم بأنه الفوز القدمى، وشهد له كل وصاف للخمر، من محدث فى الزمن وعتيق فى الأمر، إن أصناف الأثرية المنسوبة إلى الدار الفانية كخمر عانة وأذرعان، هى مظنة للثقافات، وغرة وبيت راس، والفلسطية ذوات الأجراس، وما جُلب من بصرى فى الوسوق تبغى بها المرابحة عند سوق، وما ذخره ابن بحرة بوج*^٥، وأعتد به أوقات الحج، قبل أن تحرم على الناس القهوات*^٦ وتحظر لخوف الله الشهوات.

^١ - الفن ومذاهبه فى النثر. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٢٧٥.

^٢ - * الفور: الطباء

^٣ - ديوان الصنوبري. أحمد بن محمد بن الحسن الضبي. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت لبنان. ١٩٧٠م. ص ١٥٧.

^٤ - * الحكمى: أبونواس

^٥ - * بوج: الطائف

^٦ - * القهوات: الخمر

وما أعتصر بصرخد أو أرض شام، لكل ملك غير عبا^١ *، وما تردد ذكره من كميث بابل وصريفين، وأتخذ للأشراف المنيفين، وما عمل من أجناس المسكرات، مفوقات للشارب وموكسرات^٢ *، كالجعة والبتع والمذر، والسكركة ذات الوزر^٣ *، وما ولد من النخيل، لكريم يغترف أو بخيل، وما صنع في أيام آدم وشيت إلى يوم المبعث من معجل أو مكيث....، ويعادل تلك المدامة أنهار من عسل مصفى ما كسته النحل الغادية إلى الأنوار، ولا هو في موم^٤ * متوار، ولكن قال له القدير القادر: كن فكان، وبكرمه أعطى الإمكان، وهاً لذلك عسلاً لم يكن بالنار مبعلاً، لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد، ما قدر له عارض موم، ولبس ثوب المحموم... الخ^٥

تعتبر هذه القصة رحلة خيالية إلى العالم العلوى، جمعت بين العلم والأدب، والنقد والفلسفة، ألفها الكاتب في عزلته رداً على ابن القارح الذى كان على طريقته في العقيدة الدينية. في هذه الرسالة بدأ يقص الكاتب ما رآه وسمعه في الجنة، إذ أن أول لقاء له مع رضوان خازن الجنة الذى يمنعه من الدخول لأنه لا يحمل جوازاً، ثم لقاءه بطائفة من شعراء الجاهلية ومشاركته إياهم سمرهم، ثم لقاءه في آخر المطاف بالخنساء على مشارف النار^٦ وأسند أبو العلاء المعرى عناصر قصته من موضوع الغفران في الإسلام والصورة الإسلامية للجنة، ووصف الحشر والجنة والنار، ومن الشعر الجاهلى والأساطير القديمة. وأستطاع أن يفرغها في قالب الذى أختاره هو، أو الذى أختارته له ظروفه الخاصة بكل ما يميزها عن سواها.^٧

ويصور أبى العلاء الجنة تصويراً مطولاً، بحيث يجرى فيها أحداثاً وتحركات نابغة من وحى خياله، ويصور كذلك أنهارها وأشجارها وساكنيها والنعم الذى يتقبلون فيه.

١ - العبا: الأحمق

٢ - موكسرات: منقلات

٣ - * الجعة والبتع والسكركة والمذر: أنواع من الخمر

٤ - الموم: الشمع، ومنه الجدرى أيضاً

٥ - الأدب في موكب الحضارة. مصطفى الشعكة. مرجع سابق. ص ٦٧٨-٦٨٠.

٦ - الغفران لأبى العلاء. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطى. ط٣. دار المعارف بمصر. ص ١١٣-١١٤.

٧ - المرجع السابق. ص ١٢١.

واللافت للنظر أن الكاتب فى هذه القصة أستطاع أن يحدث فيها حركة وضجيجاً، وأثر ان تكون جنته جنة بشر لذلك نجدها قد حفلت بأشواق البشر وشهواتها فأهلها هم الذين نعرفهم فى الدنيا.^١

ونجد الكاتب يصور تلك الحركة بغناء أحدى الجوارى بأبيات من شعر النابغة، وتشتد الحركة فى جنته ويصورها بقوله: "تسمع رغاء العكر، ويغار المعز، وثواج الضأن... الخ". وقد أختار الكاتب لجنته هذا الضجيج والحركة، وذلك لأنه ظل محبوساً تسعة وأربعين عاماً فى بيته.^٢

والمنتبع لجنة الغفران يلمس أن الجنة التى يتحدث عنها هى جنة المحروم، إذ يصور فيها ملذاتها التى حُرِم منها فى دنياه فهى مليئة بالخمى والصيد والنساء.^٣ ويصف فيها الأنهار وأشكالها، مع مخالطة تلك الأنهار بالعسل المصفى.

ولم يغفل الكاتب فى قصته أن يجعل للحيوان نصيباً فى تلك الحركة داخل الجنة، وذلك فى قوله حين يصف الأوز: "أوزة غير بلهاء، بل هى كاعب حسناء، تختال جمالاً وتتمايل دلالاً، تحسن العزف وتتقن الغناء، فيهيم بها الشعراء ويتتيمون... الخ"^٤ أما من حيث السرد القصصى لتلك القصة، فقد أختار الكاتب أشخاصه من كبار الشعراء وأعلام العربية.

أما الحوار فقد أجراه على السنة هؤلاء الشعراء والعلماء على أختلاف أساليبهم وتباعده عصورهم.

أما بطل قصته فقد أختار لها شخصية حقيقية هى شخصية ابن القارح الذى من أجله كتبت هذه القصة وذلك رداً عليه.

إذن فقصة الغفران مشتملة على كل مقومات العمل القصصى من مقدمة وموضوع وخاتمة.

١ - المرجع السابق. ص ١٢١.

٢ - المرجع السابق. ص ١١٤.

٣ - المرجع السابق. ص ١٢٤.

٤ - الأدب فى موكب الحضارة. مصطفى الشكعة. مرجع سابق. ص ٦٧٧.

فالمقدمة مشتمله على وصفه للجنة وما فيها من نعيم، أما من حيث الموضوع، فقد تحدث فيها عن مجريات الأحداث داخل جنته، ومقابلته للشعراء ووصف أنواع الحيوانات، والحديث عن السمر والملذات.

أمّا خاتمة القصة فقد وصف فيها النار وما يجرى فيها، ثم رده على ابن القارح. فمجمّل القول على قصة أبي العلاء، نستطيع أن نصف أسلوبه بأنه أسلوب معقد، وألفاظه تحتاج إلى تفسير، وذلك مثل استخدامه لكلمة "الموم" فهي مرة بمعنى الشمع ومرة أخرى بمعنى الجدرى، إذ تُعد تلك الرسالة متحفاً للكلمات العربية.^١ بهذا الأسلوب القصصي، والخيال الخصب أستطاع المعري أن يعرض آراءه الأدبية ومعتقداته الدينية.

^١ - المرجع السابق. ص ٦٨١.

المبحث السابع: الإستشهاد بالشعر :-

درج الكتاب كثيراً على استخدام بعض الأبيات الشعرية في مكاتباتهم، فالشعر الذي يستشهد به الكاتب في كتاباته النثرية يغلب عليه ما تعارف عليه الناس بالإبداع، فهي نصوص لم يقصد الكاتب منها في كتاباته بنات فكره أو تفنيد رأى أو توضيح تصور بما يتصل بمفهوم الأدب، ولكنه يضعها وهو مدفوع بفكرة الخلق والإبتكار، كأن يبعث برسالة إلى صديق يعبر فيها عن شوقه، أو يشكو له فيها مما أصابه، أو يكتب قصة.^١

ونجد أن الكتاب العباسيين قد أكثروا من الإستشهاد بالأشعار فى أثناء مراسلاتهم، وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً، ويكسبه قوة على إيداء ما فى خاطر الكاتب، وقد بالغ بعضهم حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر.^٢

فهذا هو يحيى بن خالد البرمكى يكتب رسالة إلى ابنه الفضل، حينما ورد إليه خبر إنشغاله بالصيد، وقد رصّعها بالشعر إذ يقول: "حفظك الله يا بنى وأمتع بك، قد أنتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات، عن النظر فى أمور الرعيّة ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به والسلام". وكتب أسفل الرسالة:

أنصب نهاراً فى طلاب العلا

وأصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذا الليل أتى مقبلاً

وأستترت فيه وجوه العيوب

فكابد الليل بما تشتهى

فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكاً

يستقبل الليل بأمر عجيب

^١ - دراسات فى الشعرية (الشابى نموذجاً)، حمادى حمود وآخرون. تونس. المؤسسة الوطنية للترجمة

.١٩٨٨. ص ١٣٨.

^٢ - تاريخ آداب اللغة. جرجى زيدان. مرجع سابق. ص ٢٧٠.

أرعى عليه الليل أستاره
فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة
يسعى بها كل عدو رقيب^١

ففى هذه الأبيات تتجلى حكمة أمير المؤمنين ونصيحته لابنه، وهى أنه إذا أراد أن يفعل منكراً فعليه أن يستتر لأن عيون الرقباء كثيرة حوله.
ومن الإستشهاد بالشعر ما كتبه إبراهيم الصولى، فى ختام رسالة بعث بها إلى ابن الزيات يستعطفه قائلاً:

"كتبت إليك وقد بلغت المدينة*^٢ المحز. وعدت الأيام علىّ بعد عدواى بك عليها، وكان أسوأ الظن، وأكثر خوفاً أن تسكن فى وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت أضر علىّ منها، فكف الصديق عن نصرتى خوفاً منك، وبادر إلىّ العدو تقريباً إليك، ثم قال:

أخ بينى وبين الدهر
يصاحب أينما غلبا
صديقى ما أستقام وإن
نبا دهره علىّ نبا
وثبت علىّ الزمان به
فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا
لعاد به أخاً حدباً^٣

^١ - جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج. ٣. مرجع سابق. ص ١٨١.

^٢ - * المدينة: السكين" وبلغت المدينة المحز، مثل يقال عندما تبلغ الشدة غايتها.

^٣ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ٢٧٩-٢٨٠.

فقد جمع في هذه الرسالة بين عمق المعنى وأناقة العبارة وأختيار الألفاظ. ومن إستشهادهم بالشعر وإطالته أثناء مراسلاتهم، ما كتبه يحيى البرمكى مستعظفاً هارون الرشيد بقوله:

"لأمير المؤمنين، وخليفة المهديين، وإمام المسلمين، وخليفة العالمين، من عبدٍ أسلمته ذنوبه، وأوبقته عيوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه، ومال به الزمن... الخ"، ويستمر في رسالته إلى أن يصل لقوله:-

قل للخليفة ذى الصنيعة	والعطايا الفاشيه
وإين الخلائق من قریش	والملوك العاليه
إن البرامكة الذين	رموا لديك بدهيه
صفر الوجوه عليهم	خُلع المذلة باديه
فكأنهم مما بهم	أعجاز نخل خاويه
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقيه
بعد الإمارة والوزارة	والأمور الساميه
ومنازل كانت لهم	فوق المنازل عاليه
أضحوا وجل مناهم	منك الرضا والعافيه
يا من يود لى الردى	يكفيك منى ما بيه
يكفيك ما أبصرت من	ذلىّ وذل مكانيه
وبكاء فاطمة الكئيبة	والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع	يا سوءتى وشقائيه
من لى وقد غضب الزما	ن على جميع رجاليه؟
يا لهف نفسى لهفها	ما للزمان وما ليه؟
يا عطفة الملك الرضا	عودى علينا ثانيه ^١

فمثل هذه الأبيات القصد منها طلب إمالة قلوب الخلفاء حتى يصلوا للعفو عنهم، لذلك تكون لها الأثر الواضح في رسائلهم.

^١ - المرجع السابق، ص ١٤٨.

ونلمس إستشهادهم بالشعر أيضاً، فى الرسالة التى بعث بها ابن سيابة ليحيى البرمكى، ليميل قلبه ويصفح عنه، فقد ضمّنها أبياتاً من الشعر وذلك لما له من أثر ووقع فى النفوس، وذلك بقوله:-

أسرعت بي حثاً إليك خطائى

فأناخت بمذهب ذى رجاء

راغب راهب إليك يرجى

منك عفواً عنه، وفضل عطاء

ولعمري ما من أصرّ ومن تا

ب مقراً من ذنبه بسواء^١

وهذا هو الصحاب بن عباد، يستهل رسالته إلى أحد القضاة بأبيات من الشعر إذ يقول:-

تحدثت الركاب بسير (أروى)

إلى بلد حطت به خيامى

فكدت أظير من شوق إليها

بقادمة كقادمة الحمام^٢

ثم دلف فى كتابة رسالته وختمها بأبيات من الشعر أيضاً.

ولما كان الإستشهاد بالشعر أثناء المراسلات نوعاً من التعبير عن الشوق بين الأصدقاء، نجد

أن القاضى الفاضل قد أستخدمه فى رسالة له يعبر فيها عن شوقه لصديقه، إذ يقول:-

فيا رب إن البين أضحت صروفه

على وما لى من معين فكن معى

على قرب عدالى وبُعد أحبتى

وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

هذه تحية القلب المعذب، وسريرة الصبر المذبذب، وظلامه عزم السلو المكذب، أصدرتها إلى

المجلس، وقد وقد فى الحشا نارها: الزفير أوارها، والدموع شرارها والشوق آثارها، وفى الفؤاد

نأرها.

^١ - المرجع السابق. ص ١٤٨.

^٢ - الفن ومذاهبه فى النثر. شوقى ضيف. مرجع سابق. ص ٢١٥.

لو زارنى منكم خيال هاجر^١

لهدته فى ظلماته أنوارها

أسفاً على أيام الإجتماع التى كانت مواسم السرور والأسرار، ومباسم الثغور والأوطار، وتذكراً
لأوقات عذب مذاقها، وأمتد بالأنس رواقها:

والله ما نسيت نفسى حلاوتها

فكيف أذكر أنى اليوم أذكرها

وقد فارقت الجناح، لا زال جناحه نضيراً، وسنا سنائه مستطيراً، وملكه فى الخافقين* أخافق
الأعلام، وعزّه على الجديدين جديد الأيام، لم أقف منه على كتاب تخلف سطوره ما غسل
الدمع من سواد ناظرى، ويقدم بياض منظومه ومنثورته ما وزعه البين من سويداء خاطرى:

ولم يبق فى الأحشاء إلا صباية

من الصبر تجرى بالدموع البوادر

وأسأله المناب شريف الجناح، وأداء فرض تقبيل الأرض، حيث تلتقى أمور الدنيا
والآخرة، وتعمر البيوت العامرة المدن الغامرة، وفضل الظل غير منسوخ بهجيرته، ويبشّر المجد
بشخصٍ لا تسمع الدنيا بنظيره. ثم ختمها بأبيات شعر أيضاً:

تظاهر فى الدنيا بأشرف ظاهر

فلم تر أنقى منه غير ضميره

كفانى فخراً أن أسمى بعده

وحسبى هدياً أن أسير بنوره

فأى أمير ليس يشرف قدره

إذا ما دعاه صادقاً بأميره^٢

فقد درج الكاتب فى هذه الرسالة على توشيح شوقه وتعميقه بأبيات من الشعر لما له من أثر
على النفوس.

وأحياناً كان يحلو لبعض الكتاب التوقيع شعراً، فاهو جعفر بن يحيى يوقع فى رقعة رجل كان
قد سأله العون فى مسأله، فوقع على كتابه بقوله: -

^١ - * الخافقين: الشرق والغرب

^٢ - الحياة الأدبية فى العصر العباسى. محمد عبد المنعم خفاجى. مرجع سابق. ص ١٢٨-١٢٩.

قد رأيناك فما أعجبتنا

وبلوناك فلم نرض الخبر

ومن توقيعاته بالشعر أيضاً، ما وقع له لعلّ بن عيسى بن ماهان، وكان قد كتب إليه معذراً
،فوقع قائلاً:

كأنا وقد كنا صديقاً مضافياً

تباعد بيانانا فداء إلى الحشر^١

وكذلك نلمسه في توقيع الحسن بن سهل لأحد الشعراء بقوله:-

رأيت في النوم إني راكب فرساً

ولى وصيف وفى كفى دنائير

فقال قوم لهم فهم ومعرفة

رأيت خيراً وللأحلام تعبير

رؤياك فسر غداً عند الأمير تجد

تعبير ذاك وفى الفال التباشير^٢

والنساء أيضاً يتأثرن بالشعر ويستشهدن به فى رسائلهن،فهاهى أم الشريف تبعت برسالة فيها
نصح وموعظة إلى ابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى وكان قد حاصر المعتضد
مدينته،فأرسلت إليه حتى لا يستخدم القوة،وترجو منه التلطف،وذلك بقولها^٣:-

أقبل نصيحة أم قلبها وجع

عليك خوفاً وإشفاقاً وقل سدا

وأستعمل الفكر فى قولى،فإنك إن

فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا

ولا تثق برجال فى قلوبهم

ضغائن تبعت الشنئان والحسدا

^١ -الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشكعة.مرجع سابق.ص ٢٧١.

^٢ -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج.٤.مرجع سابق.ص ٣٩٠.

^٣ - مروج الذهب.على بن الحسين المسعودى.تحقيق محمد محى الدين.ج.٢.ط.٤.المكتبة التجارية
بالقاهرة.١٩٦٤م.ص٤٦٨.

مثل النفاق خمول فى بيوتهم

حتى إذا آمنوا ألفتهم أسدا

وأدو ذلك والأدواء ممكنة

وإذا طبيبك قد ألقى إليك يدا

أعط الخليفة ما يرضيه منك، ولا

تمنعه مالا ولا أهلاً ولا ولدا

وأردد أبا يشكر رداً يكون له

ردءاً من السوء، لا تشمت به أحدا

ويقال أن المعتضد قد أعجب بهذا القول والشعر فى إسداء تلك النصيحة.

وقد تفنن آخرون فى رسائلهم وأستشهادهم بالشعر فيه، وذلك بجعل الترصيع شرطاً

شطراً، كالذى كان من بديع الزمان فى رسالته للخوارزمى إذ يقول:¹

أنا لقرب دار الأستاذ	"كما طرب النشوان مالت به الخمر"
ومن الإرتياح للقاءه	"كما أنتفض العصفور بلله القطر"
ومن الإمتزاج بولائه	"كما ألقت الصهباء والبارد العذب"
ومن الإبتهاج بمزاره	"كما أهتز تحت البارح الغصن الرطب"

وبتلك النماذج التى هى على سبيل المثال لا الحصر، نستطيع أن نقول إن الكتاب فى العصر

العباسى أستطاعوا أن يزينوا رسائلهم بأطياب الأشعار، وذلك لما فى الشعر من أثر فى تقوية

المعانى وتعميقها فى النفس الإنسانية.

¹ - بلاغة الكتاب. محمد نبيه حجاب. مرجع سابق. ص ١٧٤.

الخاتمة والنتائج:-

تغيّر وجه التاريخ بزاول دولة بنى أمية وولادة دولة بنى العباس، ففي عهد العباسيين اتسعت أفاق الفكر وترعرت شجرة الثقافة الإسلامية، وترجم إلى العربية الوفير من الكتب الفارسية واليونانية، فأضافت بذلك جديداً إلى العقول، وذلك لأن الثقافات عادةً ما يساعد بعضها البعض الآخر.^١

وتمشياً مع ذلك فقد نشأت الكتابة في المجتمع العباسي عند حاجة الدولة إليها، وبعد أن تطور شكلها وتعقدت أمورها، وكثرت دواوينها، وأحتاج الخلفاء وأولوا الأمر أن يصرّفوا أمور الناس، وقد تولى الكتاب تصريف الأمور وذلك عن طريق الرسائل التي كانت تُبعث إلى الأمصار.

كذلك نشأت الكتابة في ظل مجتمع متطور أخذ من الثقافة والمعرفة غير قليل، وكان من الطبيعي أن تحمل الكتابة سمات التطور وخصائص التقدم الفكري والاجتماعي.^٢ وبناءً على ذلك نجد أن الإنشاء في صدر الدولة العباسية قد أخذ في النزوع إلى ثمار الرخاء والترف والتي من أهمها التطويل والإطناب، وقد زادهم الإختلاط بالفرس وما تُرجم من آدابهم تأقفاً في العبارة، وقد خالط ذلك كله شئ من الإطراء والتفخيم، خصوصاً فيما كانوا يكتبون به إلى الأمراء في الإستعطاف أو طلب نوالهم.^٣

بذلك نجد أن الإكثار من التزيين والتأنق الذي ألتزموه في رسائلهم، جعلهم يهتمون فيه باللفظ دون المعنى.

وأثر هذه الثورة نجد أن منزلة الكتاب قد أرتفعت وذلك وفقاً للحاجة إلى الكتابة، وأسسوا الرسائل على فصول ومقدمات ونتائج، وجعلوها بناءً متكاملًا في الموضوع واللفظ والمعنى، وطرقوا بها عدة موضوعات لم تقتصر على الموضوعات الديوانية فحسب، بل كانت منها رسائل الوصف والإخوانيات والعتاب وغيرها.

^١ - الأدب في موكب الحضارة. مصطفى الشكعة. مرجع سابق. ص ٣٥٣.

^٢ - تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري. محمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. ص ٢٨.

^٣ - تاريخ آداب اللغة. جرجي زيدان. مرجع سابق. ج ١. ص ١٤٩.

وأتسعت آفاق الكتابة وتطورت أساليبها، وذلك فى الرسائل التى يغلب عليها الطابع الأدبى، كذلك أوجهت الرسائل إتجاهاً آخر ألترزم فىه الكتّاب قيوداً توفر لها كثيراً مما يختص به الشعر. وعلى ضوء ذلك يمكننا تقسيم أساليب الرسائل فى العصر العباسى على فترات، وذلك لإختصاص كل فترة بالعديد من الخصائص. فى الفترة الأولى والتى تبدأ منذ بداية الدولة العباسية إلى إستيلاء بنى بويه على بغداد، فقد بلغت كتابة الرسائل الحد الأعلى الذى لم تصل إليه فى سابق عهدها على يد الجاهليين أو الإسلاميين أو الأمويين، فقد آثر الكتّاب فى تلك الفترة ترك أنفسهم على سجيئتها، فأدّوا معانيهم بعبارات كأنما لم تُخلق لغيرها، فلم يُكرهوا لفظاً ولا عاظلوها فى أسلوب، فسالت بذلك أودية الصحائف بأساليبهم المطلقة من كل قيد، الخارجة مع النفس الآتية عفو الخاطر.

فقد كانت أساليبهم تارة مرسلّة مع الإزدواج الذى يحسن به وقع الكلام، ويتم به تقسيمه، وتارة مسجوعة.

ومجمل القول على أسلوب الرسائل فى تلك الفترة بأن معانيه كانت تتراءى فى ألفاظها، لا يحجبها غموض ولا إستكراه، وأنه أسلوب مرسل لأيعوقه السجع المتكلف. وبتتبع أسلوب الرسائل فى العصر العباسى الثانى، وهى الفترة التى عُرفت بحكم البويهيين (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ)، نجد أن الحضارة قد بلغت منتهاها وذلك بأن أصبح فى المعيشة ترف ونعيم، وفى العقول ثروة طائلة.

بذا نجد أن الكتّاب فى تلك الفترة قد زانت عباراتهم تلك الطلاوة اللفظية التى حاكوا بها ما كان فى معيشتهم من أناقة، وما تراءى فى نفوسهم من رقة وظرف، فسجعوا سجعاً قصير الفقرات، ونثروا على كتابتهم تلك الحلى اللفظية من جناس لائق وطباق مطابق، وأظهروا موهبة الله فىهم من العلم الواسع، فضمّنوا كلامهم من الملح والإشارات والمصطلحات العلمية والأمثال النادرة، والحكم والشعر، ثم نجد أنهم قد توسعوا فى أغراض الكتابة، فلم تعد مقصورة على رسائل السلطان والشوق والعتاب والإستمناح، بل زادوا فى ذلك وتعدّوا إلى موضوعات الشعر فأستعاروها وكتبوا فيها.

ثم نجد أنه وفى تلك الفترة قد زادت عبارات التّفخيم للملوك والأمراء، وذلك تبعاً لإزداد سلطانهم وسطوتهم، كما أزداد ولعهم بالسجع حتى أنهم ألترزموه فى كل رسائلهم.

أما بالنظر إلى الفترة الثالثة من حكم الدولة العباسية وهي فترة إستيلاء السلاجقة على بغداد (٤٤٧هـ - ٦٥٦هـ). نجد أنّ اللغة العربية قد تقلص منها جلّ ظلّها، وطغت العجمي على الفصحى، وقلّت الرغبة في الأدب، فتورّط الكتاب في تلك الفترة في أنواع التحسين اللفظي والمعنوي وذلك بجمعها على العبارة الواحدة، وألتزموا بذلك السجع إلتراماً ملحاً، ولم يقدروا عليه قصيراً محكم الفقرات فجاءوا به طويلاً، وساقوه متعثراً مختبلاً.^١

بذلك فقد أستطاعت الرسائل في العصر العباسي أن تلعب دورها بحذق ومهارة في شتى المجالات، ونطاق العلاقات كأحسن ما يمكن أن تؤلف الرسالة فكراً وأسلوباً وتعبيراً، ونجد أنها قد بلغت في العصر العباسي الثاني شأناً لم تبلغه في العصور السابقة من حيث الصناعة اللفظية، إضافة إلى إستيلاء الأعاجم على شئون الدولة فقد كان سبباً من أسباب أتجاه الكتابة للعناية بالزخرف اللفظي.

هذا بالإضافة إلى إتسام الرسائل بالوضوح، وذلك لأنه يخاطب الرعيّة، ومما يميّزها أيضاً الجمال الفني وجودة التعبير لأنه يكتب عن الرؤساء الذين ينبغي عليهم أن يصدروا فيما يتصرفون فيه.

وقد أشاد الجاحظ بأساليب الكتاب في ذلك العصر وذلك بقوله: "إنهم لا يقفون على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة، وعلى المخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن والسبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمّرتها وأصلحتها من الفساد، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني"^٢

بذا فقد خرجت تلك الدراسة ببعض النتائج التي من أهمها ما يلي:-

١. إيثار البديع، فقد كان السابقون يميلون إلى المحسنات البديعية ولكن في غير إسراف، أمّا هؤلاء فقد قصدوا إليه قصداً وأسرفوا.
٢. ألتزامهم للسجع في جميع الرسائل، حتى الرسائل المطوّلة.
٣. حرصهم على تضمين رسائلهم أطيب الشعر، والمختار من الأمثال.

^١ - الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي. محمد خفاجي. مرجع سابق. ص ٨٩ - ٩٢.

^٢ - البيان والتبيين. الجاحظ. مرجع سابق. ج ٢. ص ١٢.

٤. إهتمامهم بالكتابة فى بعض المواضيع الخاصة بالشعر كالممدح والهجاء والفخر وغيرها.

٥. نقلوا إلى النثر محاسن الشعر من أستعارة وتشبيهه وخيال.

٦. ظهور المبالغة فى بعض الجمل الدعائية التى يختص بها من يكتب إليهم، وذلك مثل قولهم: "أطال الله بقاء الأمير - دام عزّه وتأييده - وعلوه وتمهيد - وبسطته وتوطيده... الخ".

٧. عدم تقيدهم بصيغة خاصة فى مقدمات الرسائل، أمّا الختام فقد درج أكثرهم على الإكتفاء بعبارة " والسلام ".

٨. إتسام الرسائل الإخوانية بالرقّة المتناهية فى أكثر المناسبات.

٩. طغيان أسلوب الوقار على الرسائل الديوانية، والقصد إلى الهدف الذى تهدف إليه.

١٠. حرص الكتّاب فى العصر العباسى على إفتتاح البيعات بلفظ "تبايع فلاناً" أو بلفظ "من عبدالله ووليّه فلان... الخ"

١١. حرصهم على بداية العهود بلفظ "هذا ما عهد به" أو "هذا عهد من فلان لفلان" أو " هذا كتاب أكتبه فلان لفلان"

١٢. كانت الكتابة فى أوائل عهد بنى العباس جارية على نظام كتابتها فى أواخر عهد بنى أمية، وذلك بجعل عباراتها جزلة بليغة.

١٣. دخول الصناعة اللفظية على الكتابة وذلك فى أوائل القرن الرابع الهجرى.

١٤. حرصهم على تضمين رسائلهم بعض النماذج القصصية.

أمّا التوصيات والتى يمكن أن توصى بها الباحثة الدارسين من بعد، الأهتمام بتلك الفنون النثرية وذلك لما فيها من فنون وإبداع، ولا يظهر ذلك إلا من خلال الدراسة التحليلية المتأنية، لإستخلاص ذلك الجمال الأدبى والأبداع البلاغى الذى أستطاع به الكتّاب أن يزينوا به كتاباتهم.

والله أسأله التوفيق والسداد، وما كان فى هذا البحث من كمال فهو من عند الله تعالى. وما كان فيه من نقص فهو من عند أنفسنا وأسأله تعالى أن يجنبنا الذلل فيما سيأتى من دراسات.

الفهارس

- فهرست الآيات القرآنية
- فهرست المصادر والمراجع
- فهرست الموضوعات

فهرست الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة التي وردت فيها الآية	اسم الصورة	رقم الآية	الآية	
٥٩	سورة البقرة	٧٩	(فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)	/١
٤٦	سورة البقرة	١٠٦	(ما ننسخ من آية أو ننسئها نأت بخير منها أو مثلها....الخ)	/٢
٦٣	سورة البقرة	١٥٦	(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة....الخ)	/٣
٥٩	سورة البقرة	١٥٩	(أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)	/٤
٣٣	سورة البقرة	١٨٥	(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)	/٥
٥٩	سورة البقرة	٢٦٥	(ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم بما تعلمون بصير)	/٦
٥٩	سورة البقرة	٢٧٤	(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)	/٨
٦٠	سورة البقرة	٢٧٩	(فاذنوا بحرب من الله ورسوله)	/٩
٥٦	سورة البقرة	١٣٤	(وإذ أتى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمهتقال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين)	/١٠
٣٣	سورة النساء	٥٨	(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها)	/١١
٣٣	سورة النساء	٥٩	(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأوى الأمر منكم)	/١٢
٥٠	سورة النساء	٧٧	(والآخرة خير لمن أتقى ولا تظلمون فتيلا)	/١٣

٤٤	سورة النساء	١٠٣	(فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)	/١٤
٧١	المائدة	٣٣	(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم....الخ)	/١٥
٥٦	سورة الأنعام	٩٨	(الذى أنشاكم من نفس واحدة فمستقر فمستودع)	/١٦
٧٦	سورة الأعراف	٣٤	(لكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)	/١٨
٤٩	سورة الأعراف	٥٨	(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه)	/١٩
٤٧	سورة الأنفال	٣٣	(ما كان اللع ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)	/٢٠
٣٣	سورة الأنفال	٧٥	(وأووا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)	/٢١
٥٩	سورة التوبة	٥٢	(ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا)	/٢٢
٧٩	سورة التوبة	٩١	(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج)	/٢٣
٤١	سورة التوبة	١١٩	(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)	/٢٤
٤٥	سورة التوبة	١٢٠	(والله لا يضيع أجر المحسنين)	/٢٥
٥٦	سورة هود	١٢٠	(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)	/٢٦
٣٨	سورة الحجر	٣-٩٢	(فوربك لنسئلهم أجمعين عما كانوا يعملون)	/٢٧
٣٣	سورة النحل	١٥٢	(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)	/٢٨
٦٠	سورة فصلت	٣٤	(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً)	/٢٩

٩٦	سورة الكهف	٤٦	(المال والبنون زينة الحياة الدنياالخ)	/٣٠
٥٩	سورة المؤمنون	٨	(والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون)	/٣١
١٩	سورة طه	٢٩	(وأجعل لى وزيراً من أهلى هارون أذى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى)	/٣٢
٤١	سورة الشعراء	٢١٤	(وأندر عشيرتك الأقربين)	/٣٣
٦٠	سورة الشعراء	٢٢٧	(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)	/٣٤
٥٦	سورة النمل	١٩	(رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى ولدى)	/٣٥
٣٣	سورة النمل	٢٩-٢٨	(إذهب بكتابى هذا فالقه إليهم ثم تولى عنهمالخ)	/٣٦
٣١	سورة الروم	٤٧	(ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبيناتالخ)	/٣٧
٥٩	سورة الروم	٦٠	(وليستخفنك الذين لا يوقنون)	/٣٨
٤٩	سورة لقمان	١٧	(وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)	/٣٩
٥٩	سورة الأحزاب	٥٦	(إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)	/٤٠
٤٩	سورة فاطر	٣٤	(الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)	/٤١
٣٨	سورة ص	٢٦	(ياداؤد إنا جعلناك خليفة الأرض فأحك بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله...الخ)	/٤٢
٥٩	سورة الزمر	٩	(أمن هو قانت آناء الليل...الخ)	/٤٣
٤٥	سورة فصلت	٤٢	(لا ياتيه الباطل من بيت يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)	/٤٥
٣٣	سورة الشورى	٣٢	(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى)	/٤٦

٥٩	سورة ق	٢٥	(ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم)	/٤٧
٣٧	سورة الفتح	١٠	(إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم... الخ)	/٤٨
٦		٣-١	(والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور)	/٤٩
٥٦	سورة الحشر	٢١	(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً أنت خشية الله)	/٥٠
٥٦	سورة الملك	٤	(ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير)	/٥١
٦	سورة القلم	١	(ن والقلم وما يسطرون)	/٥٢
٤٠	سورة المطفين	٦	(يوم يقوم الناس لرب العالمين)	/٥٣
٦	سورة الاعلى	١٨	(إن لهذا فى الصحف الاولى)	/٥٤
٦	سورة العلق	٥-١	(إقرأ باسم ربك الذى خلق... الخ)	/٥٦

فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

القرآن الكريم.

١. البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبدالسلام هارون. ج ١. ط ٤. بيروت: لبنان. الشركة اللبنانية للكتاب.
٢. البيان والتبيين. _____ . تحقيق: عبدالسلام هارون. ج ٢. ط ٣. القاهرة: مطبعة دار النشر. ١٣٨٨هـ. ١٩٦٨م.
٣. البيان والتبيين. _____ . تحقيق: عبدالسلام هارون. ج ٤. ط ٣. القاهرة: مطبعة دار التأليف. ١٣٨٨هـ. ١٩٦٨م.
٤. التلخيص في علوم البلاغة. جلال الدين بن محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني. شرحه عبدالرحمن البرقوقي. ط ١. دار الفكر العربي. ١٩٠٤م.
٥. دلائل الإعجاز. عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني. تحقيق: محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة: مطبعة المدنى.
٦. زهر الآداب. أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصرى. تحقيق: زكى مبارك. ط ٣. القاهرة: مطبعة السعادة. ٤٥٣هـ. ١٩٥٣م.
٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي. ج ٦. دار الثقافة والإرشاد القومى. ٨٢١هـ. ١٤١٨م.

٨. صُبْحُ الأَعشى فى صناعة الإنشاء .
ج٩. الطبعة الأميرية. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٨٢١هـ-١٤١٨م.

٩. صُبْحُ الأَعشى فى صناعة الإنشاء .
ج١٠. الطبعة الأميرية. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٨٢١هـ-١٤١٨م.

١٠. الصناعتين (الشعر والنثر). أبو هلال العسكرى. تحقيق: على محمد البجاوى ومحمد
الفضل إبراهيم. ط١. مطبعة عيسى البابى الحلبي. ١٣٧١هـ-١٩٥٤م.

١١. العقد الفريد. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى. شرحه أحمد أمين
وآخرون. ج١. ط٣. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

١٢. العمدة فى محاسن الشعر وآدابه. ابن رشيق القيروانى. ج١. تحقيق: محمد قزقران.
طبعة دار المعارف بيروت: لبنان.

١٣. القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزآبادى. فصل النون باب الرآء. ط٤. دار
المأمون. ٣٣٢هـ-١٩١٣م.

١٤. كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدى. باب السين والرآء. تحقيق: مهدي المخزومى
وإبراهيم السامرائى. المجلد السابع. مكتبة الهلال.

١٥. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور. ج١١. ط١. دار
صادر. بيروت.

١٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر. الحسن على بن الحسين بن على المسعودى.
ج٢. تحقيق: محمد محى الدين. ط٤. القاهرة: المكتبة التجارية. ١٩٦٤.

١٧. معجم الأدباء. ياقوت الحموى. تحقيق: إحسان عباس. ج٣. ط١. دار الغرب
الإسلامى. بيروت: لبنان.

١٨. نقد النثر. أبى الفرغ قدامة بن جعفر. تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادى.
ط٣. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة. ١٣٥٧هـ. ١٩٣٨م.

١٩. وفيات الأعيان. ابن خلكان. تحقيق: محمد محى الدين. ج١. القاهرة: مكتبة النهضة
المصرية.

ثانياً المراجع:-

٢٠. الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول. إبراهيم رفيدة.
ط١. مكتبة القاهرة. ١٩٦٦م.

٢١. الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى. محمد عبد المنعم خفاجى. ط٢.
القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبي. ١٩٧٣.

٢٢. الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية. مصطفى الشكعة. مكتبة الأنجلو
المصرية. ١٩٦٨م.

٢٣. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية). أحمد الشائب. مكتبة
النهضة المصرية.

٢٤. أعلام الأدب العباسى. محمد رضوان الداية. ط٤. ٧٣١هـ. ١٩٨٧م.

٢٥. الأصول الفنيّة للأدب. عبد الحميد حسين. ط١. مطبعة الأنجلو المصرية. ١٩٦٤.

٢٦. أمراء الشعر فى دولة بنى العباس. مصطفى السيوفى. الدار الدولية. ٢٠٠٨م.
٢٧. الإيجاز فى كلام العرب ونصّ الإعجاز. مختار عطية. دار المعرفة الجامعية.
٢٨. الإيضاح فى علوم البلاغة. الخطيب القزوينى: شرحه محمد عبدالمنعم خفاجى. ج٦.
٢٩. بلاغة الكتاب فى العصر العباسى. محمد نبيه حجاب. ط١. المطبعة الفنية الحديثة
٣٨٥هـ. ١٩٦٥م.
٣٠. تاريخ آداب اللغة العربية. جرجى زيدان. راجعها شوقى ضيف. ج١. دار الهلال.
٣١. تاريخ آداب اللغة العربية. —————. راجعها شوقى
ضيف. ج٢. دار الهلال.
٣٢. تاريخ الترسل النثرى عند العرب فى الجاهلية. محمود المقداد. ط١. دار الفكر:
بيروت: ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
٣٣. تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى العاشر الهجرى. محمد زغول
سلام. دار المعارف بمصر.
٣٤. تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى. أنيس المقدسى. ط٣. دار العلم.
بيروت. ١٩٦٥م.
٣٥. جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت. ج٣. ط١. مطبعة مصطفى البابى
الحلبى. ١٣٩١هـ. ١٩٧١م.
٣٦. التصوير الشعرى. عدنان حسين قاسم. القاهرة: الدار العربية للنشر.
٣٧. جمهرة رسائل العرب. —————. ج٤. ط٢. مطبعة مصطفى
البابى الحلبي. ١٣٩١هـ. ١٩٧١م.

٣٨. جواهر الأدب. أحمد الهاشمي. ج١. المكتبة التجارية الكبرى. ١٣٧٩هـ. ١٩٦٠م.
٣٩. الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري. أحمد كمال زكي. طبعة دار الفكر بدمشق. دار النشر. دار المعارف بمصر.
٤٠. دراسات شعرية. حمادى حمود وآخرون. تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة. ١٩٨٨م.
٤١. الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم. صالح بن رمضان. المجلد ٤٧. جامعة منوبة بتونس. ٢٠٠١م.
٤٢. رسائل البلغاء. محمد كرد على. دار الكتب العربية الكبرى. ١٣٣١هـ. ١٩١٣م
٤٣. صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية. أحمد السيد درّاج. الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.
٤٤. ضحى الإسلام. أحمد أمين. ج١. ط١٠. دار الكتاب العربى. بيروت.
٤٥. عصر المأمون. أحمد فريد الرفاعى. المجلد الأول. ط٤. دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٣٤٦هـ. ١٩٢٨م.
٤٦. العصر العباسى الأول. شوقى ضيف. ط٦. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٦.
٤٧. العصر العباسى الثانى. _____ ط٣. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٦.
٤٨. علم المعانى. حسن طبل. ط١. مكتبة الأيمان بالقاهرة. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٤٩. الغفران لأبى العلاء المعرّى. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ. ط٣. دار المعارف بمصر.
٥٠. الفن ومذاهبه فى النثر العربى. شوقى ضيف. ط١٣. دار المعارف.
٥١. فى النثر العربى قضايا وفنون. محمد يونس عبدالعال. ط١. الشركة المصرية للنشر. ١٩٩٦م.
٥٢. قدامة بن جعفر والنقد الأدبى. بدوى أحمد طبانة. ط٣. المطبعة الفنية الحديثة. ١٣٨٩هـ. ١٩٦٩م.
٥٣. الكتابة الفنيّة والموضوعية. حسن على قرعاوى. ط١. دار النشر والتوزيع. ١٩٩٦.
٥٤. محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميّة. محمد الحضرى بك. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
٥٥. النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى. زكى مبارك. ج١. دار التآليف المصرية. ١٩٣٤م.
٥٦. النثر الفنىّ واثر الجاحظ فيه. عبدالحكيم بلبع. مطبعة الأنجلو المصرية
٥٧. نشأة النثر وتطوره. عمر الدسوقى. ج١. ط٢. دار الفكر العربى. بيروت.

ثالثاً: - رسائل جامعية غير منشورة:-

٥٨. " الخطابة فى عصر بنى أمية، أنواعها وخصائصها الفنية"، عبدالرحمن عطا المنان، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أمدرمان الإسلاميّة، كليّة اللغة العربية، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الصفحات التمهيدية	أ- ج
مقدمة البحث	١
التمهيد	
أ- معنى النثر	٥
ب- مفهوم الرسائل	١٠
الباب الأول: - أنواع الرسائل فى العصر العباسيّ	
الفصل الأول: - الرسائل الديوانية (مقدمة)	١٩
المبحث الأول: - رسائل البيعات	
١. رسالة الخميس لتأييد الدعوة العباسية	٢١
٢. رسالة البيعة للمنتصر بالله	٢٥
٣. رسالة أبى جعفر المنصور بالبيعة للمهدى	٢٩
٤. رسالة المتوكل بالبيعة لابنيه	٣١
المبحث الثانى: - رسائل العهود	
١. رسالة عبدالله بن هارون الرشيد بالعهد لعلّى بن موسى	٣٧
٢. رسالة عبدالكريم الامام الطائع بالعهد للحسين بن موسى	٤١
٣. رسالة المهدي بالعهد لأحد ولاته	٤٤
٤. رسالة العاضد الفاطمي بتقليد الوزارة لصلاح الدين الأيوبي	٤٦
المبحث الثالث: - رسائل العباسيين فى شتى المجالات	
١. رسالة عهد وولاء للخلافة	٥٤
٢. رسالة أسماعيل بن صبيح لعمّال الدولة	٥٨

رقم الصفحة	الموضوع
٦٠	٣. رسالة أحمد بن إسرائيل في الوعيد والإنذار
٦٢	٤. رسالة عمرو بن مسعدة في الفكاهة
٦٤	٥. رسالة عبدالله بن المعتز في الوصف
٦٥	٦. رسالة القاضي الفاضل في خبر فتح
	٧. رسالة عمرو بن مسعدة عن المأمون في الوصيّة
	المبحث الرابع: - رسائل الأمان
٦٨	١. أمان أبي جعفر المنصور لأبن هبيرة
٧١	٢. أمان أبي جعفر المنصور للنفس الزكيّة
	الفصل الثاني: - رسائل الولاة الإخوانية
٧٣	المبحث الأول: - رسائل التهاني والتعازي والتهادي (مقدمة)
٧٤	١. رسالة ابن العميد يهنئ عضد الدولة
٧٥	٢. رسالة جبل بن يزيد في التعزية
٧٧	٣. رسالة إبراهيم بن العباس يهنئ ويعزى
٧٨	٤. رسالة غسان بن عبدالحميد لأحد الخلفاء معزياً
٧٩	٥. رسالة إلى يحيى البرمكي في التهادي
٨٠	٦. رسالة إحدى الجوارى إلى المأمون في التهادي
	المبحث الثاني: - رسائل العتاب والإستعطاف
٨٣	١. رسالة ابن العميد لأبن بلكا يعاتبه
٨٥	٢. رسالة إبراهيم بن سيابة ليحيى البرمكي يستعطفه
٨٧	٣. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يستجديه
٨٨	٤. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون في الشكوى
	الفصل الثالث: - التوقيعات
٩٠	المبحث الأول: - توقيعات الخلفاء
٩١	١. توقيع السفّاح لأهل الأنبار
٩١	٢. توقيع أبي جعفر المنصور لأهل الكوفة
٩١	٣. توقيع المأمون لأبن هشام

رقم الصفحة	الموضوع
٩١	٤. توقيع المهدي لأحد الشعراء
٩١	٥. توقيع الرشيد لصاحب خراسان
	المبحث الثاني:- توقيعات الأمراء والوزراء
٩٢	١. توقيع الفضل بن سهل لمظلوم
٩٢	٢. توقيع جعفر البرمكيّ لعليّ بن عيسى
٩٢	٣. توقيع الحسن بن سهل لأحد الشعراء
٩٢	٤. توقيع الحسن بن سهل لمتظلم
	الفصل الرابع :- الرسائل الإخوانيّة
٩٥	المبحث الأول:- رسائل التهاني والتعازيّ (مقدمة)
٩٦	١. رسالة ابن المقفع إلى صديق له مهناً
٩٦	٢. رسالة العتابي لأحد إخوانه معزياً
٩٧	٣. رسالة عبدالله بن المعتز إلى أحد إخوانه معزياً
	المبحث الثاني:- رسائل مناسبات أخرى
٩٩	١. رسالة ابن العميد إلى صديق له في الشوق
١٠٠	٢. رسالة أحمد بن يوسف في الذمّ
١٠١	٣. رسالة يوسف بن صبيح في العتاب
١٠٢	٤. رسالة ابن العميد في الشكوى
١٠٣	٥. رسالة أحمد بن يوسف في الاعتذار
١٠٤	٦. رسالة السيدة زبيدة في الإستعطاف
	الباب الثاني:- الخصائص الفنيّة للرسائل في العصر العباسيّ
١٠٧	الفصل الأول :- شكل الرسائل (مقدمة)
١٠٨	المبحث الأول:- المقدمة

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني:- الموضوع	١١٣
المبحث الثالث:- الخاتمة	١٢٠
الفصل الثاني:- الدراسة الفنيّة (مقدمة)	١٢٤
المبحث الأول:- الألفاظ والمعاني	١٢٥
المبحث الثاني :- الإقتباس	١٣٠
المبحث الثالث:- السجع والتوازن	١٣٦
المبحث الرابع:- التخيل والتصوير	١٤٢
المبحث الخامس:- الإيجاز والإطناب	١٤٩
المبحث السادس:- الإستشهاد بالقصة	١٥٤
المبحث السابع:- الإستشهاد بالشعر	١٦١
الخاتمة والنتائج	١٦٨
فهرست الآيات القرآنية	١٧٢
فهرست المصادر والمراجع	١٧٩
فهرست الموضوعات	١٨٦